

الافتتاحية

ميزان الاعتدال

العدل نظام كل شيء، والإنصاف عزّ في هذه الأيام، وسيطر مكانه الخلاف، فصارت الحاجة ماسّة إلى المنهج السليم، والقسطاط المستقيم، لنزن الأمور، ونبتعد عن الجور، ولا يزال الناس على طريقة الغلو والطعن فيمن يخالفهم، والمبالغة في نقدهم، بلغة شديدة، وعصبية عجيبة، لا يبالون بتصدير الأحكام، عدوانًا وجهلًا، وكأننا لن نجتمع عند الواحد القهار، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧)، ما سلك هؤلاء سبيلًا مستقيمًا، ولا تحروا منهجًا قويمًا، بل منهجًا بعيدًا عن الإنصاف، لهجته بالغة الاستخفاف، ما سلم منه الصحابة الكرام، ولا الأئمة الأعلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ما يضر البحر أمسى زاخرًا
أن رمى فيه غلام بحجر

وقالوا في الأمثال: من لم يحسن إلى الناس قبحت إساءته، ومن حسنت مساعيه، طابت مراعيه، ومن كرم خلقه وجب حقه، ومن ساء خلقه ضاق مَذْقه، فالقواعد والأصول اللازمة للوصول للحق والصواب في المجادلات والحوارات العدلُ والوفاءُ، والبذلُ والعطاءُ، وإنزال الناس منازلهم، ودفع الظلم عنهم، وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، وارحم من دونك يرحمْك مَنْ فوقك، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى، ومن طال تعديه كثرت أعاديه، فالتعصب المذموم والغلو المشؤوم كم جلبا للإنسان من شر، وأوقعا صاحبهما في خُسْر، وكم يعقب صاحبهما من ضير، ويحرم بسببهما من خير، وبناء على ما جاء في الآيات وقواعد التعامل البينات، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

فاحرص مع الآخرين على الإنصاف، ولا تضخم مسائل الخلاف، واحذر آفة الانحراف.. الحسد، من اتصف به ضاق صدره، وغاب وعيه، وجانبه الصواب، وليس من الإنصاف ازدراء الناس، فلا تجحد ما للإنسان من فضل، ولا تفرح بذنبه، ولا تبحث عن هفواته وتصيدها، فمن مال إلى الحق مال إليه الخلق، ومن حفر بئرًا لأخيه كان حتفه فيها، واستعن على العدل بقلة الطمع، وشدة الورع، فإن في حفظ المودّات ورعاية الحرمات حسنَ الوفاء، وطيبَ الثناء، والرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع، ودين متين، فاحذر قلة الإنصاف، فالإنصاف طريق الائتلاف.

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

نسأل الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٠

ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

فبراير - مارس ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد



شعب الله المختار أكذوبة أم حقيقة؟ ١٦

موضوع الغلاف

الدعوة إلى الاصلاح ومحاربة الفساد ظاهرة أصبحت شائعة في عالمنا المعاصر في شتى أرجاء المعمورة مع أن الإسلام كان سباقاً في دعوته للإصلاح منذ نزول الوحي على رسولنا الكريم محمد ﷺ





جماليات المكان في القرآن الكريم ٤٢



مسجد واشنطن الجامع ٨٤

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠ (٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت: ٥٠٠ فلس
- السعودية: ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية: ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- الجزائر: ٤دينار جزائري
- تونس: نصف دينار تونسي
- المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني
- باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ ميزان الاعتدال	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ والفضل ما شهدت به الأعداء	التحرير
٦	سيرة/ الفجر المرتقب	فتح الله كولن
٨	حوار/ مع د.عبدالستار فتح الله	شريف أبوالوفا
١٠	تراث/ رسالة التلميذ	عبدالقادر بن عمر البغدادي
١٣	فكر/ الاختلاف في الرأي سداد أم فساد؟	بشرى شاكر
١٤	مؤتمرات/ نقل وتوطين التكنولوجيافي العالم الإسلامي	محمد عويس
١٦	فكر/ شعب الله المختار أكذوبة أم حقيقة؟	بهيج بهجة سكيك
١٩	ضوابط النشر	التحرير
٢٠	فقه/ الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق	عبدالفتاح همام
٢٢	ملف العدد/ العمل أساس الإصلاح (مقدمة)	التحرير
٢٢	ملف العدد/ إحياء خلق المسؤولية	عبدالمجيد إبراهيم
٢٤	ملف العدد/ الجوانب الخفية لمشكلة البطالة	د. عبدالرحمن النمر
٢٦	ملف العدد/ الإصلاح الاجتماعي بين سفينتين	رمضان فوزي بديني
٢٨	ملف العدد/ الفقر.. رؤية واقعية	رشيد ناجي الحسن
٣٢	ملف العدد/ الخضر عليه السلام والإصلاح الاجتماعي	المنشاوي الورداني
٣٤	دراسات/ فساد الهواء وإصلاحه في التراث الطبي العربي القديم	د. محمود مهدي محمود
٣٨	دراسات/ القرآن الكريم والمشترك اللفظي	د.أحمد عزوز
٤٢	دراسات/ جماليات المكان في القرآن الكريم	محمد أحمد عبدالجواد
٤٥	دراسات/ التراث التربوي العربي .. رؤية حضارية	د. بركات محمد مراد
٤٨	دراسات/ العداء سنة كونية	د. زياد موسى
٥١	ملف الأدب/ الأديب والكلمة الطيبة (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب/ الحرية والتحرر في شعر بدوي الجبل	عبدالهادي صافي
٥٤	ملف الأدب/ شخصية الطبيب المسلم في أدب نجيب الكيلاني	أحمد حسن الخميسي
٥٧	ملف الأدب/ أولى القبلتين (قصيدة)	د. أبوفراس النطافي
٥٨	ملف الأدب/ في الكنية والكنى	أحمد السعيدي
٦٠	ملف الأدب/ التكثيف والتركيز في القصة القرآنية	محمد محمد الشحات
٦١	ملف الأدب/ استفحال ظاهرة الضعف في الخط والقواعد الإملائية	سالم بن عميران
٦٢	أنباء الكتب/ التبصرة	التحرير
٦٤	ثقافة/ ركائز وقيم النهضة التعليمية ٤/٢	هالة عبد الحافظ
٦٧	ملف الأسرة/ سلامة المجتمع من سلامة الأسرة (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ مسؤولية التربية الإيمانية	د. محمد عمر الحاجي
٧٠	ملف الأسرة/ كيف تكون صديقاً لأولادك؟	محمد فتحي النادي
٧٢	ملف الأسرة/ زواج الأقارب بين الطب والحضارة	د. مصطفى محمد طه
٧٣	ملف الأسرة/ بيوتنا مرحة	محمود القلعاوي
٧٤	ملف الأسرة/ كذب الأطفال	هبة أبو الفتوح
٧٦	ملف الأسرة/ ماذا يريدون من المرأة المسلمة؟	أحمد محمد عبدالعظيم
٧٨	شباب/ حقيقة أن يكون الشاب سعيدًا	عبدالرحمن حمادي
٨٠	خاطرة/ طيبة الطيب	د. محمد حسان الطيان
٨١	فنون / حوار مع البراء العويد	حسنى نديم
٨٢	تحقيق/ الإسلام مصدر التشريع الرئيس أم الوحيد؟	دار الإعلام العربية
٨٤	منارات/ مسجد واشنطن الجامع	تركي محمد النصر
٨٦	طب/ الوقاية من أمراض الكبد	د. يحيى سنبل
٨٧	إصبعي السادسة/ يوم الأمية العربي	عبادة السيد نوح
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	استطلاع / العقيق سيد الأحجار الكريمة وأشهرها	حسام فتحي أبوجبارة
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ الفهم ضروري للنهضة	محمد أبوعيد

كلمة العدد

والفضل.. ما شهدت به الأعداء

في افتتاحية مجلة «يديعوت احرنوت» الصهيونية: قالت مؤخرًا تحت عنوان «مستقبل الإسلام في أوروبا».. «إنه إذا ما استمر نمو المظاهر الإسلامية في أوروبا بالدرجة المشاهدة ذاتها.. فإن من المتوقع أن تتحول أوروبا بأكملها للإسلام بحلول نهاية القرن الحالي».

إنه مما لاشك فيه أن نشر مثل هذا المقال يرمي إلى بعث رسالة واضحة لدول أوروبا؛ يحذرها فيه من التقدم السريع للإسلام في صفوف الأوروبيين، الأمر الذي يتطلب منهم اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقفه.. على حد تعبير المجلة الصهيونية!

وفي المقابل فإن زيادة تلك التحذيرات تتطلب من الأقلية المسلمة في أوروبا مواجهتها بمزيد من التمسك بحقيقة المواطنة والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، إضافة إلى انتهاج قيم الإسلام ومبادئه النبيلة الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وتطبيقها سلوكًا عمليًا على أرض الواقع.. خاصة وأن الوقائع قد أثبتت أن الهجوم الشديد على الإسلام والتخويف منه قد أعطى نتائج عكسية جعلت كثيرًا من الأوروبيين يتجهون بشكل غير مباشر إلى محاولة فهم الإسلام، والقراءة عنه، والوقوف على حقيقته التي تجمع مقومات التكامل بين ما هو مادي، وما هو روحي.. عكس الأديان الأخرى تمامًا.

التحرير

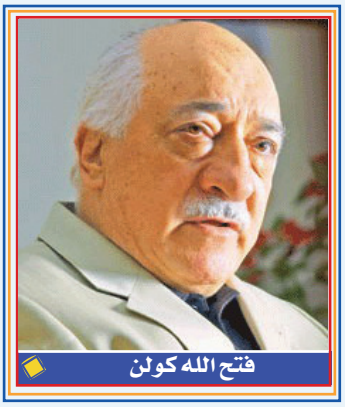
الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير.للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الفجر المرتقب

دنيا يسودها ظلام دامس.. ظلام يحمل في طيّاته نورًا مرتقبًا.. وأصداءً تحمل بشرى ظهور نبي جديد.. وتتسرب أصداء هذه البشرى، وتطرق الأسماع والقلوب حتى بدأ الكثير من أهل مكة يتحدثون عن هذا النبي المرتقب ويوصي بعضهم بعضا: «عليكم أن تسرعوا إلى هذا النبي حالما يظهر.. أسرعوا إليه وآمنوا به!» (١).


فتح الله كولن

كل القلوب واجفة.. فالآمال جميعها معقودة عليه.. على خاتم المنقذين.. والأمهات والآباء يطمعون أن يكون هذا النبي ﷺ من نسلهم، لذا يسمي العديد منهم أبناءهم «محمدا» (٢)، ولكن النبي المرتقب يجب أن يكون من سلسلة نسب ذهبية، تبدأ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتنتهي بعبدالمطلب فعبدالله.. كانت القلوب ترتقب هذا النور من هذا الطريق، وكانت الأحداث تشير إلى قرب قدومه، ودنو مجيئه.. فحلكة الظلام تؤذن بقدوم الفجر.

لم يكن إنسان ذلك العصر يحمل قيمةً تعطي للحياة معنى، أي تعطي للحياة غاية وهدفًا يستحق العيش من أجله، بل كانت أعمال الناس آنذاك مثلما قال القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩).

ولم تكن المشاعر والأفكار والتصرفات تتباين عن هذا كثيرًا: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ (النور: ٤٠).

كان اسم هذا العهد «عهد الجاهلية»، غير أن الجاهلية هنا لم تكن تأتي كنقيض للعلم، بل كمرادف للكفر الذي

للقلب لسانٌ لم تسمع الآذان بيانًا كبيانه.. فاقطعوا المسافات في قلوبكم للوصول إلى اللّه

هو نقيض الإيمان والاعتقاد، ولا أريد هنا أن أعرض - ولو بشكل موجز- مَعالم هذا القبح في ذلك العهد، لأنني لا أريد أن أعرض أمامكم- ولو لوقت قصير- لوحة سوداء مقززة، كما أن تصوير الباطل قد يفسد الأذهان ويضلها، وأنا أرى أن هذا يشكل جريمة، بيد أنه يلزم لفهم ذلك العهد أن نشير إلى بعض عاداته وتقاليده ليتسنى لنا أن نعي فضل الله على العالمين، ورحمة الرحمن الرحيم، في إرسال فخر الكائنات وسيد المرسلين.

إن مجيئه ﷺ كان من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى للعالمين، وأفضل إحسانه، وهذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

إذن، فانظروا إلى مدى رحمة الله ولطفه وإحسانه عندما يرسل إلى الناس رسولًا من عند أنفسهم، يحس بما يحسون، ويفكر كما يفكرون، ويكون لهم مرشدًا وهاديا في الطريق الموصل إلى الله تعالى.. فإن احتاجوا إلى إمام تقدمهم وأصبح لهم إمامًا، وإن احتاجوا إلى خطيب اعتلى المنبر فكان خطيبًا مفوّها، وإن احتاجوا إلى أمير كان لهم أميرًا يرسل الرسائل للملوك ويختم المعاهدات، وإن احتاجوا إلى قائد تقدم صفوفهم في الحرب، وأصبح لهم قائدًا أفضل من جميع القواد المتمرسين..

هناك عقيدة خاطئة لدى النصارى، فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد ضحّى بعيسى عليه السلام ليفتدي به الخطيئة الأولى للإنسانية، أي يؤمنون بأن الله- سبحانه وتعالى عما يقولون- قد ضحّى بابنه المسيح لكي يصفح عن الإنسانية كلها، لذا فقد صلب المسيح على الصليب حسب هذه العقيدة الخاطئة، وهكذا تم الصفح عن الخطيئة الأولى التي بدأت مع آدم عليه السلام وانتقلت إلى كل إنسان، فكل إنسان يحمل هذه الخطيئة منذ

مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



مجيئه إلى الدنيا، ومنذ ولادته، وهذه عقيدة خاطئة من جهة، وضالة من جهة أخرى لكونها قابلة لتأويلات عديدة إلا أن لها تلميحًا صحيحًا، وهو أن الله تعالى أرسل أفضل خلقه محمدًا ﷺ وأحبهم إليه رسولًا إلى الناس مع علمه بما سيتعرض له من أذى وآلام، وذلك لكي يخلصهم من الضلالة والانحراف والطغيان حتى لا يضيعوا في الطرق والمتاهات، بل يرتقوا إلى المستوى اللائق بالإنسان الكامل.

أجل، للقلب لسان لم تسمع الآذان بيانًا مثل بيانه، وبلاغة مثل بلاغته.. إذن، فعلى الإنسان أن يقطع المسافات في قلبه، وأن يبحث فيه عما يبحث، فيصل إلى ربه هناك، ويفنى في حبه، علمًا بأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلينا من أجل هذا.

أجل، فقد أرسل إلى الإنسانية لكي يتلو عليها آيات ربها، ويعرض أمام عينيها معجزاته، ولكي يعلّم الإنسانية ماهيتها الحقيقية، وبفضله تستطيع البشرية أن تتطهر من أرجاس الطبيعة، فتصبح نقية صافية، وتسمو من المرتبة الدنيا للجسم إلى المرتبة العليا لحياة القلب والروح، وقد سمت فعلا.

أجل، إنه سيعلّم الناس الكتاب والحكمة، وفي نور الكتاب وضوء الحكمة ستجد الإنسانية نفسها، وتنتبه إلى الآخرة وتلتفت إليها، فتسلك الطريق إلى الحياة الأبدية، وقد سلكت هذا الطريق فعلا.

هناك أيام مباركة وأيام مهمة وكريمة عندنا، وبعضها يعدّ عيدًا للمؤمنين، ففي كل أسبوع يعيش المؤمنون فرحة يوم الجمعة، ونعيش هذه الفرحة بمقياس أكبر في عيد الفطر وفي عيد الأضحى، ففي أيام عيد الأضحى يتذكر المسلمون التضحية التي قدّمها النبي إبراهيم عليه السلام، ويبتهلون فيها، ويدعون الله من قلوبهم وبكل إخلاص أن يغفر لهم ذنوبهم، ومن أجل ذلك يهرع بعضهم إلى بيت الله ليتمسحوا بأستاره، وعندما يقفون في عرفات يتوجهون بقلوبهم إلى الله، ويبتهلون إليه بروح محمدية ليغفر لهم.

وأما عيد الفطر فهو عيد مبارك غنيّ بمعانيه، إذ هو تعبير عن الفرحة التي يشعر بها المسلم وهو يعيش فرحة الاقتراب من الرضا الإلهي بعد شهر كامل من الصوم، ولكن هناك عيد آخر يعد عيدًا للإنسانية، بل لعالم الوجود كله؛ وهو يوم تشريف الدنيا بمجيء رسول الله ﷺ، أي يوم الميلاد الأحمدي (٣)، أي هو اليوم الذي علّق الله سبحانه وتعالى النور الأحمدي، والسراج المحمدي في سماء الإنسانية مثل شمس مضيئة.. أجل، فبهذا النور تبدد ظلام الجاهلية، وغمر النور العالم بأسره، فكان هذا أفضل وأكبر وأعظم نعمة لله سبحانه وتعالى على الإنس والجن.

الهوامش

(١) انظر إلى: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/٢٠٣-٢٠٤.
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ١/١٦٩.
(٣) اليوم هو يوم الأربعاء الموافق لـ ١٣ تشرين الأول لسنة ١٩٨٩. من التوافقات- ولا نقول الصدف- الجميلة أن تصحيح هذه الأسطر وافق يوم الميلاد الأحمدي.

د. عبدالستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:

التفسير الموضوعي.. رؤية عصرية لإعجاز القرآن الكريم



شريف أبوالوفا - دار الإعلام العربية

مؤلفات عديدة ومتنوعة تستجلي المنهاج القرآني في التشريع، وأسس التفسير الموضوعي للتنزيل الحكيم، وكذا معركة الوجود بين القرآن والتلمود، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.. تلك هي خلاصة وعصارة فكر د.عبدالستار فتح الله سعيد، أستاذ التفسير بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقًا.. والذي يكشف في حواره مع «الوعي الإسلامي» النقاب عن الأسس السليمة التي يجب أن ينطلق منها التفسير العلمي الدقيق للقرآن الكريم، إضافة إلى العديد من القضايا الإسلامية نتعرف عليها عبر السطور التالية.

أحذر من تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة

مع تنامي ما يسمى بـ«العلوم الحديثة» ظهر مصطلح «التفسير العلمي للقرآن الكريم».. فهل استطاع هذا النوع من التفاسير الوقوف على الإشارات العلمية في القرآن الكريم وما تتضمنه من معانٍ؟

القرآن الكريم كتاب الله تعالى، وهو الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ولذلك ضمَّن الله تعالى هذا القرآن ما لا يحصى من الحقائق والعلوم والمعاني والأخبار، وقد أوجز الرسول ﷺ هذا المعنى في الحديث الذي رواه الحارث الأعور قال: «مررت بالمسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فأخبرته فقال: أَوَقَدْ فعلوها؟ قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه».

ومن ذلك، الإشارات العلمية عن حقائق الخلق والأحياء والنبات والكواكب والنجوم وغيرها من العلوم والمعارف ذكرها الله تعالى من خلال دعوته إلى الإيمان به، وقد جاء كل هذا بأسلوب عربي بيِّن يناسب العرب في زمن النزول، ويتسع لكل المعاني التي تناسب زمانهم، وينطبق عليها النص القرآني في إيجاز وإعجاز يدل على أن هذا القرآن هو كلام الله حقًّا، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لا يستطيعون.. ومن هذا أيضًا حقائق العلوم المادية التي توصل إليها العلم البشري في هذا الزمان، والتي نجد لها إشارات ودلالات واضحة في القرآن الكريم رغم أنها لم تعرف إلا في زمننا هذا، مثل الأجنة وأحوالها وأطوارها، وغير هذا مما لم يكن معروفًا في العالم كله إلا بعد اختراع المجهر الذي يكبر الأشياء الدقيقة مئات المرات، ومثل قابلية الذرة للانشطار كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وقد ألف د.موريس بوكاي وهو طبيب فرنسي كتابًا يقارن فيه بين أخبار القرآن وحقائق العلم الحديث، وأثبت بالدليل القاطع أن القرآن الكريم لم يخطئ في حرف واحد مما قررته العلوم الحديثة، والتي كانت مجهولة تمامًا في زمن نزول القرآن على النبي الأمي محمد ﷺ، وهو

شعب أساسية تحدد مواصفات الداعية على منهاج النبوة

كتاب مترجم إلى اللغة العربية ومتداول حاليًا.

لكننا نجد الفكر الإسلامي هذه الأيام مثقلاً بمصطلحات عديدة مثل «الأيديولوجية» و«التصور الإسلامي» و«الإسلام هو الحل».. فما قراءتك لهذه المصطلحات؟

الإسلام دين الله تعالى، أنزله شاملًا لكل شؤون الحياة، وكاملًا في كل جزئيات التشريع، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾، ومن هنا اتسع الإسلام لكل العصور، وتكلم فيه العلماء والدعاة في كل زمن بما يناسب أحوال زمنهم، ولذلك ظهرت مصطلحات وأفهام كثيرة كلها مأخوذة من هذا البحر الواسع لمعاني الإسلام الصحيح، منها ما يتفق مع القرآن والسنة النبوية والفهوم التي فهمها أصحاب الرسول ﷺ حين نزل القرآن، وحين خاطبهم ﷺ بالشرح والبيان، وكل ما عدا ذلك مردود على أصحابه كما روت أم المؤمنين أم عبدالله عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».. أما مصطلح «الإسلام هو الحل» فهو شعار دعوي لبيان فضل الإسلام وما فيه من حلول لجميع المشكلات التي جاءت بها الحضارة المادية المعاصرة.

وبماذا يمكن تفسير غياب هديه ﷺ في تبليغ القواعد الصحيحة للإسلام لدى بعض الدعاة؟

ليس صحيحًا أن هذه القواعد مفتقدة عند جميع الدعاة المعاصرين، بل هي مطبقة في الدعوة الإسلامية المعاصرة، فالغالبية تأخذ الإسلام بمأخذه الشمولي الجامع فيظهر ذلك في أسلوب دعوتها للإسلام، بينما هناك فرق شذّت عن الإسلام وخالفت قواعده الأصولية وثوابته الدائمة مثل البهائية، فهي فرق شاذة تقوم على الباطل.

إذن.. ما مواصفات الداعية تأسيًا برسول الله ﷺ في دعوته وهديه؟

بُعث رسول الله ﷺ بالحق الإلهي الدائم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء كما جاء في الحديث (الواضحة الغراء)، وهي تتمثل في أربع شعب أساسية هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتخلق بالأخلاق العليا التي جاء بها الإسلام أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، والشعائر والعبادات التي هي حق الله على عباده، والمعاملات التي تتم بين الناس والتي ينبغي أن تقوم على أساس الحق والعدل الذي شرعه الله تعالى.. ومن خلال هذه الشعب الأربعة قامت قواعد الدعوة المتمثلة في المبادئ والوسائل المناسبة لها، بأسلوب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة والصدق والأمانة، والصبر على تبليغ الرسالة، وقد أدّت الرسائل العلمية الجامعية التي ازدهرت في الجامعات الإسلامية دورًا عظيمًا في بيان حقائق الإسلام، وتجلية المعاني التي أراد الله للبشرية أن تقوم بها فهمًا وتطبيقًا.

تتبنى -وأنت أستاذ في علوم تفسير القرآن- «التفسير الموضوعي».. فما السر؟

هو لون جديد من تفسير القرآن الكريم موضوعيًا، انتقل من مدارج التكوين والاستحكام ليأخذ طورًا جديدًا في وجهته، وطريقة عرضه وبحثه، وفي نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، وفي النتائج والآثار التي يتوخاها.. فللتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ضرورة بالغة في هذا العصر الذي تقاربت فيه الأقطار والأمصار، واختلطت فيه المذاهب والأفكار، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، وكل فريق يصارع من أجل اكتساب عقول الشعوب والأمم، وقلوب الأفراد والجماعات؛ لذلك تبدو الحاجة ماسة إلى هذا اللون من التفاسير، لما يحققه من قواعد أساسية أهمها إبراز إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم العصر، والوفاء بحاجاته.

وبماذا تفسر كثرة وتعدد الخلافات حاليًا بين المسلمين؟

الخلافات بين المسلمين نوعان، الأول تنوع في فهم النصوص ومعرفة مقاصد الشريعة، وهذا خلاف محمود يقوم على الاجتهاد واختيار الأنسب للمسلمين مادامت النية خالصة لله تعالى.. أما النوع الثاني فهو اختلاف تضاد، وهو مذموم يؤدي إلى الفُرقة وتمزق الأمة، ولذلك ذمَّ اللهُ هذا النوع في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.. ونصيحتي لهؤلاء تحري الحقائق وتوثيق الفهم، وتبني الاجتهاد القائم على الإخلاص، وهذا يكون فيه للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، أما تفريق الأمة بالأفهام الضالة والمعاني الشاذة فهو ملعون، ولذلك يجب أن ينتهي أصحابه عنه.. والإسلام طوال تاريخه بين خطرين؛ أعداء من داخله ومن خارجه، أما أعداء الخارج فهم أمر طبيعي منطقي؛ لأن الباطل عدو الحق دائمًا، لكن اللوم على أبنائه الذين خالفوا الدين وجادلوا بالباطل ليصرفوا الناس عن حقائقه العظمى، فهؤلاء لهم الويل من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

رسالة التلميذ

لعبدالقادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠-١٠٩٣)

هذه الرسالة من كتاب نوادر المخطوطات (٢١٧/١) تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ) رحمه الله تعالى، فقد ترجم للمؤلف وقدم لها بمقدمة جميلة، وبين أصول الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة، المدونة (لبيان) الجليل والحقير، وذكر النقير والقطمير، كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني، والقاموس لمجدالدين الفيروزابادي، وغيرها، إلا في لسان العرب لابن مكرَّم، فإنه أورده في مادة (تلمذ)

أغلب المعاجم لم يورد مادة تلمذ .. وهذه أصولها في الأدب العربي

وقال: «التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ»، مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام.

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب مغني اللبيب، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس «حُكي لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيتَ المفصَّل (١)» رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملا الحلبي (٢) قال: «التلميذ: القارئ على الشيخ. ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما» أ.هـ.

فحينئذ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، فإنه ساق (٣) فيه شعرًا للبيد بن ربيعة العامري الصحابي وفيه هذا البيت:

فالماء يجلو متونهنّ كما
يجلو التلاميذُ لؤلؤًا قَشبا (٤)

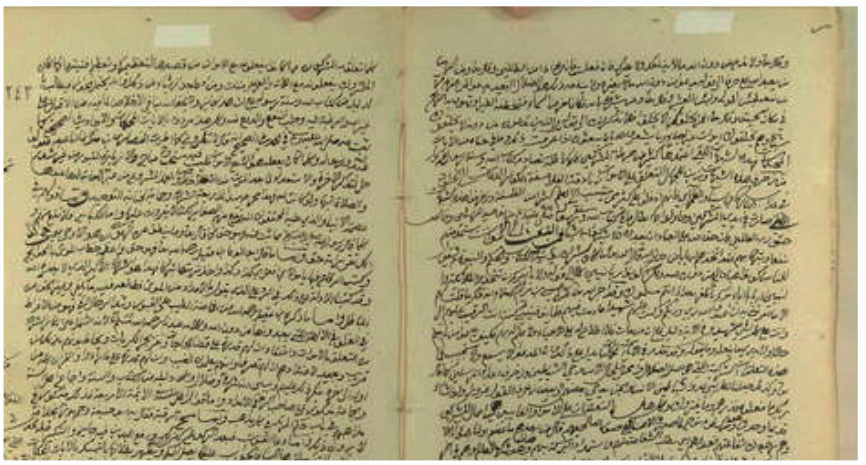
وقال بعد إنشاد الأبيات: «التلاميذ غلمان الصنَّاع. والقشب والقشيب: الجديد، والجمع القُشب».

ورأيته أيضًا في شعر أمية بن أبي الصلت، وهو شاعر أدرك النبي ﷺ ولم يوفَّق للإيمان به، وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء، وهو ما لا يكاد يُقضى العجب منه، قال في قصيدة:

والأرض معقلُنا وكانت أمَّنا
فيها مقامتُنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قُذفاتها
حبسواقيامًافالفرائصتُرعد(٥)

قال شارح ديوانه: «التلاميذ الخدم، يعني الملائكة».

وقال أيضًا في قصيدة أخرى:



صاغ السماء فلم يخفض مواضعَها
لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كشَّفت مرةً عنا ولا بليت
فيها تلاميذ في أقفائهم دَغَم(٦)

وقال شارحه هنا أيضا كذلك.

ورأيت في المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله: «فوجدته محاذيًا لتلميذ، على خبز سميذ، وجدي حنيذ، وقبالتهما خابيةُ نبيذ (٧)»، قال شارحه الشريشي: «التلميذ متعلم الصنعة، والتلميذ الخادم، والجميع التلاميذ»، وأنشد بيت لبيد المتقدم، ثم قال: «وطلبة العلم تلاميذ شيخهم» أ.هـ.

وإهمال داله لغة فيه، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها:

فمَضى وأصعد واستبدَّ إقامةً
بأولي قوًى فمبتَّل ومُتلمدُ

قال شارحه: «يريد متلمذ، أي خادم من التلاميذ، وتُلمذ: جُعل للخدمة. «متلمذ» بكسر الميم، وأراد بأولي قوى: الملائكة الذين يحملون العرش، وقوله: «فمضى» يعني الله عز وجل، واستبدّ، يعني لا يستشير أحدًا، يقال استبدَّ فلان برأيه»، إذا لم يستعن أحدًا على ما يريد، والمبتل: المفرد. أ.هـ.

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية، ووزن تلميذ فعليل، وأن له فعلًا متصرفًا هو تلمذه كدحرجه، بمعنى خدمه، يتلمذه كيدحرجه، تلمذة وتلماذا، كدحرجة ودحراجًا، فهو متلمذ كمُدحرج بمعنى خادم، وذلك متلمَذ أي جعل خادمًا (٨).

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة، لأنه في الغالب يخدم أستاذه.

وقول الناس: «تلمَّذ له» و«تلمَّذ منه» بتشديد الميم، خطأ، لأنهم توهموا أن التاء زائدة، وليس كذلك وصوابه «تلمَّظ له» و «تلمَّظ منه» (٩).

بالظاء المشالة المعجمة، ولمَّظه أي أطعمه وأذاقه، والتلمظ: تتبُّع اللسان بقية الطعام في الفم، وقد يكنى به عن الأكل، استعير للتعليم شيئًا فشيئًا.

والتلميذ يجمع على تلاميذ، فإن فعليلا يجمع على فعاليل، كبرطيل وبراطيل، وعفريت وعفاريت، وقنديل وقناديل، وإصليت وإصاليت، وإبريق وأباريق، ومنديل ومناديل. وأما قولهم في جمعه «تلامذة» فعلى توهم أنه اسم أعجمي (١٠)، فإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع: (أحدها) الاسم الأعجمي المعرب، سواء كانت للتعويض عن مَدَّة نحو أستاذ وأساتذة، أم لا نحو موزج وموازجة، وكيلجة وكيالجة. (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد، نحو أشعثي وأشاعثة، ومهلبي ومهالبة، وأزرقي وأزارقة، (ثالثها) للتعويض (إما) عن ألف خامسة جوازًا نحو حبنطى وحبانطة، وعقرنى وعقارنة، وإما عن (عين) (١١) مضاعفة نحو جبار وجبابرة، وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة.

قيل: وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تَلَام، كقول الطرِمَّاح:

تتقى الشمس بمدريَّة
كالحماليج بأيدى التلام

والحماليج: منافخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج، شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقي في المعرّبات (١٢): «التلام أعجمي معرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ». وأنشد هذا البيت.

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة الثقفي (١٣) أيضًا:

وسربال مضاعفة دلاص
قد أحرزَ شكَّها صُنعُ التّلام

وروي: «التلام» في البيتين بفتح التاء وكسرها. أما الفتح فعلى أنه مرَخَّم التلاميذ ضرورة، وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح، وقال: «التلام التلاميذ سقطت منه الدال».



وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي، قال في المسائل العسكرية (١٤):

ومن قبيح الضرورة قول الشاعر:

مثل الحماليج بأيدي التلامْ

قالوا: يريد التلامذة، فحذف. وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم، إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله (١٥):

دَرَس المنَا بمُتالع فأبانِ

قالوا: يريد: المنَازل. ومثل ذلك ما أنشده لأبي دؤاد (١٦) الإيادي:

فكأنما تذكيَ سنابكها حُبَا (١٧)

قيل يريد الحباحب، أي نار الحباحب، وفي التنزيل: ﴿فالموريات قدحا﴾. انتهى كلامه.

وأما الكسر فعلى أنه جمع «تِلْم» بكسر فسكون، بمعنى الغلام، قال ابن مكرَّم (١٨): فمن (١٩) رواه: التلامي، بفتح التاء وإثبات الياء، أراد التلميذ، يعني التلاميذ الصاغة. هكذا رواه أبوعمرو، وقال: حذف الذال من آخرها (٢٠)، ومن رواه: التلام، بكسر التاء، فإن أبا سعيد قال: التلم الغلام. قال: وكلُّ غلام تِلم، تلميذًا كان أو غير تلميذ، والجَمع التلام، وقال ابن الأعرابي: التلام: الصاغة، والتلام: الأكرة» أ.هـ.

وأقول: «الصاغة» تصحيف من الصناع (٢١) لوقوعه في صحبة الحماليج.

ويدفعه البيت الثاني (٢٢).

وقال صاحب القاموس: «التلم، بالكسر: الغلام، والأكّار، والصائغ أو منفخه الطويل، وكسحاب: التلاميذ، حذفت ذاله. ولم يذكر الجوهري غيرها، وليس من هذه المادة (و) إنما هو من باب الذال» أ.هـ.

أقول: أما قوله: «الأكّار والصائغ» فأخذه من قول ابن الأعرابي، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار.

وأما قوله: «أو منفخه» فقد أخذه من قول بعضهم، وقد غُلِّط فيه.

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال: التلام الحماليج التي ينفخ بها. قال: وهذا باطل (٢٣).

والعجب من صاحب القاموس أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم، مع أنه أثبته مثله، ولم يذكره في باب الذال.

الهوامش

١- المفصل للزمخشري في النحو، انظر ابن يعيش ٢: ٩٤، والبيت هو:

لا يبعد الله التلبب والغا

رات إذ قال الخميس: نعم

٢- هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩. ذكره في كشف الظنون وفي أ، حـ: «حلبي» موضع. «الحلبي» تحريف.

٣- أ، حـ: «سابق» والصواب في ب.

٤- ديوانه ١٤١ بشرح الطوسي، وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة.. التلاميذ فارسي».

٥- القذفات بضم الذل وفتحها: جمع قذفة، بالضم، وهي الناحية. وقذفات الجبال وقذفها: ما أشرف منها.

٦- الدغم: السواد.

٧- هذا سهو من البغدادي، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا: «تلميذ، متعلم الصنعة»، انظر الشريشي ١: ٢٩ س١. وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري: فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرني من ذا». انظر الشريشي ١: ٣٠.

٨- الأولى من تلمذه بمعنى خدمه، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادمًا.

٩- هذه فتوى لغوية للبغدادي، ولما يستعمل هذا التعبير، ولا أظنه سائغًا.

١٠- كأن البغدادي، يذهب إلى أنه عربي.

١١- كتبت كلمة عين في أ، حـ لكن جعل فوقها خط، والصواب إثباتها.

١٢- المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص٩١.

١٣- شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢: ٤٣-٤٧.

١٤- المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٣٧، نقل منها البغدادي نصوصًا جليلة في مواضع شتى من الخزانة. انظر ١: ٩، ١٤/ ٢: ٦٢، ٢٧٥، ٤٠٢، ٥٢٢/ ٣: ٤٦/ ٤: ٦٧، ٧٣، ٥٨٢، أ، حـ «مسائل العسكرية» تحريف.

١٥- هو لبيد بن ربيعة، والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه: «وتقادمت بالحبس فالسوبان».

١٦- أ، حـ: لأبي دؤاد» بالهمز.

١٧- روى البيت في اللسان ١: ٢٨٨ هكذا:

يذرين جندل حائر لجنوبها

فكأنها تذكي سنابكها الحبا

١٨- في لسان العرب مادة تلم.

١٩- في الأصل: «ومن»، وصواب النص من اللسان.

٢٠- أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور: «كقول الآخر:

لها أشارير من لحم تتمره

من الثعالي ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب ومن أرانبها» وهذا البيت لأبي كاهل اليشكري كما في اللسان ٥. ١٦١.

٢١- حـ فقط: «في الصناع».

٢٢- يشير إلى بيت غيلان بن سلمة.

٢٣- في اللسان: «قال أبومنصور- وهو الزهري- قال الليث: إن بعضهم قال: التلاميذ الحماليج التي ينفخ فيها. قال: وهذا باطل ما قاله أحد».

الاختلاف في الرأي.. سداد أم فساد؟

بشرى شاكر

غالبا ما نسمع الجملة الاعتيادية «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية»، ولكن في الواقع، اختلاف الرأي بحد ذاته لا يفسد للود قضية فعلا إن قابلناه بنقاش عقلاني ورحابة صدر، ولكن إن واجهنا الرأي الآخر بتعنت وتمسك برأينا وأردنا أن نثبت دائما أننا على حق، فإن ذلك بالتأكيد سوف يفسد الود بل والأواصر والعلاقات أيضا.

كم من نقاش احتدم فيه الجدال إلى أن تحول إلى خصام ثم سباب ولعان ثم نزاع وشقاق وفرقة وشتات. فلماذا لا نتقن نحن العرب فن الحوار ونحن أولى بذلك كمسلمين، ولماذا لا نتقبل رأي الآخر ونستفيد منه عوض أن نعاديه؟

كان رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يقطع حديث أحد، صغر أو علا شأنه حتى لو كان طفلا صغيرا ينصت له ويحاوره، إعلاء لثقافة الحوار وعدم التشدد في التمسك بالرأي وأيضا ليكون قدوة لهذا الصبي الصغير ويعلمه كيف يستمع للآخر قبل أن يدلي برأيه.

إن أردنا أن يسمعنا الآخر، علينا أن نسمعه أيضا ولعل من مقولات حكيم إفريقي قديم: إن لاحظت أن الذي أمامك لا يريد سماعك، فاصمت وأنصت له، ربما تعلم حينها، لماذا لم يكن يستمع لك؟

إن كل الأمور الكونية مبنية على أمرين «إرسال واستقبال» وكذلك الحياة الاجتماعية، تأسس على هذين المفهومين، فأنت ترسل آراءك لغيرك وتستقبل أيضا آراءهم، وإن لم يكن هناك توازن بين الإرسال أي حديثك معهم والاستقبال أي إنصاتك لهم، فلا يمكن أن نسمي ما يجري بينكم حوارا ولا يمكن أن تكون نتيجته ايجابية، فلا يمكن للطرفين أن يستفيدا من بعض ولكن ربما يتنافران أكثر.

أساس المحاورة هو اللين أولا حتى وإن اختلفتما، إن بنيت حوارك على اللين والرفق فلن تجد صدا من الطرف الآخر وإن أبديت عنفا في اللفظ والحركة أو إشارة بعدم تقبل الآخر أو قابلت رأيه بالسخرية، فبالتأكيد ستضطره ليكون في حالة دفاع عن النفس وكما نعلم أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فلا تستغرب إن هاجم آراءك بآراء مضادة فهو لن يفعل أكثر من أن يعكس لك صورتك على مرآته هو، فكلاكما لا يتقن الحوار وكلاكما يحس بالحاجة للدفاع عن رأيه.

قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا موسى وهارون سلام الله عليهما ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه: ٤٣-٤٤)

لقد طغى فرعون ومع ذلك، فاللين يمكنه أن يكسر حتى لغة الطغاة ولكن إن قابلنا جورا وظلما بمعارضة قوية وتجبر اكبر، فقد نبتر للأبد قنطرة التواصل بيننا ونجعل الطاغية أكثر تمسكا بجوره وظلمه لنا.

قد يكون الماء أرق من الصخر ولكنه الأقدر على التسلل بين ثغراته وفي الأخير هو من يفتته لا الصخر من يقضي عليه.

إن التسرع وعدم تفهم مغزى ما يقوله الآخر، قد يكون سبب كل المشاكل مع محيطنا سواء في العمل أو في الوسط الاجتماعي والأسري، ولكن يمكننا تجنب حدوث ذلك في حال ما اتبعنا بعض الطرق السليمة التي وان كان يصعب علينا التقيد بها في بداية الأمر، إلا انه يمكننا أن ندرب أنفسنا عليها وبرمجة حياتنا وفقا لأسسها، أولا علينا ألا نقاطع حديث الآخر وان كنا نعتبره خصما أو ندا، فبمقاطعته، أولا، لا نتمكن من معرفة ما يضمره لنا ونبين له نقط ضعفنا، وثانيا نؤجج نار الخصومة بيننا، فلنترك له مجالا للحديث وبالمثل سيتعلم هو كيف يترك لنا مجالا للرد.

حينما ترد على احدهم، فلتتريث في الجواب وليكن جوابك دقيقا أو مختصرا واضحا، فكم من ردود طويلة تفقد معانيها لأنك تنحى بها من موضوع لآخر، حينما تحس أن المغزى من حديثك وصل للآخر، فلا داعي للإطالة أكثر.

تجنب الردود الغاضبة واكظم غيظك أفضل لك ولمن أمامك.

الصمت أيضا وسيلة تعبيرية استعملها ولا تبخسها حقها، فان أحسست أن صمتك ابلغ من الكلام فاصمت.

حاول أن تفهم وجهة نظر الآخر لكي تشرح له وجهة نظرك إن اختلفت معه في رأيه، أو تثمنها إن كان لك نفس رأيه ولتتعلم منه إن أفحمك بوجهة نظره.

لا ضير أن تتخلى عن رأيك إن لم يكن صوابا، فلا تتمسك بآرائك حتى وان كانت خاطئة ، وحينما تخطئ اعتذر ولا تبحث للآخر عن أخطاء جديدة حتى تتهرب من الاعتذار، فتصيدك أخطاء الآخر وأنت ذاتك مخطئا، سيسد الطريق أمام النقاش وينمي العداء بينكما.

الاختلاف في الرأي يغني ويثري الطرفين ولكن التعنت والانفعال والعصبية والتمسك برأينا، رغم انه يقبل الصواب والخطأ، سيحول السداد إلى كساد وفساد ويحيل الود ضغينة بالتأكيد.

صحافية مغربية

مؤتمر عالمي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية

نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي

تقرير: محمد عويس

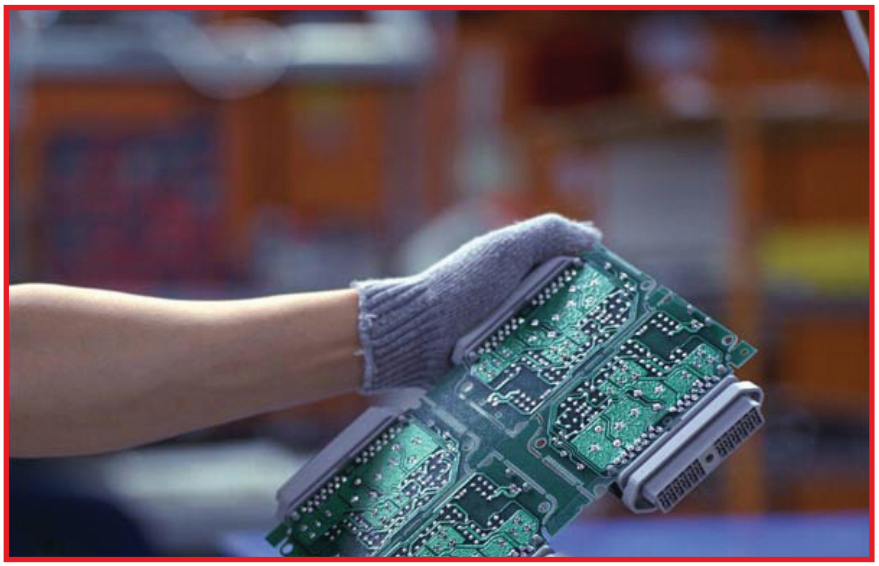
يُعد نقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في الآونة الحالية، لاسيما أن التكنولوجيا هي أساس التقدم الذي تشهده معظم الدول المعاصرة، فبقدر ما تكون الدولة بها درجة عالية من العلم والتكنولوجيا تزداد أهميتها الدولية، وليس الأمر يتصل بالمكانة الدولية التي تحتلها دولة التكنولوجيا في عالمنا المعاصر، ولكن الأمر بالنسبة لعالمنا الإسلامي يفوق ذلك كثيرا، فالتكنولوجيا تهتم بالتطبيقات العلمية للعلوم في مجال الاقتصاد بكل فروعه (الزراعي، والصناعي، والتجاري، والبرمجي، ومجال الفضائيات) وجميع صور التقدم الصناعي والعلمي الذي جعل الكثير من الدول دولا متقدمة رغم أن إمكاناتها تبدو محدودة في كثير من الأحيان، ومثال ذلك الهند التي تقدمت في صناعة البرمجيات، وأصبح أبرز المبرمجين في العالم من الهنود.

وفي إطار ذلك عقدت رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع كلية الدراسات الإسلامية في قطر مؤخرًا مؤتمرا عالميا تحت عنوان «نقل وتوطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي»، وتولى رئاسة شرف المؤتمر د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية، ورئاسة المؤتمر د.جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والمقرر العام للمؤتمر د.حاتم القرنشاوي عميد كلية الدراسات الإسلامية- قطر، بمشاركة نُخبة من رجال الفكر ورؤساء جامعات: الأمير عبدالقادر بالجزائر، و الأزهر، وجامعة القاهرة، وعين شمس، وجامعة القدس، و قطر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و نايف، و الإمام محمد بن سعود، وأم درمان، وكلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وجامعة قطر، و دار السلام كونتور الإسلامية.

وقد أوصى المشاركون في ختام المؤتمر باستخدام اللغة العربية في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، تأليفًا ونشرًا وترجمة في المجالات كافة من خلال مشروع إسلامي للترجمة بما يفتح المجال للاطلاع على أحدث نتائج البحوث العلمية، وبما يسمح بالإضافة والتجديد من خلال تفعيل مشروع معمل اللغة العربية باعتباره مدخلا حاكما لتطوير مناهج اللغة العربية، وتعزيز حركة تعريب العلوم ونقل نظرياتها وتطبيقاتها، وتحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامي، والاستفادة من التجارب الدولية والإقليمية التي حققت قدرًا من السبق العلمي والتقني، وإبرام اتفاقيات تسهل نقل الخبرات وتبادل المصالح بين دوله، وإقرار حوافز تشجع على عودة العقول المهاجرة إلى العالم الإسلامي، وتقلل من استنزاف طاقات الأمة ومقدراتها، وزيادة الإنفاق على التعليم، وتخصيص نسبة ملائمة من دخل الدول الإسلامية للإنفاق على البحث العلمي، وترشيد الإنفاق لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الموارد، والانتقال بالعالم الإسلامي إلى مرحلة الإسهام والإبداع التقني، وإيجاد بيئة علمية واجتماعية تساعد على استيعاب التكنولوجيا وتسهل توطينها في العالم الإسلامي، ووضع الأنظمة التي تشجع الاستثمار في هذا المجال، وتزيد القوة التفاوضية مع الشركات الكبرى في العالم المتقدم، وتلزمها بتعليم الكفايات الإسلامية وتدريبها على التكنولوجيا الجديدة بموجب عقود البيع والاستثمار.

العالم العربي يخلط بين التكنولوجيا ومنجزاتها.. التقدم العلمي ليس نقل المعدات الحديثة ولكن اختراعها وصنعها

ومن الدراسات التي نوقشت في المؤتمر «القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي» للدكتور عبدالله التطاوي من جامعة القاهرة دعا فيها الى الانفتاح على الآخر تأثرًا وتأثيرًا، أخذًا وعطاءً من باب استكمال مسيرة التقدم التي ميزت عصر النهضة منذ أسَّس الرشيد «قلم الترجمة» إلى جوار «علوم الأوائل» مما أدى إلى تدفق المعلومات وثراء مصادر المعرفة لعلماء الأمة على اختلاف مجالاتهم ممن ألفوا أو



صنفوا أو شرحوا أو جمعوا أو حللوا، إلى جانب ما ترجموه من مختلف اللغات عن اليونانية والسريانية والهندية والتركية مما أثرى الفكر العربي بهذه التبادلية، ومما أسهم- بدوره- في تعميق المفهوم الإنساني والموسوعي للثقافة العربية الإسلامية، وأحسبنا في حاجة إلى استدعاء مثل ذلك النمط من التفاعل والتلاقي مع فكر الآخر وإبداعه بدلاً من الاقتصار على مجرد التماهي معه، أو الاكتفاء بموقف الدهشة والانبهار أمام منجزه العلمي دون السعي الدؤوب إلى نقل التكنولوجيا أو توطين المعرفة في عالمنا العربي والإسلامي على النحو المأمول.

ولفت د.محمد إبراهيم منصور مدير مركز الدراسات المستقبلية- مصر- في دراسته «نحو ترتيبات مستقبلية مقترحة لنقل وتوطين وإبداع التكنولوجيا في العالم الإسلامي» إلى أن الدراسات والتقارير التي قامت بتقييم الوضع الراهن لحالة العلوم والتكنولوجيا في العالم الإسلامي أشارت إلى وجود العديد من العوامل أهمها: غياب استراتيجيات واضحة للعلوم والتكنولوجيا، وعدم وجود آلية لربط العلوم والتكنولوجيا باحتياجات الصناعة والاقتصاد الوطني، إلى جانب تدني مستوى الإنفاق على العلوم



والتكنولوجيا وضعف رأس المال البشري وهجرة العقول والكفاءات، بالإضافة إلى الافتقار لوجود إدارة مجتمعية حازمة ضمن جوانب هذه المنظومة، وعلى الدول الإسلامية المتطلعة إلى تبني التكنولوجيات الجديدة أن تبني ثروة فكرية هائلة على طريقتها الخاصة ووفقًا لظروفها ولن يتأتى هذا إلا من خلال:

(أ) توافر موارد مالية ضخمة.

(ب) تعزيز الروابط بين العلوم والتكنولوجيا والقطاع الصناعي.

(ج) توافر مجموعات كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين المؤهلين لأن معظم الدول الإسلامية تعاني نقصًا في هذه المجالات.

وتناول د.يوسف إبراهيم يوسف مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر «مشكلة بناء التكنولوجيا وتوطينها في العالم العربي»، لافتا إلى أن الرأي الشائع في العالم العربي والذي يسير عليه التطبيق يعتبر أن التكنولوجيا هي العدد والآلات المتقدمة التي ترد من الغرب أو الشرق المتقدم، وهم يخلطون بهذا الفهم بين التكنولوجيا ومنجزات التكنولوجيا، إنهم بالتالي يشترون تلك العدد والآلات ويحسبون أنفسهم يدخلون التكنولوجيا إلى الوطن العربي، وإن هذا الطريق لنقل التكنولوجيا طريق ليست لها نهاية، ويترتب عليه ما يلي: بقاء العالم العربي في وضعه التكنولوجي المتخلف يلهث وراء كل جديد من ثمرات التكنولوجيا، والقضاء على التكنولوجيا، وعدم إتاحة الفرصة لبناء تكنولوجيا حديثة، ويستنزف بند الحصول على المعدات التكنولوجية العسكرية والمدنية الجانب الأكبر من موارد العالم العربي، وهي لا تلبث بعد حصوله عليها أن يصيبها البلى المعنوي أو التقادم الفني. لذلك يرى الباحث أنه لابد من أن يغير العالم العربي تفكيره، ويعيد حساباته ويسلك الطريق الذي يمكن أن يصل به إلى بناء تكنولوجيا خاصة به، يشارك بها العالم جهوده التكنولوجية، وتحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال عملية التنمية الاقتصادية فهي التي تخلق التكنولوجيا، وليست التكنولوجيا هي التي تحقق التنمية الاقتصادية، وبناء التكنولوجيا المستقلة لا يعني الانعزال عن التقدم العلمي العالمي، بل إن الاستفادة منه هي إحدى القنوات التي نبني من خلالها التكنولوجيا الخاصة بنا، وإن المنهج الإسلامي هو المؤهل لتحقيق ذلك بامتلاكه القدرة على تحقيق التنمية الاقتصادية التي من خلالها تبنى وتستنبت التكنولوجيا الذاتية للوطن العربي.



شعب الله المختار.. أكذوبة أم حقيقة؟

بهيج بهجت سكيك

كثيرة هي الكتب التي تناولت أسطورة - أكذوبة - خديعة «شعب الله المختار» وأكثر منها من كتبوا عن هذه الأسطورة، وبجميع لغات العالم: فلسطينيون وعرب، وأوروبيون، ويهود، وغيرهم.

وكان بعض اليهود الأكثر وضوحًا في فضح هذه الأسطورة والتوظيف السياسي لها لتحقيق أطماع اليهود في السيطرة على العالم واستعباد شعوبه ونهب موارده.

وربما لا تكون هناك أسطورة في تاريخ البشرية تركت أثرًا في العالم أجمع مثل أسطورة «الشعب المختار» والتي صاغها صانعوها وكاتبوها على أنها تفضيل إلهي لصاحبها بصرف النظر عما يقول ويفعل- وينظر إلى الآخر (الغير) من علٍ - فهو «المرفوض» أو «المستبعد».

وقد سببت تلك الأسطورة عند اليهود تكبرًا على الآخر واحتقارًا له واستهانة بحقوقه ومصادرة أمواله، بل حتى وصلت إلى حد إزهاق الأرواح.

إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات اليهود لحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم، وهذا المفهوم أحد الأسس الدينية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستورًا لهم في الحياة.

ولعل من أكثر الكتب شهرة والتي تناولت هذه الأسطورة، الأكذوبة كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» للفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي» والذي قيل في وقت من الأوقات أنه أعلن إسلامه بعد زيارته لعدد من الدول العربية وتعاطفه مع القضايا العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية، وقد لاحقه اليهود بعد صدور الكتاب وكاد أن يكلفه حياته مع صديقه القس الذي هرب إلى النمسا، وتأتي شهرة هذا الكتاب من أن جارودي تناول هذه الأسطورة مع أساطير أخرى تقوم عليها السياسة الإسرائيلية الحالية، منها: الأرض الموعودة لليهود في فلسطين، واليهود شعب الله المختار، وأسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، ثم أسطورة الهولوكوست: المحرقة النازية لليهود في زمن هتلر، ترجم هذا الكتاب إلى لغات عدة ومنها اللغة العربية وقدم له الكاتب المصري الشهير محمد حسنين هيكل، وامتنعت دور النشر في فرنسا ومعظم دول أوروبا عن نشر أي كتاب له عقابًا له على تطاوله على «شعب الله المختار» وبعد أن كانت أقواله ومقالاته تملأ الصحف والمجلات أصبح نسيًا منسيًا.

القبيلة الثالثة عشرة

في إشارة إلى أبناء يعقوب بن إسحق - المعروف أيضا باسم إسرائيل- وعددهم اثنا عشر، وقد أصبح كل واحد منهم أبًا ورأسًا لقبيلة من قبائل إسرائيل، والذي أعطاهم الله - كما يدعون - «الوعد الأبدي بالأرض» واختارهم من بين شعوب الأرض.

كاتب فلسطيني

آرثر كوستلر - وهو يهودي هنغاري - مجري - ولد عام (١٩٠٥م) ثم رحل إلى بريطانيا ١٩٤١م ألف كتابه الشهير «إمبراطورية الخزر وميراثها» - القبيلة الثالثة عشرة - ومنه قدم بالدليل والبحث الميداني رؤية جديدة للقضية الصهيونية وفيه ينقض مقولة أن اليهود الحاليين ساميون أو أنهم من نسل بني إسرائيل القدامى، وشاركه في هذا البحث الأستاذ «بولياك» مدرس التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب، وفيه ينقض مقولة أن اليهود جنس نقي متميز ويثبت أنهم هجين أجناس لا سمة خاصة له، واعتمد في ذلك على دراسات أصدرتها اليونسكو، ونفت فيها الاستقلال الجنسي لليهود، كما أنه ينفي تمامًا أن لليهود اليوم تراثهم الحضاري المشترك ويؤكد أن ما يصدر عنهم اليوم ليس يهوديًا بالمعنى المحدد وإنما هو جزء من تراث لثقافات وحضارات الشعوب التي يعيشون بينها!

القبيلة الثالثة عشرة، إشارة إلى أن يهود الخزر- وهم شعب قوقازي من أصل تركي سكنوا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود وشمالها، وقد كونوا إمبراطورية مزدهرة مابين القرنين السابع الميلادي والحادي عشر، وهم لا يمتون بصلة إلى نسل يعقوب وإسحق وإبراهيم، ولا علاقة لهم بفلسطين، ولا بـ «وعد الرب» ولا «اختيارهم» ليعمروا الأرض - من الفرات إلى النيل- بل إنهم شعب تركي قد «تهود» في القرن الحادي عشر هروبًا من الضغط المسيحي في الغرب - الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة، والضغط الشرقي للمسلمين في آسيا الوسطى وفي الجنوب، لقد تهود هؤلاء الخزر بعد كتابة التوراة اليهودية بعدة قرون.

يقول «كوستلر» إن التباين الواسع المدى بين المميزات الجسدية للجماعة اليهودية والتفاوت بين تكرار الجينات في فصائل دمهم يشكفان عن التناقض في أي تصنيف جنسي لهم، «أنهم طائفة دينية مكونة من

مفهوم تلمودي يعتبره اليهود دستورًا.. ابتكره الحاخامات لحض اليهود على السيطرة على العالم

عناصر سلالية اكتسبتها من عمليات اعتناق الدين، ويستند إلى الكتاب المقدس لهم فيقول: لقد صاهر اليهود العبريون القدامى العموريين، وهم شعب طويل القامة شقر طوال الرؤوس، والحيثيين وهم مغول سود البشرة، والكوشيين جنس زنجي وآخرين غيرهم...

مملكة الصعاليك

جورجي كنعان مؤلف هذا الكتاب وصاحب مؤلفات قبله، لها علاقة بالموضوع منها «تاريخ يهوه» و«الأصولية المسيحية» و«محمد واليهودية» و «تاريخ الله» يقول في كتابه: إن موضوع «أرض فلسطين» هو الهم الذي يملأ حياتي ويغمس في صحني وأنه يقصد من كتابه هذا العمل على إحياء الحق الموءود، أو على الأقل إجلاء وجهه المطموس.

ويعني ذلك تحرير تاريخ فلسطين من شبكة الدراسات التوراتية والتي شحنت الغربيين بالأيدلوجيا اليهودية، ومنهم طوائف الإنجيليين والمعمدانيين والدهريين والمتجددين والسبتيين وشهود يهوه وجميعهم منشقون عن البروتستانتية، وهم الذين يقدمون الدعم بكافة أشكاله إلى هؤلاء «الصعاليك» ويعني بهم أولئك المشردين الذين قدموا من أركان المعمورة الأربعة واحتلوا فلسطين تحقيقًا لدعاوى توراتية مزعومة، ويستعرض في أبواب كتابه «الذهنية اليهودية» مجلدات من المزاعم: أرض الميعاد، شعب الله المختار، الوعد الإلهي، بالأسانيد والشهادات من سياسيين ورجال دين وأكاديميين، وقد أفرد بابًا خاصا عن: لماذا الإصرار على المزاعم؟ والإلحاح على ترديدها!

ويصر على إلصاق صفة «الصعلكة» باليهود من عهد داود وإلى اليوم لأن اليهود دخلوا فلسطين أول مرة متسللين ببطء رعاة، متغربين ينتجعون الكلأ والماء في أرض وفَّر أصحابها الأمان لهؤلاء الرعاة.

يخلص الكاتب إلى أن اليهود اختلفوا أو ابتدعوا أو اخترعوا مملكة قديمة وركَّبوا تاريخًا لتلك المملكة على اعتبار أن الدولة المختلفة والتاريخ المركب لها هما وحدهما اللذان يبرران الحق في امتلاك أرض فلسطين وإعادة بناء دولة يهودية تكون امتدادًا واستمرارًا للدولة اليهودية.

الشعب المختار

«الشعب المختار»، الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأميركا: عنوان ألفه الإنجليزي «كليفورد لونجلي» وصدر في يناير ٢٠٠٢م من ثلاثة أجزاء وقام بترجمته إلى العربية د.قاسم عبده قاسم. «لونجلي» المؤلف والصحافي والإذاعي الذي يكتب في جريدتي التايمز والديلي تلجراف، يرى أن أسطورة الشعب المختار التي اختلقها اليهود من أجل السيطرة على فلسطين انتقلت عدواها إلى ثقافة الإنجلو ساكسون- (إنجلترا أولاً ثم أميركا بعدها) وشكلت الثقافة والدعامة في هجرة البيوريتاتز لأميركا وما تلاها من حرب أهلية في أميركا.. قادت إلى الاستقلال.

كما أنها بررت للرجل الأبيض استعمار أجزاء واسعة من العالم في آسيا وإفريقيا بحجة التمدين واستعباد الزنوج بحضارة الرجل الأبيض.

انتقلت عدوى وامتياز «الشعب المختار» بأجزائه الثلاثة مصداقية أو كذب هذه الأسطورة، فقد أقر بكذبها حين أسماها أسطورة Chosen People:The big idea that shaped England and America بل كتب أن هذه الفكرة- الكذبة- ولدت كذبة أخرى شكلت سياسة إنجلترا أولاً ثم أميركا بعدها التي حاولت-

وما تزال - أن تفرض قيمها ونمط الحياة الأميركية على الشعوب الأخرى خصوصًا في الشرق الأوسط لتأمين مصالحها، مدعومة بالصهيونية (المسيحية واليهودية) العالمية.

حائط البراق.. (المبكى)

إن أسطورة الشعب المختار، عززت أسطورة أخرى هي: «أرض الميعاد» وهذه بدورها خلقت أكذوبة ثالثة هي «حائط المبكى» وهو في الواقع الحائط الغربي للمسجد الأقصى في القدس والذي يرتبط بقصة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، وهو المكان الذي ربط فيه رسول الله ﷺ دابة «البراق» التي صعدت به إلى السماء، فقد كان اليهود يؤدون صلواتهم في عدة أماكن - بعيدًا عن أعين المسلمين- فأمر السلطان العثماني سليمان القانوني المهندس المعماري الشهير «سنان باشا» ببناء سور لليهود في الناحية الغربية من المسجد ليؤدوا صلواتهم خلفه! وفي مطلع القرن العشرين تم توظيف هذه الأسطورة لأغراض سياسية اخترعتها الصهيونية - وهي تثبيت الحق اليهودي في فلسطين بادعاء أن الحائط الغربي - البراق- هو من بقايا معبد سليمان مما دعا أبناء فلسطين إلى ثورة عارمة عرفت بثورة البراق، و قد قامت سلطات الاحتلال البريطاني بقمعها بوحشية- ومنذ عام ١٩٤٨م - عام قيام دولة إسرائيل، وحتى عام ١٩٦٧م بقي حائط المبكى (البراق) شبه مهجور لوقوعه في الجزء الشرقي من القدس والذي أشرفت على إدارته المملكة الأردنية الهاشمية مع باقي ما عرف بالضفة الغربية للأردن.

وبعد عام ١٩٦٧م وسقوط الضفة الغربية ومعها القدس بيد الاحتلال الإسرائيلي قامت إسرائيل بإزالة حي «المغاربة» المحاذي للسور وتوسعة الساحة ورصفها الجهة المواجهة للحائط، ومنعت المسلمين من الاقتراب منها.

بل وصلت بهم الجرأة، بعد هزائم العرب



أمامهم وتخاذلهم، وتعاظم قوتهم العسكرية ووقوف المعسكر الغربي- الولايات المتحدة وأوروبا- معهم إلى إظهار «مجسم» لهيكل سليمان في القنوات الفضائية والصحف والمجلات- بل أظهروا حجر الأساس، الذي سيقوم عليه هذا الهيكل..! محمولًا على عربة، وهم يحتفظون به في مكان قريب من المسجد الأقصى، علما بأنه قد حكمت لجنة دولية من عصبة الأمم بملكية المسلمين لهذا الحائط.

المسيح الأميركي الصهيوني

يقول «رضا هلال» في دراسته «المسيح الأميركي الصهيوني» والتي نشرت في مجلة العصور الجديدة ١٩٩٩م أن المستعمرين البروتستانت وصلوا إلى «العالم الجديد» تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى فأطلقوا على أميركا اسم «أرض الميعاد» و«إسرائيل الجديدة»، وأنهم «الشعب المختار الجديد»، وزادت هذه النزعة المسيحية المتهودة مع «البيورتيان» المتطهرين (مذهب جون كالفن) وهي أشد الطوائف المسيحية تطرفًا من ناحية الاعتقاد في حرفية الكتاب المقدس ونبوءات العهد القديم، وهكذا فإن الانتماء الصهيوني لدى الأميركيين قد تغلغل في روحهم قبل الظهور (اللوبي اليهودي)!

وخلص في دراسته إلى عدة حقائق أهمها:

١- المسيحيون البروتستانت جاءوا إلى العالم الجديد بروح إسرائيلية.

٢- الأميركيون أصبحوا «شعب الله المختار» الجديد.

٣- الحركة المسيحية الصهيونية سبقت الحركة الصهيونية اليهودية!

٤- الأميركي الحقيقي لابد أن يكون صهيونيًا.

٥- حرب عام ١٩٦٧م أعطت روحًا جديدة للمسيحية الصهيونية.

٦- احتلال القدس أهم من قيام إسرائيل!

خاتمة

وبعد! هل نعي نحن الفلسطينيين خاصة والعرب والمسلمين عامة هذه العلاقة الحيوية التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل! وهل نعرف عدد وأهداف الجمعيات والمؤسسات الأميركية التي تؤازر وتساعد إسرائيل؟

ومنها مؤسسة «جيل المعبد» التي تهدف إلى إقامة الهيكل مكان المسجد الأقصى ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية التي تهدف إلى تهويد القدس.. - العاصمة الأبدية لإسرائيل بزعمهم - والمصرف المسيحي الأميركي لأجل إسرائيل وغيرها كثير! وهل نعرف عدد المرات التي اتخذت فيها أميركا حق النقض (الفيتو) لمشروعات قرارات لصالح القضية الفلسطينية تأييدًا لإسرائيل! وآخرها الفيتو المعلن قبل صدوره بحق انضمام دولة فلسطين إلى هيئة الأمم المحدة.

وهل ندرك ضخامة تأثير اللوبي اليهودي الصهيوني، في أميركا؟ وآخرها مشروع القرار الذي تقدم به ٣٠ نائبًا في الكونغرس الأميركي من الحزبين معًا- الجمهوري والديمقراطي «باعتبار الأسرى الفلسطينيين الذين تحرروا الفترة الماضية من سجون إسرائيل مقابل الجندي الإسرائيلي، «شاليط» اعتبارهم خطرين على أمن إسرائيل وأميركا واعتبارهم إرهابيين، وأخيرًا لماذا كتب أميركيان هما «ويريل دين ديفيز» و«ضياء الذين سرداد» كتابهما «لماذا يكره العالم أميركا؟» Why do people hate America والذي سجلا فيه كل جرائم الولايات المتحدة الأميركية في القارات الست باعتبارها شعب الله المختار الجديد.



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونيه.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

الفقه المستقبلي.. تأصيل وآفاق

عبدالفتاح همام

فقه المستقبل.. الفقه الاستئنافي.. الفقه الارتيادي.. فقه التوقع.. كلها مفردات عرفت طريقها إلى الخطاب الفقهي المعاصر، اختلفت ألفاظها وتقاربت معانيها، دالة على فقه قديم متجدد، أصيل الموضوع جديد المصطلح، سرى في رياض كتب الفقه وفروعه ومسائله، وإن لم يأخذ حقه من التأصيل والانفصال والتميز، وهو يلتقي مع ما يسمى قديمًا «الفقه الافتراضي»، ويتصالح مع ما يسمى حديثًا باستشراف المستقبل أو الدراسات المستقبلية، فهو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة وأبعادها وآثارها ومحاولة تكييفها وتنزيلها على نصوص الشرع، أو هو الفقه الذي يراعي عنصر المستقبل وأحداثه ومتغيراته عند الحكم على قضية من القضايا الواقعة أو المتوقعة، ويمكن تحديد أهم عناصر هذا الفقه في محاور عدة:

المحور الأول: ضرورة استحضار البعد المستقبلي والنظر المآلي عند دراسة أي قضية، إذ يجب على الفقيه أن ينظر في عواقب فتواه ومآلاتها وآثارها السلبية والإيجابية من خلال تحقيقها للمصلحة أو المفسدة، أو بمعنى آخر لابد من أن يستدعى عنصر المستقبل عند محل التنزيل وتكييف المسائل.

المحور الثاني: معالجة الآثار الناجمة عن بعض الفتاوى التي غيبت النظر المآلي الاستقبالي، ومعالجة الغياب الفقهي وأثره في حياة الأمة، ويمكن أن نسمي هذا النوع من الفقه «فقه المراجعات» لإعادة النظر في كثير من القضايا، وخصوصًا التي تهم مستقبل الأمة، وإحياء هذه الفقه مهم جدًا، لاسيما بعد انتشار ظاهرة التفاتي في الفضائيات، وإفتاء بعض الناس على الهواء مباشرة دون نظر لبعدي المكان والزمان لدى المستفتين، فضلًا عن دراسة أحوالهم وظروفهم.

المحور الثالث: أن الفقه الافتراضي توقع حدوث أمر من الأمور ثم تصويره تصويرًا سليمًا ثم محاولة تنزيله وتكييفه، ويتجلى العنصر المستقبلي في هذا النوع من الفقه من ناحيتين، الأولى أنه يعالج ما يتوقع حدوثه مستقبلًا، والثانية أنه يجب النظر إلى البعد المستقبلي للمتوقعات عند إعطائها الحكم الشرعي.

المحور الرابع: تقديم بدائل حضارية ورؤى إسلامية لكل جوانب الحياة، انطلاقًا من عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، لا سيما بعد أن جربت البشرية أغلب النظم الوضعية سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا لتخرجها من التيه فلم تفلح.

والمتأمل في مصادر التلقي الشرعي، وكذلك في تراثنا الفقهي يجد أن أصول هذا الفقه ومناهجه مبثوثة في أرجائه وأنحائه، ولكنها تحتاج إلى من يخلصها ويرصدها ويسبكها في حبل فقهي متين، فقد راعى القرآن الكريم عنصر المستقبل، وحثنا على العمل لهذا المستقبل والاستعداد له، كما حذرنا من التقاعس والتكاسل عنه، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩).

وقد كان النظر إلى المستقبل وما يحدث فيه عاملًا مخففًا لبعض التكاليف على المسلمين، هذا ما قصه القرآن في سورة المزمل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠).

ولقد راعت السنة هذا البعد المآلي

ماجستير في الفقه الإسلامي - كلية دار العلوم جامعة القاهرة



والنظر المستقبلي، فمن ذلك مثلا امتناع رسول الله ﷺ عن قتل المنافقين وقال: «أخاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

فقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين- مع مشروعيته- لما يترتب عليه من آثار وعواقب في المستقبل تتنافى مع مقاصد الدين نفسه، إذ تحدث نفرة من هذا الدين وتشويهًا وصدًّا عن سبيل الله، فضلًا عن الاستغلال الإعلامي المغرض لهذا الحدث، ومنه أيضًا قول رسول الله ﷺ لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»، فامتنع النبي ﷺ عن إعادة بنيان البيت الذي هو لب ركن من أركان الحج نظرًا إلى مآلاته المستقبلية وعواقبه وما يترتب على ذلك من مفاسد.

والمنظومة المعرفية الأصولية قد اعتبرت الرؤية المستقبلية في خطتها، فقد قرر العلماء أن الأصل العام في الشريعة جاء لمصالح الناس في العاجل والآجل (الحاضر والمستقبل)، قال الشاطبي: «إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا»

ومن أهم الأصول التي تشهد لاعتبار المستقبل اعتبار المآل «وهو أصل كلي

هو الفقه المستشرف للنوازل والأحداث المتوقعة و تكييفها مع نصوص الشرع

يقتضي اعتباره تنزيل الحكم على الفعل بما يناسب عاقبته المتوقعة استقبالاً»

وللشاطبي كلام جيد في تأصيل هذا الأصل إذ يقول: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل».

وسد الذرائع أيضًا مبناه على النظر المستقبلي، ولذلك بناه الشاطبي على قاعدة اعتبار المآلات، وحقيقة سد الذرائع تحريم أمر مباح يتوصل به إلى محظور.

وهناك عدة قواعد فقهية متناثرة ناقشها الأصوليون متعلقة بفقه التوقع منها: الأشياء تحرم وتحل بمآلاتها، والأمور بعواقبها، والعبر للمآل لا للحال، والمتوقع كالواقع، ولا يبطل التصرف إلا إذا ظهر قصده إلى المآل الممنوع، والضرر في المآل ينزل منزلة الضرر الحال، والزواجر لدرء المفاسد المتوقعة، وهل العبرة بالحال أو بالمآل؟ وما قارب الشيء.. هل يعطى حكمه؟ والمشرف على الزوال.. هل يعطى حكمه؟...إلخ.

وفي تراثنا الفقهي تجربة عملية لهذا الفقه بحاجة إلى تأمل وتأصيل، وهي تجربة السادة الأحناف، فلقد كان لأبي حنيفة وأصحابه تميز ظاهر في فرض المسائل وكثرة التفريع، قال الشيخ محمد الخضري: «إن فقهاء العراق اعتمدوا كثيرًا على قوة التخيل، فأدى ذلك بهم إلى أن أخرجوا للناس ألوفًا من المسائل، منها ما يمكن وجوده ومنها ما تنقضي الأجيال ولا يحس الإنسان بوجوده».

وروى الخطيب البغدادي أن قتادة بن دعامة دخل الكوفة فاجتمع إليه خلق كثير فقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقال له أبوحنيفة: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعوامًا فظنت امرأته أنه مات فتزوجت ثم رجع زوجها الأول، فقال قتادة: أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا، قال: فلم تسألني عما لم يقع فقال أبوحنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

وثمة تساؤلات ملحة حول طبيعة العلاقة بين الفقه وهذه الدراسات المستقبلية أعتقد أن محاولة الإجابة عنها ومعالجتها ستفضي بنا إلى مرحلة الاستثمار والتفعيل لهذه العلوم، وهذا هو المقصود، من هذه التساؤلات: أهي علاقة تكاملية أم تأثيرية أم تبادلية؟ وما نقاط الالتقاء بينهما؟ وما أبرز وجوه الاختلاف؟ وهل يمكن للفقه الإسلامي استيعاب هذه الدراسات ليفيد منها؟ وكيف يمكنه أن يقدم طروحاته لهذا الدراسات المستقبلية، ليسهم في توجيهها وتقديم مناهج استشرافية مضبوطة متفق عليها، ومصوغة صياغة تتماشى مع ثوابتنا وتراعي متغيراتنا؟

العمل أساس الإصلاح الاجتماعي

أمراض أمتنا الاجتماعية متعددة ومتنوعة وهي بلا شك أكثر من أن تعد وتحصى، لكن من اهم هذه الأمراض الاجتماعية وربما يكون أخطرها كثرة الأقوال وقلة الأعمال.. هذه حقيقة يلمسها القاصي والداني، وهي أن الأعمال لا تتناسب مع الأقوال بل وأن الأعمال أيضا دون المستوى المطلوب من حيث الجودة والإتقان والإخلاص!

لقد كان النبي ﷺ من أقل الناس كلامًا ولكنه كان أكثرهم عملاً، فقد كان إذا قال أوجز ولكن قوله كان فصل الخطاب، وكانت أقواله بالنسبة إلى أعماله - نسبيًا- يسيرة، إذ إن أعماله تفوق أقواله.

إن إسلامنا يدعونا إلى العمل والبذل والعطاء، والمسلم بلا عمل شجرة بلا ثمر ترتوي من ماء الأرض دون أن تعطي أي شيء وهذا ليس من خلق المسلم ولا يحقق غرض إعمار الأرض، كما يريده الله عز وجل.

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من القول بلا عمل فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

إن المسلم إذا اقترن قوله بعمله تحول إلى طاقة وقوة بناء إيجابية تستطيع أن تقضي على معظم أمراضنا الاجتماعية، التي نعاني منها اليوم والتي أدت إلى تخلفنا في جميع مناحي الحياة وبتنا مستهلكين لإنتاج الآخرين، نأكل ونلبس ونركب مما صنع غيرنا!

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قارئنا الكريم تسليط الضوء على بعض الأمراض الاجتماعية وسبل الخلاص منها، لعل أمتنا تتلمس الطريق الصحيح المؤدي إلى نهضة شاملة، والله الهادي إلى

التحرير

إحياء خلق المسؤولية

عبدالمجيد إبراهيم

عندما جاء الإسلام أراد أن يبني مجتمعًا متكاملاً، يقوم كل فرد فيه بدوره وعمله على أكمل وجه، ومن ثم جعل من أسسه أن يربي أبناءه على خلق تحمل المسؤولية، فخاطب رسول الله ﷺ الأمة جمعيًا خطابًا عامًا يشمل الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والرجال والنساء، بأن يلتزم كل واحد بصلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه، فقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، ولكن لما كانت هذه المسؤولية في حاجة إلى وعاء يشملها ومكان تنبت وتنمو فيه، خص من هذا العموم والشمول: الأسرة، بما اشتملت عليه من أب وأم وخادم، إذ هي نواة المجتمع، يولد الفرد في ضوئها، ويعيش في كنفها، ويتغذى من أخلاقها، ويرتوي برعايتها وتوجيهها، ويحيطه أمنها واستقرارها، إذ ليس الأمر فيها مقصورًا على توفير الطعام والشراب والملبس، فقال ﷺ: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»، وبناء على هذه المسؤولية العامة المطلقة، التي أكدها رسول الله ﷺ مرة ثانية، ينبغي ألا ينسحب أي فرد في المجتمع من ميدان عمله، مادام مؤهلاً له، تحت أي ادعاء، أو يهرب منه خوفًا من المسؤولية، وإنما عليه أن يعلم أن الذي أوجبها عليه وهو الله ضمن له الإعانة والتيسير، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى﴾ (الليل: ٥-٧)، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

ثم أراد الإسلام أن يضع بعض الضوابط التي تحقق هذه المسؤولية، وتجعلها تؤتي ثمارها وارفة على المجتمع، وذلك بدعوته إلى إتقان العمل، فقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، فهو يشمل كل أحد وكل عمل، وبذلك يسود الإتقان في المجتمع كله، فيصبح متكاملاً متعاونًا يقوم كل فرد فيه بما عليه حق القيام، وهو يشير- أيضًا- إلى أنه ليس على كل أحد أن ينشغل بعمله فقط، وإنما يطلب منه كذلك كيفية تجويده وتحسينه والارتقاء به، حتى يكون العمل جادًا ومثمرًا، وقد تكفل الله سبحانه وضمن الأجر العظيم على ذلك فقال: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٣٠)، كما جعل من ضوابطه المراقبة، فقال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥)، فأول المراقبين هو الله، مما

باحث في الدراسات الإسلامية





يعني أنه ينبغي أن يكون المؤمن ملتزما في عمله من أعماق قلبه وقالبه، لأنه يستحيل عليه أن يجعل الله أهون الناظرين إليه، وإلا كان إيمانه ناقصا، ثم عطف المؤمنين على الله ورسوله، ليكون بمنزلة دعوة إلى إقامة الرقابة بعضنا على بعض في حدود الإسلام وضوابطه، وقبل الإتقان والمراقبة لابد من شرط الكفاءة، أي ليس فقط وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإنما ينبغي أن يختار المتخصص الكفء، الذي سيساعد على الإبداع في الإنجاز، وعلى الوفرة والجودة في الإنتاج، ويجب أن تكون هذه الشروط جميعا محاطة بسياج العدل، لأنه أساس الملك، وهو الذي يوجب تأييد الله وتوفيقه.

وفي ضوء هذا الهدي الإسلامي الرفيع من تحمل المسؤولية، عاش الأولون من المسلمين، فهذا أبوبكر الصديق الخليفة الأول رضي الله عنه يقول في خطبته بعد البيعة: «يأيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، أطيعوني ما أطعت

الكفاءة .. الإتقان.. المراقبة.. عناصر المسؤولية في التصور الإسلامي

الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني قد وليت أموركم أيها الناس، واعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ويتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم».

وهذا عمر بن عبدالعزيز، الذي ملأ الأرض عدلًا وكان للرعية أمنا وأمانًا وعلى من خالفه حجة وبرهانًا، قال مولاه له حين رجع من جنازة سليمان، مالي أراك مغتمًّا؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم له، ليس من أمة محمد ﷺ أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غير كاتب إلي فيه، ولا طالبه مني.

ومما كتبه إلي ولي العهد من بعده يزيد بن عبدالملك: وقد علمت أني مسؤول عما وليت، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا، فعليك بتقوى الله، والرعية.. الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلًا حتى تلحق باللطيف الخبير.

فكل واحد منهم كان يبين مسؤوليته والتزامه بها تجاه رعيته، وحرصه على تحقيق مصالحهم جميعًا، الضعيف منهم والقوي، الكبير والصغير، بما يضمن لهم الأمن والاستقرار، ويحقق لهم العدل والمساواة، وفي الوقت نفسه كان يحمّل رعيته مسؤوليتها نحوه، طاعة أو تقويمًا، ونصحًا وإعانة، إذ ينبغي أن يكون من الشعب والرعية من تحمل المسؤولية مثل ما يكون من الراعي، سواء بسواء، وبهذا طالب عبدالملك بن مروان رعيته قائلًا لهم: أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلًا على كل.

أيها القارئ، هذا عن المسؤولية مطلقًا باعتبارها صفة أساسية وخلقًا ملازما للمؤمن، فلاشك أننا في وقت الشدائد والأزمات أشد احتياجا إلى إحياء خلق المسؤولية

الجوانب الخفية لمشكلة البطالة

د.عبدالرحمن النمر

إلى زمن غير بعيد، لم تكن كلمةُ «البطالة» شائعةَ الاستعمال. ولكنها في السنوات الأخيرة صارت صُلْبَ أيِّ حديث عن الاقتصاد، ولبِّ أي كلام في السياسة، ومادةَ الصحف اليومية ونشراتِ الأخبار، في كثير من بِلاد العالم.

سبب ذلك أن البطالة ليست مجرد مشكلة اقتصادية- كما تبدو للوهلة الأولى، ولكنها ظاهرة اجتماعية ذاتُ أبعاد خطيرة علي مستوى الفرد، وعلي مستوى الأسرة، وعلي مستوى المجتمع ككل، وحتى علي المستوى الدولي! وتتداخل أبعاد البطالة وتتشابك آثارها على كل المستويات، واستكشاف تلك الأبعاد والآثار يعطي فكرة عن الحجم الحقيقي لواحدةٍ من أضخمِ مشكلات المجتمع الإنساني في العصر الحاضر.

الأبعاد الفردية

في الأسابيع الأولى من البطالة قد يشعر العاطل عن العمل بشيء من الراحة، نتيجة عدم التقيد بالروتين الذي يفرضه الارتباط بعمل. إلا أن هذا الشعور بالراحة يختفي تدريجيًّا ليحل محله شعور بالملل والرتابة، وتدريجيًّا تتحول مشاعر الرتابة والملل إلى شعور بالخُوَاء، تفقد الحياة معه معناها! هنا يولد الاكتئاب- أكثر العلل النفسية ارتباطًا بالبطالة.

في محاولة للتسرية عن النفس وتزجية الوقت- أو بالدقة قتله- يبحث العاطل عن العمل عن شيء أو وسيلة تنسيه همومه وأحزانه، غالبا ما تكون الوسيلة هي تعاطي العقاقير المخدرة والمُسْكرة، وهنا تولد مشكلة الإدمان- أخطر المَشكلات الفردية والاجتماعية والصحية المرتبطة بالبطالة.

من النادر أن ينصرف العاطل عن العمل إلي استثمار الوقت في مزاولة رياضة بدنية، أو اكتساب مهارة حرفية جديدة، بسبب الاكتئاب، فمع الاكتئاب تضمحل الطاقة وينخفض النشاط، وتقل القدرة علي التركيز، فضلًا عن فقدان الدافع للانخراط في أي عمل مثمر، هذا علاوة على أن العاطل عن العمل شخص محدود الدخل أو ليس له دخل مالي بالمرة، والأغلب والحال كذلك أن يتجه العاطل إلي تسكين همومه، وليس إلي استثمار وقته.

على أن تسكين الهموم له ثمن، فالعقاقير المخدرة والمسكرة لا توزع مجانًا للمنكوبين والمحزونين، وإنما تباع بثمن باهظ! ولكي يحصل العاطل عن العمل على ثمن المسكن، فإنه لا يجد إلا أن يخرج على القانون. وهنا تولد الجريمة- الوليد البشع للبطالة.

مما يشجع العاطل عن العمل على ارتكاب الجريمة إحساسُه أنه منبوذٌ من المجتمع، وهو إحساس مرير يدفع إلي التمرد علي المجتمع وإلحاقِ الأذى به.

على أي حال، فإن هذا الكلام لا ينسحب على جميع العاطلين عن العمل، ولكنه سياق الأحداث الطبيعي للكثير منهم، خصوصًا مَنْ هم في طور الشباب. وسواء انتهى تسلسل الأحداث في حياة العاطل عن العمل بارتكاب الجريمة أم لا، فالمؤكد أنه إنسان مصاب بالإحباط، وعنده إحساس بالنبذ أو الرفض من المجتمع- أو في القليل شعور بأنه «مختلف عن الآخرين»! وهذه المحصلة لها بدورها انعكاسات وآثار سلبية.

الأبعاد الأسرية

أسرة العاطل عن العمل محدودة الدخل بطبيعة الحال. وهذا له تأثيره على الأطفال في الأسرة في المقام الأول، فالدخل المحدود لا يوفر للأطفال مستوى جيدًا من الغذاء، وبالتالي فإن أمراض سوء التغذية وملحقاتها- مثل الكساح وفقر الدم وضعف البنية وغيرها- ثمن مدفوع رغم أنف الجميع!

وتنعكس الحالة الصحية المتدهورة للطفل في أسرة العاطل عن العمل، في تدهور المستوى التعليمي والتحصيل الدراسي، إذ كثيرًا ما يتغيب الطفل عن الدراسة بسبب تدهور صحته.

في السنوات الأولى من العمر قد لا يعي الطفل من الأمور شيئا. لكن مع تقدمه في العمر وتفتح ذهنه ينمو مع الطفل شعور بالحرمان والظلم، وأنه- مثل أبيه- مختلف عن الآخرين ومنبوذ من المجتمع! ولا عجب، والحال كذلك، أن ينخرط هذا الطفل في سلك المشاغبين والساخطين على المجتمع. ومثل هذا الطفل يكون تربة خصبة لغرس بذور الجريمة.

من جهة أخرى فإن انخفاض مستوى دخل أسرة العاطل عن العمل يؤدي إلى ظروف معيشية صعبة وقاسية بوجه عام، ففضلًا عن الحرمان من كثير من مباهج الحياة، فإن أسرة في تلك الظروف يتعين عليها أن تتكيف مع البرد القارس دون دِثار، وأن تصبر علي الجوع، وأن تتعايش مع الإضاءة الخافتة، وأن تقبل مستوى النظافة المنخفض، وأن تحتمل ازدحام

طبيب بشري



البيت الصغير بساكنيه!

في هذه الظروف المعيشية السيئة تتهيأ الفرصة للإصابة بالأمراض العضوية والنفسية، كما يكون الجو مهيأ لنشأة مشاحنات أسرية تقود إلى تقويض دعائم الأسرة أحيانا، وإلى القسوة على الأطفال أحيانا أخرى، ونتيجة لذلك تتفكك عشرات الأسر كنتيجة مباشرة للبطالة، كما يعاني كثير من الأطفال من مختلف الإصابات نتيجة قسوة آبائهم عليهم، كرد فعل للشعور بالإحباط من ظروف قاسية.

وإذا تحول رب الأسرة إلى الإدمان، زادت الأمور سوءًا! فتحت تأثير العقار يمكن أن يؤذي الأب أطفاله وزوجه، كما أن موارد الأسرة المحدودة سوف توجه لشراء العقار، فتزداد الأسرة فقرًا على فقر. وتبلغ المأساة أَوْجَها إذا وقع رب الأسرة العاطل عن العمل في حبائل الجريمة، فيضاف إلى معاناة الأسرة وحرمانها الشعورُ بالخزي الاجتماعي، مع مزيد من النبذ من المجتمع، ومزيد من المشاعر المناهضة للمجتمع، في حلقة مفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها!

الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية

البطالة لا تعني فحسب خسارةَ طاقة منتجة، ولكنها تعني خسارةً مركبة على أكثر من صعيد. ففي كثير من البلدان تنفق الحكومات ما يصل أحيانا إلى ثلث الدخل القومي على هيئة منح مالية شهرية للعاطلين عن العمل.

وهناك خسارة أخرى تتمثل في الأموال الطائلة التي تنفق كل عام لعلاج الأمراض التي نشأت في ظروف البطالة، ففي بريطانيا- على سبيل المثال- ثلاثون في المائة (٣٠ ٪) من الاستشارات الطبية في أيّ يوم تخص العاطلين عن العمل، وخمسة وخمسون في المائة (٥٥ ٪) من الأطفال الذين يترددون علي عيادات الأطباء ينتمون إلى أسر العاطلين عن العمل!

وفي حقل الإدمان (تعاطي العقاقير المخدرة والمسكرة) فإن أربعة من كل خمسة مدمنين (أي بنسبة ٨٠ ٪) يأتون من قطاع العاطلين عن العمل، (هذا الإحصاء كذلك من بريطانيا)، وعلاج الإدمان، علاوة على أنه عملية عقيمة تستغرق زمنًا طويلاً يصل إلى شهور وأحيانًا إلى سنوات، فإنه يستنزف أموالاً طائلة.

على مستوى المجتمع تتضح فداحة الخسارة بالنظر إلى معدلات الجريمة، فأكثر من ثلاثة وستين في المائة (٦٣ ٪) من مرتكبي جرائم السطو المسلح هم من العاطلين عن العمل! أما عصابات تهريب وتسويق المخدرات، فأكثر من تسعين في المائة (٩٠ ٪) من أفرادها ينتمون إلى فئة العاطلين عن العمل، الباحثين عن حل سريع لمحنتهم المالية.

معنى ذلك أن المجتمع لا يخسر فحسب أيديًا عاملةً وطاقة منتجة، ولكنه يخسر كذلك بتحول بعض أفراد المجتمع إلى عناصر هدامة، أضف إلى ذلك النفقات الباهظة التي تصرف كل عام لمكافحة معدلات الجريمة المتزايدة، وللإنفاق على السجون التي ينمو أعداد نزلائها يوما بعد يوم!

وعلى المدى البعيد تتمثل خسارة المجتمع في فقدان أطفال الأسر العاطلة عن العمل، فهؤلاء الأطفال إما مصابون بأمراض عضوية مزمنة، مثل التهاب القصبة الهوائية المزمن الذي ينشأ نتيجة الظروف المعيشية المتدنية، وإما مصابون بأمراض نفسية، تتمثل في الشعور بالاضطهاد والحقد على النظام الاجتماعي القائم، وفي الحالتين فإن تلك الأمراض لا تهيئ الطفل لأن يكون لَبِنَةً صالحة منتجة في مجتمعه، فإذا أضيفت إلى تلك العوامل حقيقة أن أولئك الأطفال يتدهور مستواهم التعليمي بسبب تدهور صحتهم وسوء ظروف أسرهم، أدركنا نوع الأجيال المتوقعة في مستقبل يتطلب مزيدًا من الكفاءة العلمية والدراية المهنية.

الأقليات المهاجرة والأبعاد الدولية

في كثير من البلدان تستوطن أقليات مهاجرة، طلبًا للمعاش وسعيًا وراء الرزق، وفي أغلب الأحيان تحتفظ الأقليات المهاجرة بتراثها وثقافتها وعاداتها، فلا تذوب تمامًا في الموطن الجديد، إلا أن الاحتفاظ بالهوية الأم قد يكون فادح الثمن في المجتمعات المعاصرة! ففي كثير من الأحيان تعامل الأقليات المهاجرة في الوطن الجديد معاملة إنسان من الدرجة الثانية إلى الدرجة العاشرة- تبعًا للبلد الذي يتخذه المهاجر موطنا جديدًا له!

وعندما تصل الأمور إلى حد البطالة، فإن الأقليات المهاجرة ينظر إليها- من قِبَل المواطنين الأصليين- على أنها سبب رئيسي من أسباب البطالة، إذ زاحمت في سوق العمل وقبلت أجورًا متدنية، فكانت سببًا في زيادة أعداد العاطلين عن العمل.

قد يكون في هذا الكلام شيء من الصدق، لكن حتى في حالة صدق هذا الكلام، فإن الأقليات المهاجرة لا ينبغي أن تنال اللوم كله، ومع ذلك فإن واقع الحال يشهد بأن المواطنين- وأحيانا الحكومات- يلقون تبعة البطالة كلها على الأقليات المهاجرة، وعندئذ تعامل تلك الأقليات معاملة «أجسام طفيلية يجب التخلص منها»!

هذه التصرفات، سواء من قبل الحكومات أم من قبل المواطنين الأصليين، تثير حزازات بين الدول، وتثير درجة من التوتر في العلاقات الدولية، كذلك فإن المهاجرين العاطلين عن العمل الذين ينخرطون في تجارة المخدرات وفي أعمال القرصنة الدولية قد يثيرون توترًا وحزازاتٍ في العلاقات الدولية.

وخلاصة ما تقدم أن البطالة تنخر في جذر المجتمع وصلبه مثلما ينخر السوس في العظام! وإنْ تكن بعضُ آثار البطالة ظاهرة وملموسة في المجتمع، فإن أكثر آثارها خفيٌّ يظهر في المدى البعيد، لهذا فإن البطالة تستحق التسمية «سرطان المجتمعات الحديثة»!

الإصلاح الاجتماعي بين سفينتين

رمضان فوزي بديني

إن الحياة التي نعيشها أشبه ما تكون بالسفينة التي تمخر عباب البحر محملة بكل الأصناف من المخلوقات، التي يختلف تعامل كل منها تجاه السفينة التي تحمله وتحميه، فمنهم من يدرك قيمتها ويحافظ عليها ليصل بسلام، ومنهم من يتعامل معها باستهتار دون اكتراث بحياة من عليها، غير مدرك أن الخطر سيلحق به كما يلحق بآخرين معه، ليس لهم ذنب في سفاهته واستهزائه إلا سكوتهم عما اقترفت يداه في حق نفسه ومن معه.

ولقد تمثلت العلاقة بين المجتمع والسفينة واضحة جلية في حديث القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها حديثه عن سفينة نبي الله نوح عليه السلام، حيث قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾. فكانت هذه السفينة بمثابة النشأة الثانية للحياة البشرية على وجه البسيطة، حيث تجمع فيها كل الناجين من الطوفان من الأحياء في لحظة فاصلة من لحظات البشرية، حتى يعمروا الأرض كما عمرها أول مرة آدم عليه السلام وأبناؤه بعد خروجه هو وزوجته من الجنة.

ولقد كان الصلاح والإصلاح المبنيان على الإيمان هما تذكرة الركوب في سفينة النجاة التي كان قائدُها نبي الله نوحا عليه السلام.

تعريف الإصلاح

عرفت المعاجم العربية الإصلاح بأنه ضد الإفساد، وهو من الصلاح المقابل للفساد.. وفي القرآن الكريم: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦).

فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل؛ فالحركات الإصلاحية -سواء كانت فردية أم جماعية- هي الدعوات التي تُحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد، في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني.

لابد للإصلاح من أناس ذوي بصيرة يكونون مشاعل هداية وأدلاء على الخير

إذن فكل فساد وإفساد متعد على المجتمع وما فيه، لابد أن يقابله «إصلاحٌ» متعد أيضا يزيل آثار الفساد، ويمحو مخاطره حتى لا تغرق السفينة بمن فيها.

وقد ورد في تراثنا الإسلامي الحديث عن سفينتين؛ إحداهما صينت والأخرى خُرقت، وكان في الفعلين -رغم تناقضهما- سبيل للإصلاح!!

صيانة السفينة نجاة للمجتمع

السفينة التي حرص الإسلام على صيانتها والأخذ على يد المتعدي عليها هي تلكم السفينة التي مثّل بها رسول الله ﷺ العلاقة بين المصلح والمفسد، حيث يقول في الحديث الذي رواه النُّعْمَان بْن بَشِير -رضى الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: «لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا». فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

في هذا الحديث النبوي الشريف يمثل الرسول ﷺ للمصلح (يمثله في الحديث القائم على حدود الله)، والمفسد (يمثله الواقع في حدود الله) بقوم في سفينة جاء حظ بعضهم أعلاها وحظ البعض الآخر أسفلها، ومن خلال التفاعل الحياتي بين الفريقين تبدأ المواجهة بين الإصلاح والإفساد، وتتجلى معالم الإصلاح في هذا الحديث النبوي فيما يلي:

أولا- أخذ كل من الفريقين مكانه في السفينة من خلال «الاستهام»، وهو ما يوحي بتساوي الفريقين في نقاط القوة والضعف، وإلا لحسم الفريق القوي المكان الأعلى دون استهام، أو ربما يوحي هذا بدرجة من قيم المساواة والعدالة عند الفريقين -أو على الأقل عند الفريق القوي- جعلت الحل في الاستهام، وليس التفرد بناءً على القوة.

ثانيا- يُستنتج مما سبق أن قوى الإصلاح

باحث بالمركز العالمي للوسطية.



والإفساد في المجتمع ربما تتبادل المواقع والأماكن بناء على فرص القوة والضعف التي يملكها كل فريق.

ثالثا- غالبا ما تكون قوى الفساد مخفية في المجتمع غير ظاهرة للعيان، حيث تنخر في جسد المجتمع من أسفل لأعلى دون أن يدري بها أحد إلا في مرحلة متأخرة، ما لم يكن المصلحون يقظين ومنتبهين لها.

رابعا- النية الصالحة وحدها لا تُصلح العمل الفاسد: فنية القوم الذين أرادوا خرق السفينة كانت الاستسقاء دون المرور على مَن فوقهم وإيذائهم، فهي نية صالحة في نفسها لكن عواقبها وخيمة.

خامسا- آثار الفساد ممتدة ومتشعبة ولا تحدها حدود: فالقوم الذين في أسفل السفينة سيخرقون في نصيبهم هم فقط دون التعدي على نصيب الآخرين، لكن الآثار ستمتد لتغرق السفينة بكل من فيها.

سادسا- كما أن التهاون في الأخذ على يد الظالم فيه هلاك للجميع؛ فإن الأخذ على يديه ومنعه من ظلمه فيه نجاة للجميع بمن فيهم الظالم نفسه.

حينما يكون خرق السفينة إصلاحا!!

من الطبيعي أن يكون الإصلاح في الحفاظ على السفينة والأخذ على يد المفسد فيها، كما مر فيما سبق، لكن الأعجب والأغرب أن يكون الإصلاح في خرق السفينة!!

هذا ما ورد في قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام، في قول الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، وردّ الخضر عليه قائلا: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

لقد فوجئ نبي الله موسى عليه السلام بهذا التصرف من الخضر الذي يبدو في ظاهره إفسادا يؤدي إلى إغراق السفينة ومن عليها، كما فوجئ أيضا بقتله الغلام الذي كان أبواه مؤمنين، لكن جاء تفسير الخضر له موضحا وكاشفا عن بعض الحقائق التي لا يراها إلا أولو العلم اللدني من أن خرق السفينة للحفاظ عليها لأصحابها المساكين من الملك المغتصب الظالم:



ويمكن أن نقف مع هذه القصة الإصلاحية بعض الوقفات:

أولا- يُعد الحفاظ على الحقوق وردها لأهلها، ومواجهة المغتصبين للحقوق من أعلى مراتب الإصلاح؛ فلا يخلو زمان من حكام متسلطين مغتصبين لحقوق شعوبهم ومقدرات أمتهم.

ثانيا- لابد للإصلاح من أناس ذوي بصيرة وعلم ببواطن الأمور، حتى يكونوا مشاعل هداية وأدلاء على الخير للمجتمع حولهم. فالخضر لم يخرق السفينة إلا بعلم بمآلات الأمور، وهذا يختلف عن خرقها المنهي عنه فيما سبق في الحديث النبوي، لأنه كان خرقا مبنيا على جهل يهدف فقط لراحة النفس دون النظر في عواقب الأمر.

ثالثا- يمكن التحايل على الظلم وأهله إذا كان في موقع قوة؛ فقد لجأ الخضر لخرق السفينة تحاشيا لمواجهة الملك الظالم.

رابعا- على المصلحين الموازنة بين الأضرار المتوقعة في حال تعسر العلاج الجذري، وعليهم حينها اللجوء لأخف الأضرار حفاظا على الصالح العام؛ فخرق السفينة هنا للحفاظ عليها أخف ضررا من أخذ الملك لها بالكلية.

خامسا- الإصلاح يحتاج للوقاية قبل العلاج: فالخضر لم ينتظر حتى يأتي الملك فيرى السفينة ويأخذها، ثم يبحثوا عن علاج للمشكلة التي وقع فيها المساكين أصحاب السفينة، بل سارع بخرق السفينة قطعا للطريق على الملك أن يأخذها. وهكذا يجب على المصلحين أن تكون لديهم روح المبادرة والمبادأة والاستعداد لمواجهة الباطل قبل أن يستفحل ويتمكن من مفاصل المجتمع.

وفي النهاية.

فما أحوج سفينة مجتمعنا لقادة مصلحين ينظرون بعين البصيرة، فيقدرون الأمور حق قدرها، ويستطيعون التحكم في شراع السفينة وتوجيهه حسب وجهة رياح التغيير والتطوير، وفي الوقت نفسه يتنبؤون بجبال الفساد التي تعيق حركة السفينة، فيتعاملون معها بما تقتضيه طبيعة كل منها، فيحطمون ما يسهل تحطيمه ويتجاوزون بمرونة ومهارة ما يكون في مواجهته خطر عليهم؛ حتى ترسو السفينة بأمن وسلام على شواطئ الرقي والاستقرار.



الفقر.. رؤية واقعية

(المشكلة والأسباب والعلاج ١-٢)

رشيد ناجي الحسن

لم تبلغ البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام هذا المبلغ من التطور والتقدم والرخاء، ولم يعرف العالم هذا الكم العجيب من الأغنياء مثلما يعرفه اليوم؛ فثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم تعادل الناتج المحلي لأفقر ٤٨ دولة في العالم، كما أن ثروة ٢٠٠ من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل ٤١٪ من سكان العالم مجتمعين.

وتوضح الدراسات أنهم لو ساهموا بـ ١٪ من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي!

لكن رغم ذلك كله مازال فقراء الأرض يعانون الفقر والحاجة والعوز، بل إن عددهم يتزايد بصورة جنونية لم تعهدها البشرية منذ الأزل.

هذا وإن من أعظم المصائب التي لحقت بأمة الإسلام في هذا العصر ما حل بأبنائها من فقر واحتياج، وعوز لم تشهد مثله من قبل، رغم ما تعجّ به بلادها من ثروات وخيرات هائلة، منها الزراعية، ومنها المائية، ومنها الظاهر، ومنها الدفين كالطاقة التي هي عصب الحياة الصناعية وروحها، ومنها ما يتعلق بعمقها الجغرافي، ومنها ما يتعلق بعمقها البشري. أضف إلى ذلك أنها تحيا في عصر التقنية، والتطور المادي وسرعة الاتصال ويسر المواصلات. رغم كل هذا تجدها - أي الأمة الإسلامية- تصنف في عداد الأمم الفقيرة.

وبينما يموت ٣٥ ألف طفل يوميا بسبب الجوع والمرض، ويقضي خمس سكان البلدان النامية بقية اليوم وهم يتضورون جوعا، تقلُّ المساعدات المخصصة للدول الفقيرة عن طريق منظمة الأمم المتحدة عما تنفقه تسعة من البلدان المتقدمة على غذاء القطط والكلاب في ستة أيام فقط!

ومن الطريف أن ميزانية إطعام القطط والكلاب في الولايات المتحدة الأميركية تعادل خمسة أضعاف ميزانية الأمم المتحدة في نيويورك، ففي عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الأميركية ٣٫٢ مليار دولار، بينما كانت ميزانية الأمم المتحدة لعام ١٩٨١م ٦٨٣ مليون دولار فقط!

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هو: لماذا وصل الفقراء في العالم إلى هذا الحد من الخطورة؟ وما الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلة؟ وهل يبذل الأغنياء والدول الغنية في العالم الجهد الكافي لمعالجتها؟ وهل هنالك نتائج خفية لهذه الظاهرة غير الجوع والمرض والموت؟ وما هو علاج هذه المشكلة في نظر الإسلام؟

ودون الدخول في الكلام عن خطر الفقر على حياة الإنسان والتي لا أدل على خطره من أن بعض المسلمين ارتدَّ عن دينه لأجل الدرهم والدينار، كما رأينا في بعض الدول ومنها الكونغو، والتي يقول الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فيها الشيخ موديلو واماليما: إن المنظمات التنصيرية في القارة الإفريقية تقف وراء تناقص أعداد المسلمين من ٢٠ مليون

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



المشكلة لا تتعلق بوجود الموارد الطبيعية بل قدرة العقل البشري على اكتشافها وتسخيرها

نسمة غداة استقلال الكونغو في حقبة الستينيات إلى ٥ ملايين مسلم في الوقت الحالي!! مستفيدة من معاناة المسلمين لعقود من الفقر الشديد والتهميش السياسي والاقتصادي على يد حكومات الكونغو المتعاقبة!

ودون الدخول في تفاصيل طويلة سأتناول في هذا المقال مشكلة الفقر وأسبابها، على أن أذكر في المقال القادم، بإذن الله العلاج، مستدلا ببعض التجارب العملية الناجحة في بعض الدول الإسلامية في معالجة الفقر.

مفهوم الفقر وتعريفه

الفقر-كما في لسان العرب-: هو الحاجة، والفقير هو الذي نزعت فقره من ظهره فانقطع صلبه من شدة فقره، أو الفقير المكسور الفقار، يضرب مثلا لكل ضعيف.

وذلك بأن يصبح الإنسان محتاجًا وليس له ما يكفيه.

ولا يمكننا أن نجمل معاني الفقر في تعريف واحد فقط، وذلك لأن الفقر يحمل معاني مختلفة باختلاف رؤى الباحثين؛ منها ما هو مادي ومنها ما هو اجتماعي وثقافي، ولذلك فالفقر ظاهرة مركبة تجمع بين أبعادها ما هو موضوعي (كالدخل والملكية والمهنة والوضع الطبقي)، وما هو ذاتي (أسلوب الحياة ونمط الإنفاق والاستهلاك وأشكال الوعي والثقافة).

ويمكن القول بأن الفقر لا يعبر فقط عن عجز الإنسان عن إشباع حاجاته البيولوجية كما يقرر رجال الفكر الاقتصادي، بل يعني كذلك عجز البناء الاجتماعي عن توفير مستلزمات الإنسان المادية والمعنوية، وتأثير ذلك على عمليات الاندماج والعلاقات الاجتماعية وتكوين شخصية الفرد في المجتمع وتشكيل قيمته وثقافته؛ بل تحديد دوره ووزنه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وباختصار يمكن اعتبار الفقر حالة يعجز فيها الإنسان بسبب مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية عن تلبية حاجاتها المادية والمعنوية.

وقد عرف البنك الدولي الدول منخفضة الدخل أي: الفقيرة بأنها: تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن ٦٠٠ دولار، وعددها ٤٥ دولة معظمها في إفريقيا، منها ١٥ دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٣٠٠ دولار سنويا.

وقد عرف جمهور فقهاء الإسلام الفقير بأنه: من لا يملك شيئا من المال أو الكسب إلا يسيرا لا يكفي لحاجته وحاجة من يعولهم.

أنواع الفقر:

الفقر المطلق وهو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الأساسية المتمثلة بالغذاء، والمسكن، والملبس، والتعلم، والصحة. وحينها يعتبر فقيرا فقرا مطلقا.

وهذا النوع من الفقر يمكن القضاء عليه وهو أحد أهم واجبات الحكومة والمجتمعات، ليس فقط لأنه واجب ديني وإنساني، ولكن لأنه أيضا ضمان للاستقرار والسلم الاجتماعي.

الفقر النسبي

وهو عدم قدرة الإنسان على أن يعيش بنفس المستوى المعيشي الذي يعيشه غالبية من حوله في المجتمع، وهذا النوع من الفقر لا يمكن القضاء عليه لأنه وبكل بساطة نسبي. والفقر المدقع هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان، عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الغذائية لتأمين عدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة.

أسباب مشكلة الفقر

لاشك أن هناك أسبابًا بشرية وسّعت دائرة الفقر، وسحقتْ كثيرين إلى حضيضه، وعملت على جعل المال دُولة بين الأغنياء، واستنزفت المال العام، وابتزت الأموال بالاحتكار وبصور كثيرة من أكل أموال الناس بالباطل.

وإذا جاز لنا أن نقول لفقير ضعفت حيلته، وضرب عليه الفقر بأطنابه: اصبرْ وارض بقضاء الله وقدره، فليس لنا أن نقول لمؤسسات المجتمع وأجهزة الدولة: الفقر في مجتمعنا قدَرٌ سابق، وسنة ماضية، وليس عليكم تبعة ولا مسؤولية في أن تكافحوه وتعالجوا أسبابه.

هذا وينظر الإسلام إلى مشكلة الفقر نظرة مختلفة عن الأنظمة الوضعية الرأسمالية، والاشتراكية.

فمشكلة الفقر من المنظور الوضعي هي اقتصادية تتمثل أساسا في الندرة؛ ندرة الموارد، وتعدد الحاجات، أو سوء التوزيع، وقد تعود ندرة الموارد إلى العوامل الطبيعية السيئة؛ ومنها السيول والأوبئة والرياح الشديدة العاصفة، أو العوارض السماوية التي تذهب بالزرع أو الماشية أو التجارة أو المساكن وغيرها من أصناف المال. وقد تعود ندرة الموارد إلى الفقير نفسه؛ نظرًا لعجزه عن الحصول على الدخل اللازم لإشباع احتياجاته وضعف قدراته أو المواهب البدنية والفكرية لديه.

والأمم الفقيرة هي تلك الأمم التي ليس بإمكانها الحصول على السلع والخدمات، حيث إن الفقر ينشأ أساسا نتيجة الفجوة القائمة بين الحاجات الإنسانية المتزايدة ومحدودية الموارد الطبيعية، وفي هذا الصدد يرى مالتوس أن السكان يتزايدون بمتتالية هندسية وتتزايد الموارد بمتتالية

حسابية وفي النهاية يعجز الإنسان عن ملاحقة الموارد الطبيعية وتزداد فجوة الفقر في العالم.

أما أسباب مشكلة الفقر من الناحية الإسلامية، فالإسلام يتفق مع الأنظمة الوضعية في الإقرار بمشكلة الفقر، إلا أنه يختلف عن الأنظمة الوضعية في تحليله لأسباب المشكلة؛ فهو ينظر إلى المشكلة من جهة عدم العدالة وسوء توزيع الدخل، حيث يلعب الإنسان دورًا مهما في المشكلة، وعليه فالمشكلة في الإنسان نفسه لا في الندرة أو الوفرة، فنجد دولة غنية بالموارد ولكن فيها نسبة مرتفعة من الفقراء، وبذلك فالنظرة الإسلامية تعترض على فكرة الندرة مصداقا لقوله عز وجل:﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا أَنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

وعليه فلا يمكن القول بوجود مشكلة فقر لأنها انطلقت من مبدأ أن الأصل في الموارد هو الوفرة وليس الندرة، ذلك لأن الخطاب الوارد في الآيات السابقة هو خطاب عام يتناول جميع الناس، كما إن وفرة الرزق وما يستتبعه من حاجات أخرى هو للبشر جميعاً، بل إن هذه الوفرة في الموارد أو الرزق تغطي حاجات البشر.

والمشكلة لا تتعلّق بوجود الموارد الطبيعية، فهي موجودة في هذه الأرض منذ أن خلقها اللّه سبحانه، لكنها تتعلق بمدى قدرة العقل البشري على اكتشافها، لأن اللّه سبحانه خلق تلك الأرض، وجعلها مذللة لبني البشر، وخلق الإنسان ليعيش عليها، وزوده بالعقل الذي يستطيع من خلاله اكتشاف تلك الموارد وتسخيرها لصالحه بالشكل الذي يكفي حاجاته. وقد يكون سبب مشكلة الفقر راجعاً إلى الإنسان نفسه من خلال ابتعاده عن منهج الله، وعدم تعظيمه لحرمات الله.

ومن هذه الأسباب:

- الابتعاد عن منهج الله، إذ لا تستقيم حياة يذهب فيها كل فرد إلى الاستمتاع بحريته المطلقة إلى غير حد ولا مدى، يغذيها شعور بالتحرر الوجداني المطلق من كل ضغط وبالمساواة المطلقة التي لا يحدها قيد ولا شرط، ومن ثم فإن الشعور على هذا النحو يحطم المجتمع كما يحطم الفرد ذاته.

- غياب الحكم بما أنزل الله في شؤون الأمة عامة، وفي الحياة الاقتصادية خاصة، إذ استبدل الكفر جميعاً بأحكام الإسلام كافة، فغدت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها تخضع لأحكام الكفر التي جرّت عليها ويلات تتلوها ويلات، ومصائب تعقبها مصائب، وكانت مصيبة الفقر أبرزها.

- البعد عن أدب الإسلام في حفظ النعمة، والاعتدال في الإنفاق من غير إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). فالمسلم مطالب بالكسب الحلال الطيب، وصرفه في مصارفه المشروعة (الواجبة والمندوبة والمباحة)، ولا يجوز له أن ينفقه فيما فيه ضرر عليه أو على مجتمعه، بل عليه أن يتصرف فيه بالحكمة، وفقاً لمراد الشارع، وعندئذ يكون معتدلا في نفقته، قائمًا بالقسط. فإن تجاوز الحد المشروع فقد دخل في دائرة الإسراف والتبذير.

وهما - الإسراف والتبذير- من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية التي تهدد الأمم والشعوب بالوقوع في الترف والبذخ، والأشر والبطر، ومن ثم تعرضها للهلاك العام والعاجل. والإسلام وهو يحارب هذه الآفة (الإسراف والترف) فإنه يحارب كذلك ما يقابلها من الآفات، من البخل والشح والتقتير ومنع الزكاة ونحو ذلك.

والمجتمعات المسلمة في عمومها قديمها وحديثها لا تخلو من وجود هذه المشكلات المتناقضة، وتفشيها أحياناً، حتى تكون ظاهرة عامة. ولئن كانت تختلف تلك المشكلات من زمان إلى زمان ومن بيئة إلى أخرى، فإن المعاناة والشكوى قاسم مشترك بينهما ومجتمعنا المعاصر سرت فيه ظاهرة السرف حتى تحولت إلى مشكلة تستحق الدراسة والمعالجة.

ومن أسباب مشكلة الفقر أيضًا آثار وتبعات عهود الاستعمار: الاستعمار الذي مازال يجثو على صدر هذه الأمة، ويلقي بظلاله على جميع جوانب حياتها، ولاسيما الجانب الاقتصادي، حيث أصبحت بلاد المسلمين إحدى مصالحه الحيوية التي يستعد للدفاع عنها والتشبث بها حتى ولو كلفه ذلك الغالي والنفيس. ويشير المهتمون بظاهرة الفقر في العالم إلى أن السبب الذي جعل كل ما سبق يصل بالشعوب إلى حافة الهاوية هو أن هذه الشعوب كانت قد استنزفت خيراتها خلال عقود من الاستعمار تعرضت فيها لنهب جل ممتلكاتها. ورغم مناداة الدول الغربية بالعدالة واحترام حقوق الإنسان التي من أهمها احترام الممتلكات، فلم يسمع صوت واحد يطالب بدفع تعويضات لهذه الدول التي تحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى لما هو لها، ويعيدون السبب إلى شدة ضعف الضعيف وقوة القوي، ومن أبرز معالم هذا الاستعمارفي هذه الدول :

- نهب المواد الخام وموارد الطاقة.
- استخدامها أسواقاً لسلعه ومنتجاته.
- وضعها في قفص المديونية، فلا توجد دولة من هذه الدول إلا وقد وقعت في المديونية.
- تطبيق أحكام النظام الاقتصادي الرأسمالي عليها، فاستباحت الربا، والاحتكار، والتسعير والشركات المساهمة، والتأمين، وتغير مفهوم الملكية لديها واختلفت أسبابها وطرق تنميتها، ومفهوم التجارة الخارجية.
- اشغالها بالأزمات التي تستدعي تمويلاً يستنزف خيرات البلاد دون أن تحقق نتيجة ترجى.



-جعل وجهة نظر المستعمر في الحياة وفي الاقتصاد قِبْلَةَ المسلمين في حل مشاكلهم الاقتصادية، والتي تتلخص في القروض والضرائب وتقليص دور الدولة في رعاية شؤون الناس.

- الحروب والنزاعات والصراعات الدولية التي تحرم البلدان فرصة التنمية والتطوير، وسيطرة الاستعمار والتدخل في شؤون الدول الفقيرة استغلالا ونهبا لثرواتها، ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان الاحتلال استيطانياً كما في فلسطين حيث تتدهور حالة الشعب الفلسطيني يوماً بعد يوم وتتسع فيه رقعة الفقر نتيجة إرهاب الدولة الصهيونية وتدميرها المتواصل للبنية التحتية، وهدم المنازل وتجريف الأراضي الفلاحية، فتتحول مئات العائلات بين يوم وليلة من حد الكفاف إلى حالة الفقر المدقع.

ومن أسباب مشكلة الفقر أيضًا سيطرة القطب الواحد: إذ إن السعي إلى السيطرة على العالم، وبسط النفوذ أديا في أكثر الأحيان إلى إفقار الدول أثناء ترويضها.

فالعقوبات الاقتصادية، وغزو واحتلال الدول بحجج واهية، وتأييد سياسة الاحتلال سعيا وراء السيطرة على المواقع الإستراتيجية في العالم، كلها أمور أدت إلى تفاقم مشكلة الفقر وحولت شعوبا كانت في الأصل غنية إلى حالة من الفقر الشديد.

ظاهرة العولمة: ففي الوقت الذي رفعت الدول الغربية شعار العولمة مبشرة بعهد جديد يخفف من معاناة الفقراء، ارتفعت الأصوات منذرة بدور هذه الظاهرة في نشر الفقر وتدمير اقتصاد الدول النامية.

يقول أحد أقطاب الاقتصاد العالمي الجديد في مقابلة معه: «لقد أدت العولمة إلى انتقال رؤوس الأموال من الأطراف (يعني: البلدان النامية) إلى المركز أي الدول الغربية»، وهذا يعني باختصار أن العولمة حوَّلت فتات ما كان يقتات عليه الفقراء إلى موائد المتخمين.

ويقول جون ستجليتز الخبير الاقتصادي السابق في البنك الدولي: «إن الدول الآسيوية القليلة التي انتفعت من العولمة هي تلك التي أدارت العولمة بطريقتها، أما البلدان التي تضررت وهي الغالبية فهي التي أخضعت نفسها لأحكام الشركات الكبرى والمنظمات الاقتصادية الدولية وهي المؤسسات المؤيدة للعولمة».

وهناك أسباب أخرى لمعضلة الفقر منها:

- الربا وهو من المهلكات الواضحة للأموال، حيث قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

- الظلم والبغي والإفساد في الأرض على مستوى الحكومات والأفراد والمجتمعات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠).

- غياب مفهوم رعاية الشؤون عن الدولة وعن الأمة، إذ إن الدولة في الإسلام تعني رعاية شؤون الناس داخليا وخارجيا أفرادا وجماعة، وهذا أمر كان مفهوماً عند الحكام ومن ناب عنهم، فاستقاموا وجهدوا في تحقيقه على أحسن وجه، وكان أيضاً مفهوماً عند الأمة التي ما توانت في محاسبتهم كلما رأت منهم تقصيراً أو تجاهلاً لشأن من شؤونها، إلا أن الأمر قد انقلب رأساً على عقب.

- انخفاض مستوى التعليم، وقلة الخبرات الفنية في كثير من الأقطار مع قلة السعي للتنمية وتحسين الإنتاج، والتشرد الذي يعانيه كثير من المسلمين الذين تركوا أوطانهم لاضطراب الأوضاع ولفقدان الأمن، والأوضاع السياسية غير المستقرة في بعض الأقطار مما يضيع كثيراً من الطاقات والثروات، والتبعية الاقتصادية للدول الغربية الكبرى التي تستغل ثروات العالم الإسلامي.

- إهمال عمليات الإصلاح الاقتصادي مما أدى إلى تفاقم ظاهرة الفقر والجوع والبطالة وغيرها.

- الفساد الإداري: وتمثل هذه الظاهرة القوة الخفية التي تستنزف الموارد المالية بطريقة عجيبة، وعدم الرغبة في مكافحتها بالرغم من خطورتها.

- تدمير القطاع الزراعي لهذه الدول ومنعها من تصدير منتجاتها بسبب السياسات التي تطبقها الدول المتقدمة.

المراجع

- الكسب محمد بن الحسن الشيباني، ، تحقيق: د.سهيل زكار، عبدالهادي حرصوني للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- الإحكام للآمدي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٤، ت: سيد الجميلي.
- الأحكام السلطاني والولايات الدينية أبوالحسن الماوردي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م
- المجموع للنووي، ط: دار الفكر، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠
- المصباح المنير للفيومي، ط: المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٠
- مبادئ الاقتصاد السياسي، الاقتصاد الجزئي، د.رضا عبدالسلام، دار الإسلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٢
- مشكلة الفقر مع بيان أسبابها من المنظور الإسلامي. د.شعبان عبده أبوالعز المحلاوي.
- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، د.محمد شوقي الفنجري، الطبعة الثانية. سلسلة قضايا إسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف، العدد ١٤٨، يونيو ٢٠٠٧ .
- واجب الدولة في توفير حد الكفاية، د.حسين حامد حسان:، مجلة الاقتصاد الإسلامي، الصادرة عن بنك دبي الإسلامي، العدد ٣١٧ سبتمبر ٢٠٠٧
- أسباب وآثار الفقر، د.محمد حسن العزازي: بحث منشور بمجلة البحوث الإدارية، الصادرة عن أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، عدد يوليو ٢٠٠١ .
- الاقتصاد الإسلامي، د.محمد منذر قحف، دار القلم، بدون سنة نشر.
- الإسلام والفقر حلول عملية لكل زمان ومكان، د.زيد بن محمد الرماني.
- التنمية الاقتصادية، د.علي لطفي، دراسات في النظرية، مكتبة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م
- التنمية الاقتصادية، د.محمد زكي شافعي، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م
- فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، د.حمدي عبدالعظيم، الناشر: المؤلف، القاهرة، ١٩٩٩م

الخضر عليه السلام والإصلاح الاجتماعي

المنشاوي الورداني

يتوالى المشهد القرآني في سورة الكهف في جملة من الأسرار التي تتكشف رويدًا رويدًا مع نهاية كل قصة كطبيعة الحال في مسمى السورة، ذلك الكهف المليء بالأسرار دائمًا والذي آوى إليه ﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾. والكهف وإن كان في حياة الناس رمزًا للسر، فإنه كسورة قرآنية قدم صورة نموذجية لما ينبغي أن تكون عليه الحقيقة... فكانت السورة بحق ﴿رحمة من عندنا﴾.. نستعين بها على فهم حقائق الحياة النموذجية من خلال كهوف وأسرار.. اختلف فيها علم الأرض عن علم السماء.

التباين بين علم الأرض وعلم السماء ظهر جليًا في موضوعنا بيت القصيد.. وهي رحلة العبد الصالح الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام، حيث كان رمزًا لعلم السماء.. وموسى رمزًا لعلم الأرض.

لقد كانت جملة المشاهد التي مررنا عليها كثيرًا في ثنايا القصة هي ثلاثية السفينة والغلام والجدار.. وقد جاء العبد الصالح لينطلق في حركة الحياة ومعه موسى عليه السلام يراقب ويشاهد كما كان كذلك يعترض ويعاتب ولا يستطيع مع أفعال العبد الصالح صبرًا بل كان يعترض وفقًا للعلم الظاهر الذي خفي عليه العلم الباطن، وما أرسل الله العبد الصالح لموسى إلا ليكشف له عن كهوف الحياة وما ينطوي فيها من أسرار..لا يعرفها إلا من ﴿لا تدركه الأبصار﴾.

لقد كشف حادث السفينة عن فساد الملك أو الحاكم، وكشف حادث الغلام عن فساد النشء أو الأسرة.. كما كشف حادث الجدار عن فساد المجتمع أو الرعية.. أي أن ثلاثية السفينة والغلام والجدار.. كانت رموزًا لفساد عمّ وطمّ.. فكان العبد الصالح ﴿رحمة من ربك﴾ ليصلح هذا الفساد.. وإن كان أهل الأرض من تعودهم حسبوا أنه وضع طبعي فألفوا معه حركة تلك الحياة دون أن يحركوا ساكنا.

السفينة كانت لقوم ضعفاء شرفاء.. كذلك الغلام كان أبواه من هؤلاء الضعفاء الشرفاء.. الذين سيصطدمون يومًا مع عتاة جبارين أقوياء.. هم أهل القرية البخلاء. والغلام الذي قتله الخضر كان يحمل في طبيعته خبث فئة الظالمين الأقوياء.. كحال ذلك الملك الظالم: الرمز الأكبر لكل جبار عنيد.. فكانت الثلاثية اصطدامًا بين فئتين.. فئة ضعيفة مسكينة.. وفئة قوية متجبرة.. وجاء العبد الصالح ﴿رحمة من عندنا﴾ ليكشف سر الله إلى الأرض بضرورة العض على كل ظالم والضرب بيد من حديد على كل متكبر جبار.

وراء الأشياء حقائق مخفية وعلينا ألا نغتر بظواهر الأشياء.. وثلاثية السفينة والجدار والغلام كانت رموزًا للفساد

إن الإصلاح الاجتماعي الذي قدمه لنا العبد الصالح، كان مراد الله في الأرض.. ولقد ختم القصة وأوضح الهدف في أن كل شيء تم.. كان بمراد الله ﴿وما فعلته عن أمري﴾.

ولكننا نستطيع أن نخرج بثلاث وسائل ناجعة يمكن الاستعانة بها عند تنفيذ أي مشروع اصلاحي:

استعمال الكيد للوصول إلى الهدف المشروع

إننا نؤكد أن الهدف المنشود يجب أن يكون مشروعا أولا قبل اللجوء إلى الحيلة واستعمال الكيد.. والكيد هو التدبير في خفاء وقد عرفنا ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾.. ولكن كيد الله فوق كل كيد: ﴿إنهم يكيدون كيدا. وأكيد كيدا. فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ (الطارق: ١٥-١٧)، وما كان كيد العبد الصالح واستخدامه الحيلة في خرق السفينة إلا ليفر هؤلاء النفر المساكين الذين يعملون في البحر من ذلك الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا.

وتأمل معي- أيها القارئ- أليس هذا الكيد الذي هو من تدبير الله في القصة كلها – أليس مشابهًا لمرحلة مبكرة في قصة سيدنا موسى عليه السلام في طفولته والذي غفل عن إدراك المغزى بطبيعته البشرية مع العبد الصالح عندما قام بخرق السفينة.. ففي مرحلة الطفولة لجأت أم موسى إلى الكيد واستعمال الحيلة بوحي من الله ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾ (طه: ٣٩).. ما أجمل كيد الله والوضع مشابه وموسى وهو طفل.. حيث كان في عرض البحر ضعيفًا كهؤلاء المساكين الذين يعملون في البحر – وقد ألقته أمه كيدًا في البحر خوفًا من الفرعون الظالم.. وكذلك قام العبد الصالح بخرق

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - مترجم بالتلفزيون المصري



السفينة لينجو المساكين من الملك الظالم.. وكل ذلك بكيد الله.. وعلم الله.. وتقدير الله.. ليشرح الخضر عليه السلام في القصة.. الفرق الشاسع بين علم الأرض.. وعلم الكون.

كذلك تأمل معي – أيها القارئ – الكيد الذي لجأ إليه سيدنا يوسف عليه السلام.. ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ (يوسف: ٧٦).. ويوسف هنا.. ألهمه الله ذلك الكيد ليصل إلى الهدف المشروع بأن يؤي إليه أخاه في مصر.. حتى تتكشف أسرار قصته (الرؤيا التي رآها) وتتضح خيوطها عند نهاية الأحداث، حيث يسدل الستار في مصر.. يسجد ليوسف إخوته.. والأبوان على سرير الملك بجوار يوسف: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا﴾ (يوسف:١٠٠). ولتعلم قارئي الكريم إن هي إلا الأسباب الظاهرة للغاية المضمرة، والستار الذي تراه العيون لليد التي لا تراها الأنظار ولا تدركها الأبصار.. هي يد المدبر المهيمن العزيز الغفار.

المبادرة في درء المفاسد

والمفسدة هنا.. كانت هذا الغلام الذي ﴿كان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ (الكهف:٨٠) وحكمة الله فسرها العبد الصالح بأن الله سيعوض الأبوين ولدًا آخر ﴿خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا﴾ (الكهف:٨١) وتأمل معي- عزيزي القارئ- الوضع المشابه لموسى عندما دخل مدينة في مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾.. وسارت القصة.. وانتهت بقتل موسى واحدًا من أهل مصر.. ليأتي الناصح الأمين الذي يطلب من موسى الخروج قائلا له: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (القصص: ٢٠) وخرج موسى عليه السلام بالفعل وبدأ مرحلة جديدة في حياته في أهل مدين. وعوضه الله خيرًا في المكان الجديد.. وفي زمن آخر جديد.

إن موسى لم يستطع صبرًا مع حادثة قتل الغلام، وهذا الأمر إذا رآه أي منا يرفضه كذلك، لأنه ببساطة: قتل نفس زكية بغير نفس، ولكن.. تقرير العبد الصالح أن هناك تدبيرا خفيًا من الله.. ودرء المفسدة هذه والمتمثلة في الغلام هي إصلاح اجتماعي لحال الأبوين لتبرز الحقيقة بعد هذا الظاهر الذي لا يفهمه البشر في صورة تعويض إلهي بغلام آخر يخفض لأبويه جناح الذل من الرحمة.. ليتغير حال النشء والأسرة عما قريب بتدبير الله المطلوب.

المبادرة في جلب المصلحة والعمل الصالح

وهنا ننتقل إلى الدرس الثالث في الإصلاح الاجتماعي.. وخلاصته أن العمل الصالح لا يذهب.. ولا يضيع، ففي القرية التي استطعما موسى والخضر أهلها فأبوا أن يضيفوهما.. كان الاثنان بمثابة غريبين دخلا إلى قرية وهما في حالة جوع شديد.. أبسط الأشياء أن القوم كرام.. إذا دخل غريب القرية أطعموه ولو لم يكن جائعًا أو على الأقل عرضوا عليه الطعام.. فإذا كان جائعًا وجب عليهم إطعامه.. ولكن أهل هذه القرية التي دخلها موسى والعبد الصالح قابلوهما بلؤم ونذالة.. ذلك أن موسى والعبد الصالح كانا جائعين وغريبين طلبا الطعام من أهل القرية.. ولم يطلبا طعامًا فاخرًا.. أو مائدة تحوي عشرات الأصناف.. ولكنهما طلبا لقمة تقيم أودهما وتسكت جوعهما.. فماذا فعل أهل القرية.. أبوا.. رفضوا أن يطعموهما حتى هذه اللقمة الصغيرة.. وإذا بالعبد الصالح يجد جدارًا متهدمًا في القرية فيبنيه ويجمله ويجدده.. ولم يطق موسى صبرًا- هؤلاء الناس رفضوا إعطاءنا لقمة ونحن جائعان.. وأنت تقوم بهذا العمل لهم مجانًا تقدم لهم خدمة.. تبني لهم جدارًا متهدمًا.. جزاء على هذا اللؤم وهذه النذالة.. وتأتي الحقيقة المستورة لتبين لموسى عليه السلام الحكمة في بناء الجدار.. فهذا الجدار لم يكن خيرًا لأهل القرية الذين تخلوا عن مبادئ الشهامة.. بل كان خيرًا لأبناء رجل صالح يخشى عليهم من أهل القرية الذين لا يرعون عهدًا ولا يطعمون جائعًا.. ولأنهم يفعلون ذلك لا يطعمون الجائع.. ولا ينفقون شيئًا في سبيل الله.. فقد منع الله سبحانه وتعالى عنهم الخير.. وأبقاه لأولاد رجل كان صالحًا وتوفاه الله.. ذلك أن العمل الصالح للأب يبقى لأولاده في الدنيا وينفعهم.

وتأمل قارئي الكريم.. أليس في حياة موسى السابقة موقف مشابه قدم فيه عمل الخير وجلب المصلحة للناس ولم يفكر في الأجر الذي عاتب عليه العبد الصالح عندما بنى الجدار ولم يتخذ عليه أجرًا.. لقد رفع موسى- وكان معروفًا بالقوة والمنعة- الحجر عن بئر مدين وسقى الغنم لابنتي العبد الصالح في سورة (القصص) وأغلب المفسرين يقولون إنهما ابنتا سيدنا شعيب عليه السلام.. ولكن اتضح فيما بعد.. وبعد فترة ليست بالطويلة أن في عمل الخير هذا.. الخير العميم لسيدنا موسى حيث تقاضى أجره الذي لم يطلبه من تقرير كلام سيدنا شعيب بالزواج من إحدى ابنتيه على أن يأجره ثماني حجج، فسبحان مقدر الأقدار، وعالم الأسرار.. وما نحن إلا كالواقفين وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار – وكأننا نردد ما قاله النبي المختار: «لو صبر أخي موسى»، نعم.. لو صبر.. لعلمنا الكثير مما تخفيه كهوف الحياة.. التي تواري الحقائق عنا.

ولقد تعلمنا من هذه القصة تلك الخلاصة: أن على الإنسان ألا يغتر بظواهر الأشياء.. وأن يعلم أن هناك حقائق مخفية.. وليعلم كل إنسان أن كل قدر قد يقع عليه ليس له فيه اختيار.. فيه حكمة.

والحكمة ليست دائمًا ظاهرة.. ولقد حاول العبد الصالح (الخضر عليه السلام) الإصلاح وفق علم الله.. وتقديره..﴿وما فعلته عن أمري﴾.. ونحن هنا.. نتأمل ونتعلم.

فساد الهواء وإصلاحه في التراث الطبي العربي القديم

د. محمود مهدي محمود

في الوقت الذي تتسابق فيه الدول الصناعية على مضاعفة الإنفاق على البحث العلمي بهدف التوصل إلى مبتكرات حديثة، ومخترعات جديدة تلبي لإنسان هذا العصر حاجاته، وتحقق له طموحاته، فإنها في الوقت ذاته تنفق بقدْر مساوٍ أو يزيد على معالجة الآثار السلبية لهذا التقدم بيئيًا وصحيًا، فالمحركات وآلات المصانع ومحطات توليد الطاقة تُخلّف ملوثات سائلة وصلبة وغازية، وانبعاث مركبات الكلوروفلوركربون المستخدمة في أجهزة التبريد، كالثلاجات والمكيفات، وبخاخات مزيل العَرَق والمبيدات، والهليوم، وأكاسيد النيتروجين، والتجارب النووية، وعوادم المركبَات، وحرق القمامة والمخلّفات الزراعية، كل ذلك وغيره أدَّى إلى تلوث الهواء وحدوث ثقب في طبقة الأوزون، مما يمكن أن يترتب عليه نفاذ كمية أكبر من الأشعة فوق البنفسجية، وبالتالي تَزداد الإصابة بأمراض سرطان الجلد، وتسمم الدم، والشيخوخة المبكرة، وضعف الجهاز المناعي، ونقص المحاصيل الزراعية، وإصابة الثروة الحيوانية بالأمراض، والتهديد بغرق اليابسة عند ذوبان الجليد نتيجة زيادة الاحتباس الحراري.

وقد يظن البعض أن تلوث الهواء أحدُ الآثار السلبية للثورة الصناعية الحديثة، لكنه في حقيقة الأمر شيء قديم يضرب بجذوره في أعماق الماضي، بل يمكن القول إنه وُجد مع الإنسان، وإن اختلفت أسبابه ومظاهره ونتائجه كمًّا وكيفًا عن حاضرنا.

ولما كان الهواء أحدَ أهم عناصر حياة جميع الكائنات البشرية والحيوانية والنباتية في كوكبنا هذا، فقد أوْلاه العلماء على مر العصور أهمية بالغة، وتناولوا بالدرس والبحث أسباب فساده (تلوثه) وآثاره، ووسائل إصلاح هذا الفساد؛ لما له من أثر فاعل في حفظ الصحة الموجودة، وجلب المفقودة.

والعلماء العرب ورثوا عن اليونان نظرية العناصر الأربعة، والتي تفيد أن جميع الأشياء بما في ذلك جسم الإنسان مكوَّنة من عناصر أربعة هي: الماء والهواء والتراب والنار، وبما أن الإنسان قد خُلق من هذه العناصر، فهو في حاجة إليها في بقائه على قيد الحياة، وسلامته من الأمراض. وأدرك العلماء أن المخاطرَ الناجمة عن تلوث الهواء أشدُّ فتكًا بالإنسان من مخاطر فساد الغذاء والماء؛ لأن الإنسان لا يستطيع الامتناع عن التنفس إلا لدقائق معدودة، ويمكنه الاستغناء عن الطعام لأيام، ولأن الهواء الفاسد إذا وصل للرئتين يصعب تخليص الجسم من آثاره، بعكس الطعام الفاسد الذي يمكن تدارك خطره بالاستفراغ وتنظيف المعدة. وأوْلَى العلماء التجمعات السكانية عنايتهم من حيث مراعاة الشروط البيئية الصحيحة عند إنشاء تجمعات جديدة، والتي من أهمها جودة الهواء، فالرازي كان في جملة من حضروا اجتماعا مع عضد الدولة ليستشيرهم في موضع بناء بيمارستان (١)، وحدد كل واحد من الحاضرين موضعا، إلا الرازي فإنه لم يتعجل الرأي، لكنه أمر بعض غلمانه أن يعلِّق في كل ناحية من جانبي بغداد قطعة من اللحم، ثم اختار الجهة الصالحة بيئيًا وهي التي لم يسرع فيها الفساد إلى اللحم؛ لأنها أنقى هواءً وأعدل حرارةً (٢).

علماؤنا القدامى قسموا الهواء وفقًا لصفاته الفزيائية .. ولا يزال العلم الحديث يستخدم تقسيمهم هذا

وابن سينا يحدد معايير البيئة الصحية الصالحة للإقامة فيقول: «وينبغي لمن يختار المساكن أن يعرف تربة الأرض وحالها في الارتفاع والانخفاض، والانكشاف والاستتار، وماءها وجوهر مائها، وحاله في البروز والانكشاف، أو في الارتفاع والانخفاض، وهل هي معرَّضة للرياح أو غائرة(٣) في الأرض،

صيدلاني أكاديمي مصري



ابن سينا أدرك أن التربة والبحار والبطائح والجبال ومناجم المعادن تؤثر في الهواء سلبا أو إيجابا

ويعرف رياحهم. هل هي الصحيحة الباردة، وما الذي يجاورها من البحار والبطائح(٤) والجبال والمعادن، ويتعرف حال أهل البلد في الصحة والأمراض، وأي الأمراض يعتادهم؟، ويتعرف قوام هضمهم وجنس أغذيتهم، ويتعرف حال مائها، وهل هو واسع منفتح أو ضيق المداخل مخنوق المنافس ثميج(٥)؟ بأن يجعل الكوَى(٦) والأبواب شرقية شمالية، ويكون العُمدة على تمكين الرياح المشرقية من مداخلة الأبنية، وتمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها، فإنها هي المصْلحة للهواء»(٧).

فَابن سينا أدرك أن التربة والبحار والبطائح والجبال ومناجم المعادن تؤثر في الهواء سلبا أو إيجابا، وحثَّ على أن تكون نوافذ البيوت وأبوابها إلى جهتي الشرق والشمال لما في الأولى من استقبال للشمس في شروقها ونفوذ أشعتها إلى داخل البيوت فتعمل على إصلاح الهواء، ولما في الثانية من قدوم الهواء المعتدل، وهي ملاحظا ت أقر بها العلم الحديث.

وقد قسم العلماء القدامى الهواء قسمين:

١ - «الهواء النقي»: وعرَّفوه بأنه ما كان نقيًّا صافيًا لطيفًا لذيذَ الرائحة، لا يخالطه بخار، وليس ببارد يقشعر منه البدن، ولا حار يعرق منه، سريع التغيير إلى الحر عند طلوع الشمس عليه، ويعود إلى حاله الأُولى عند غروبها عنه. ويضيف ابن سينا إلى صفات الهواء النقي: «وهو مكشوفٌ للسماء، غير محقون(٨) للجدران والسقوف، اللهم إلا في حال ما يصيب الهواء فساد عام فيكون المكشوف أقبل له من المغموم والمحجوب، وفي غير ذلك فإن المكشوف أفضل»(٩). فابن سينا يرى أن الهواء الطلق أفضل من هواء الأماكن المغلقة، إلا إذا صار الهواء الطلق مُلوَّثًا وَبَائيًّا فيكون هواء الغُرَف المغلقة أفضل.

٢- «الهواء الفاسد» الملوَّث: وهو ما خرج أحد عناصره عن حد الاعتدال إلى حر أو برد أو رطوبة أو يبس، أو خرج في جملة طبعه عن هذا الحد فصار وبائيًّا، أو كان وَمِدًا راكدًا محتقنًا(١٠)، أو كان كَدِرًا مخالطا للأجسام الغليظة كالأبخرة والأدخنة(١١).

ويرى الرازي أن النقي هو أصلح أنواع الهواء، وأن الفاسد شرها لغلَظه(١٢)، ولشدة حره واحتقانه ولعدم قدرة الرياح على اختراقه، فصار كأنه يقبض على الفؤاد ويمسك النفس، وعَدَّ هذا الهواء وبائيًّا(١٣). وواضح أنهم قسموا الهواء الفاسد قسمين: فاسد غير وبائي، وفاسد وبائي.

وهذان التعريفان للهواء قريبا الدلالة من المفهوم الحديث للهواء النقي والملوَّث؛ فهما يعتمدان على وصف للصفات الفيزيائية للهواء، فإن كانت سويَّة فالهواء نقي، وإن كانت غير سويَّة فالهواء ملوث. ولايزال العلم الحديث يستعمل هذا التفريق حتى الآن اعتمادا على وصف التغيرات الفيزيائية للهواء، حيث عرفت المواد الملوثة للهواء بأنها المواد التي تؤدي إلى تبدُّل مَا في خواصه الفيزيائية والكيميائيةً، أو هي كل مادة إذا وجدت بتركيز معين في الهواء نتج عنه أثر ضار على الكائنات البشرية أو الحيوانية أو الأجسام الأخرى(١٤).

أسباب فساد الهواء:

نظر العلماء إلى البيئة حولهم وربطوا بينها وبين ما فيها من تغيرات، وَأَثَر هذه التغيرات في الهواء، واستطاعوا الوقوف على عدة أسباب لها دور رئيس في فساد الهواء، وهي:

١ – الانقلابات الفصلية، وتغيير فصول السنة عن مناخها الأصلي إلى كيفية غير محتملة حتى يفسد بسببها الزرع والنسل، كارتفاع الحرارة الشديد في الشتاء، وشدة البرودة ونزول المطر صيفًا، وزيادة الحرارة والرطوبة خريفًا.

٢ – تلوث الهواء بالأبخرة الرديئة المنبعثة عن الثمار أو البقول العفنة، كالكُرنب والجرجير، والأشجار الخبيثة الجوهر كالجوز والشوحط(١٥)والتين.

٣ – الأبخرة المنبعثة عن الزبول، والأقذار والروائح العفنة كرائحة جثث الموتى والقتلى، وجثث الحيوانات النافقة.

٤ – الأنهار الطويلة المجاورة للمدن، والمستنقعات، ومجاري المياه المستعملة والحمَّامات والآجام(١٦).

٥ – ارتفاع البلدان وانخفاضها، ومجاورتها للجبال والبحار، والجهات الأربع التي يأتي منها الهواء، ونوع تربة الأرض.

٦ – التنفس في جو مغلق دون تغيير الهواء.

وبتأمل ما ذكره العلماء من أسباب لفساد الهواء اتضح أنها صحيحة بنسبة كبيرة؛ فالتغير الفصلي، والتغيير الشديد المفاجئ في المناخ كحرارة ورطوبة شديدتين في الشتاء أو مطر وبرد قارس في الصيف، كل ذلك يمثل بيئة صالحة لنمو الجراثيم. والبقول الرديئة تنبعث عنها روائح كريهة وغازات فاسدة يتأثر الهواء بها ويفسد، وليس بخاف على أحد ما ينتج عن الزبول والأقذار المتراكمة وجيف الحيوانات النافقة من روائح وغازات تُفْسِدُ الهواء وتنشر الأمراض، وكثيرًا ما تتسبب الأنهار بفيضاناتها في فساد الهواء من جراء ارتفاع نسبة الرطوبة، ومن تحلل المواد العضوية التي يجرفها الفيضان معه، كما أن قرب البلدان من المستنقعات والآجام التي تنبت بها نباتات مائية كثيفة يصعب على الهواء أن يتخللها تنبعث عنها غازات وأبخرة فاسدة. وعدم تجديد هواء الغرف يؤدي إلى ارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون القاتل. فهذه بالفعل أسباب ذات أثر جلي في فساد الهواء.

أثر الهواء الفاسد -غير الوبائي- في الصحة وكيفية إصلاحه

وجد العلماء أن خروج الهواء عن معدَّله الطبيعي إلى حر شديد: يحلِّل ويرخي البدن، ويكثر العَرَق، ويقلل إفراز البول، ويضعف الهضم، ويعطّش ويحدر الغذاء فجأة. وهذا يصلحه التعرض للهواء الشمالي البارد، واستعمال الخيوش المضاعفة(١٧) التي قد رشت بماء الورد والأراييج الباردة، والمياه العذبة، والبَخور.

وإن خرج إلى البرد بإفراط أضعف الحرارة الغريزية(١٨). وهذا يصلحه الاستحمام، وتدفئة البيوت بفحم الغضا(١٩) والأخشاب الخالية من الأدخنة الرديئة، ويضوع(٢٠) فيها البخورات الحارة كالنّد الذي يقوِّي القلب وينفع من السموم.

وإن خرج إلى رطوبة مفرطة عفَّن الأخلاط(٢١)، وكدَّر الأرواح، وأحدث رهلا(٢٢). وقد يصلحه البخور بالصندل والكافور، وشم ماء الورد، ورش الأماكن بماء الورد والخل، واستعمال الرُّبوب(٢٣) الحامضة.

وإن خرج إلى اليبس المفرط جفف الأبدان، وولَّد فيها المرَار(٢٤)، وأحدث الحميَّات الحارة، وغير ذلك من الأمراض اليابسة، وقد يصلحه البقاء في المواضع العذبة المياه.

الهواء الوبائي

عُرِّف الهواء الوبائي بأنه ما خرج عن حد الاعتدال في جملة طبعه.أي إن جميع صفاته قد نالها الفساد، فصار وبائيا ناقلا للأمراض كالجدري والطواعين والحمى الوبائية(٢٥). وقد تنبه العلماء لحقيقة مهمة وهي أن الغذاء والشراب لا يمكن أن يكونا سببا في الأمراض الوبائية العامة، وإنما يستطيع الهواء أن يفعل ذلك لعمومه ودوام استنشاقه. يقول التميمي(٢٦): والأمراض العامية أكثرها حدوثًا إنما يكون من أجل الهواء المحيط بالأبدان، وذلك أن المرض العام على أهل مدينة معًا أو على أهل بلد من طعام عام ليس هو مما يتفق كثيرا، وكذلك لا يكاد يكون المرض العام من شراب عام، ولا من تعب عام، فأما الهواء المحيط بالأبدان فإنه متى أفرطت فيه الحرارة أو البرودة أو اليبس أو الرطوبة فإنه يكدر ويفسُد فيُفْسِد اعتدال أمزجة الأبدان التي هي عماد الصحة، فأما الأسباب الأُخر فإنها ليست تستولي على جميع الناس كاستيلاء الهواء على أبدانهم، ولا هي مما يدوم ملاقاة الأبدان ليلا ونهارا، فأما الهواء فإنه وحده دون سائر تلك يحيط بجميع الأبدان، ولسنا ننفك من اجتذابه بالاستنشاق في حال التنفس(٢٧).

إصلاح الهواء الوبائي

رأى الأطباء أن هناك مجموعة من التدابير العلاجية والوقائية الواجب اتباعها عند حدوث الأوبئة العامة والتي يساهم الهواء في انتشارها ونقلها، وأهم هذه التدابير الحَجْرُ وعدم الاختلاط، وذلك بإنشاء السراديب اليابسة، والتي تُطَهَّر بالخَلّ ويطيب هواؤها بالبخور باللُّبَان وورق الآس والسُّعْد والصَّنْدَل والكَافُور، ورَشِّ الأماكن بالخلاف والآس وماء الورد. ويجعل فيها الأُتْرُجّ. وحرصوا على وصف الغذاء المناسب لهذه المرحلة، وهو أن يكون غذاءً سهل الانهضام، خاليًا من الشحوم كلحوم الفراريج والطياهيج

(٢٨) وما شاكل ذلك، ولتكن متَّخَذَةً بماء السُّمَّاق أو ماء الرُّمَّان أو ماء الأَنْبربَاريس أو الحُمَّاض أو الحِصْرِم (٢٩) أو اللَّيْمُون.

وتشرب رُبوب الفواكه المُزة، كرُبِّ الحصْرِم والسَّفَرْجَل واللَّيْمُون والأُتْرُج. ويؤكل من الفاكهة ما كان مُرًّا، ليس بسريع الفساد، كالرُّمَّان والتُّفَّاح والكُمَّثْرَى والسَّفَرْجَل والإجَّاص. الحامض من ذلك والمُز. كما حذروا من التعرض للحركة المتعبة، والجماع والامتلاء والأغذية الغليظة والرديئة كلحوم المواشي الكبيرة السنِّ. وضرورة اجتنَاب لحوم الماشية التي قد أصابها الوباء. كما أكدوا على اجتناب الفاكهة الحلوة والسريعة الفساد. والحلواء والأنبذة. وكل ما يزيد الأخلاط رداءةً، ويُحدث لها سرعة استحالة(٣٠).

كيفية تبريد الهواء وتطييبه

ولما كان الحر الشديد مقلقا مضجرا، يغير المزاج، ويثير الانفعالات، ويسرع بالمرء إلى الغضب والحدَّة، وأن تبريد الهواء وتطييبه يُصْلِحَان كَثيرا مما يعتري الإنسان من سيئ الصفات، فقد اتخذ العرب مراوح لتبريد الهواء وتطييبه صنعوها من خيوش الكتان، وذلك بأن تؤخذ خيشة مزدوجة على قدر الطنفسة(٣١)، حسب ضيق البيت وسعته، وتحشى بنبات فيه وقوف وقلة انثناء كالحلفاء وشبهها، وتعلَّق في وسط البيت، ويُوكَل عليها مَن يجذبها من أعلى البيت ويرسلها بتوافق وتتابع، فتحمل ريحا كثيرة فتبرِّد هواء البيت، وربما أُنقعت بماء الورد فتطيّب الهواء مع التبريد (٣٢).

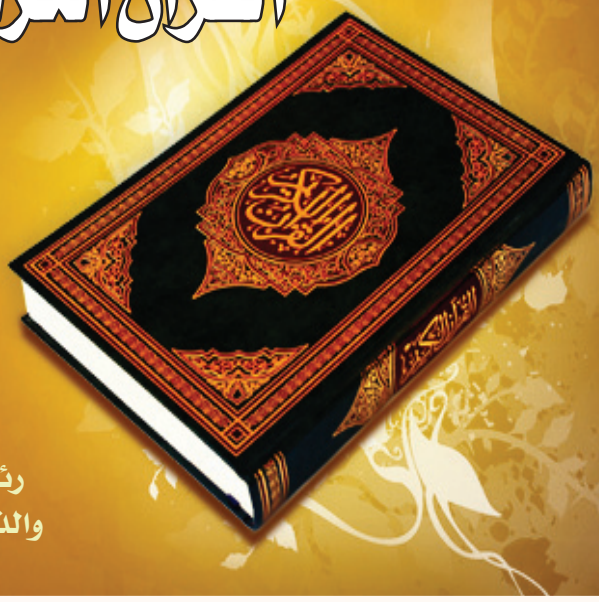
وأخيرا فهاهو جهد علمائنا القدامى الذين أدركوا خطورة تلوث الهواء، وتعرفوا على مسبباته، ووقفوا على وسائل إصلاحه، ووقفوا على دور الهواء في نقل الأمراض للإنسان والحيوان، وساهموا وبفاعلية في تجنيب الناس كثيرا من مضاره، وجاء العلم الحديث ليقر بصحة كثير مما توصلوا إليه.

الهوامش

١ – مستشفى.
٢ – عيون الأنباء: ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د.عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢/ ١٣.
٣ – منخفضة عن وجه الأرض.
٤ – البطائح جمع بطيحة، وهي مكان متسع به حصى وتراب لين جرته السيول إليه.
٥ – الثميج: هو الذي اختلط بما يغير طبيعته.
٦ – جمع كُوَّة، ويقصد بها فتحات «نوافذ» التهوية والإضاءة.
٧– القانون ابن سينا، تحقيق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨/١٩٨٧: ١/ ٩٨.
٨ – المحقون هو المحبوس في المكان: ويقصد به هواء الأماكن المغلقة.
٩ – القانون:١/٨٨.
١٠ – المنصوري في الطب: الرازي، تحقيق: د.حازم البكري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ١٦٢. والهواء الومد هو هواء شديد الحرارة، عالي الرطوبة، ساكن لا يتحرك فيتجدد ويتلطف.
١١ – القانون: ١/٨٩. الهواء الكدر هو هواء غير شفاف يحجب أشعة الشمس لكثرة الشوائب الترابية والغازية والأدخنة العالقة به.
١٢ – يستعمل الرازي وغيره من العلماء الأوصاف الحسية عند وصف الهواء صلاحا وفسادا، فلما كان الهواء يصعب استنشاقه ودخوله للرئتين فوصفه بالغلظ.
١٣ – المنصوري في الطب: ١٦٢.
١٤ – حماية البيئة: رستم محمود، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٩: ١٢٦، ١٢٧.
١٥ – نبات ينبت بحضيض الجبال تتخذ منه القسي.
١٦ – الآجام جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف.
١٧ – الخيوش المضاعفة هي التي تركبت من أكثر من طبقة لتحتفظ بالبلل فترة طويلة، وتساعد ببلها على تخفيض درجة حرارة الهواء.
١٨ – الحرارة الغريزية: هي حرارة الجسم الطبيعية.
١٩ – الغضا نوع من النبات صلبة الأخشاب، ذات نار حارة، ضرب المثل بجمره لذكائه وخلوه من الدخان والروائح الكريهة.
٢٠ – يضوع: تفوح رائحته وتنتشر.
٢١ – المراد الأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء التي يمثل اعتدالها في الجسد حالة الصحة التامة، واختلال نسبتها في الجسم تؤدي إلى حدوث الأمراض.
٢٢ – أي استرخاء وضعفا.
٢٣ – الربوب: جمع رُبّ، و هي هلام الفواكه الذي قد يخلط ببعض المواد الدوائية، أغلبها يمسك الطبع، وينفع الحميات وغيرها من الأمراض.
٢٤ – المرار جمع مرَّة، وهي مواد تفرزها بعض أعضاء الجسم كالكبد والطحال، وزيادتها أو نقصها يؤثر في الجسم سلبا.
٢٥ – بغية المحتاج في المجرب من العلاج: داود الأنطاكي، تحقيق: محمد رضوان مهنا، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، بدون تاريخ: ٣٥٦.
٢٦ – هو محمد بن أحمد بن الخليل التميمي المقدسي، عالم بالطب ومؤلف فيه ومبتكر العديد من الأدوية، ومصلح كثير منها، توفي في نهاية القرن الرابع تقريبا. نهاية الأرب: النويري، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥: ١/١٢.
٢٧ – مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء: التميمي المقدسي، تحقيق: يحيى شعار، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩: ١٢٠.
٢٨ – جمع طيهوج، وهو طائر من رتبة الدجاج، معتدل الحر، يعقل الطبع، ينفع الناقهين.
٢٩ – السماق: شجر من الفصيلة البطمية ينبت في المرتفعات والجبال، تستعمل أوراقه دباغا، وبذوره تابلا، والأنبر باريس: حب حامض منه مدور أحمر سهل، ومنه مستطيل، والحمّاض نبت جبلي من عشب الربيع ورقه عريض شديد الحمض يأكله الناس، والحصرم الثمر قبل النضج وأول العنب مادام أخضر.
٣٠ – منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان: ابن جزلة، تحقيق د. محمود مهدي، معهد المخطوطات العربية، ٢٠١٠: ٨١٢.
٣١ – الطنفسة: بساط له مُخْمَل يقعد الناس عليه، وتشبه السجادة في وقتنا هذا.
٣٢ – مفيد العلوم ومبيد الهموم: ابن الحشاء، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب،١٩٤١: ٤٢.

القرآن الكريم والمشترك اللفظي

د .أحمد عزوز



المشترك اللفظي يطلق على تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، أو بتعبير الإمام السيوطي هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة . مثلاً كلمة «الخال» تطلق على أخ الأم وعلى الشامة. وكلمة «النوى» على البعد وعلى جمع النواة. وكلمة «العين» على العين الباصرة، وعلى عين الماء، وعلى رئيس أو وجيه القوم، وعلى الجاسوس، وعلى النقد والذهب، وعلى الشيء نفسه، وعلى معان أخرى غيرها.

ويقع المشترك اللفظي في الأسماء كلفظة «النكاح» تطلق على العقد كقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ (الأحزاب: ٤٩). وتطلق على الوطء كقوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ (البقرة: ٢٣٠). وفي الفعل كلفظ «عسعس» في قوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ (التكوير: ١٧) تطلق على الإقبال والإدبار. وفي الحروف، كحرف «من»، فإنه قد يأتي للابتداء كما في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (الإسراء: ١)، وقد يأتي للتبعيض نحو قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ (البقرة: ٨)، وقد يأتي لبيان الجنس كما في قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ (الحج: ٣٠).

وقد اختلف أهل اللغة في أمره، فمنهم من قال بوقوعه في اللغة كالأصمعي والخليل بن أحمد وسيبويه وابن فارس وابن قتيبة وأبي عبيدة وغيرهم، وأفردوا مؤلفات خاصة سردوا له فيها أمثلة كثيرة، وهو عندهم سمة إيجابية ودليل على ثراء اللغة وطواعيتها ومرونتها واتساعها في التعبير. ومنهم من أنكر وجوده ووقوعه، لأنه عندهم طريق للإيهام والتعمية والغموض، ولذلك عملوا على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب، كأن يجعلوا إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة وفي المعاني الأخرى مجازا، وفي مقدمة هؤلاء المنكرين –وهم قلة– ابن درستويه. وفي هذا السياق قال السيوطي: «واختلف الناس فيه فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع ...».

ومن خلال دراسة ظاهرة المشترك اللفظي، تمكن العلماء من تحديد الأسباب التي تؤدي إلى نشأة المشترك اللفظي في اللغة العربية، وقد كان من أهم الأسباب التي ذكروها:

– تداخل اللغات واختلاف القبائل العربية، فقد يوضع اللفظ في قبيلة لمعنى، ويوضع لمعنى آخر في قبيلة أخرى، وعندما جمعت اللغة، أغفلت الإشارة إلى أن ذلك اللفظ بمعان متعددة عند كل قبيلة، وإن كان بعض المتقدمين قد تنبه إلى هذا الأمر، ومنهم أبوزيد الأنصاري حين قال: «الألفت في كلام قيس: الأحمق، والألفت في كلام تميم: الأعسر»، وقال الأصمعي: «السليط عند عامة العرب: الزيت، وعند أهل اليمن: دهن السمسم».

– ويرى آخرون أن المجاز والاستعارة سبب من أسباب نشوء المشترك، وليس هذا في العربية فقط، بل يشبه العربية في هذا الشأن كثير من اللغات الحية، لأن من الاستعارة كما يرى أولمان . إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم، عن طريق العلاقة المباشرة بين المدلولين، وخاصة المشابهة، فكلمة «سيارة» في اللغة العربية . على سبيل المثال . تعني في الأصل القافلة، ثم

استعيرت واستعملت بمعنى العربة الآلية التي تستخدم في نقل الناس والبضائع، وقد شاع استعمال الكلمة بهذا المعنى في عصرنا الحاضر حتى أصبح بمنزلة المعنى الأصلي لها، وهكذا كلمة «مبلغ» التي تعني في الأصل منتهى الشيء أو غايته، ثم استعملت بمعنى مقدار من المال. وقد غلب استعمال هذا المعنى لها في العصر الحاضر كما نرى حتى صار بمنزلة الأصل.

– اقتراض الألفاظ من اللغات الأخرى، فقد تكون اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، كلفظة «الحب» بمعنى الوداد وهو حب الشيء، وكذلك «الحب» الجرة التي يوضع فيها الماء. وهذا المعنى مستعار من الفارسية.

–التطور اللغوي جعل أحيانا لفظا يتفق مع لفظ آخر في النطق ولكنهما يختلفان في المعنى، وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير، فقد تتطور معانيها وتتغير، مع احتفاظها بأصواتها. وتطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات، هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى.

ولنشوء المشترك اللفظي أسباب وتبريرات أخرى كثيرة ذكرها اللغويون العرب وغيرهم، يمكن الرجوع إليها في مظانها، وتفاديًا للإطالة والتكرار تجنبنا تعدادها والحديث عنها. كما أنه لا يعنينا في هذا المجال ذكر أسباب نشوء المشترك اللفظي بقدر ما يعنينا وجوده، وتهمنا وفرته وفاعليته في واقعنا اللغوي، ثم استغلاله كوسيلة من وسائل ثراء المعنى في القرآن الكريم.

وبالإضافة إلى هذه الأسباب، فإن الاشتراك اللفظي ضرورة لا تستغني عنها أي لغة من لغات العالم، لأن ألفاظ اللغة مهما كثرت تبقى محدودة من حيث الكم، في حين أن الأفكار والمعاني والأفعال والحركات والأعراض.. متجددة متطورة متنامية لا حدود لاتساعها.

إذن فالألفاظ والكلمات متناهية، والأفعال والحركات والأحوال والأعراض والهيئات التي يعبر عنها باللغة غير متناهية ولا تعد ولا تحصى، وما يتناهى لا يمكن أن يستوعب ما لا يتناهى، وبذلك فلا غنى للإنسان في تواصله ونشاطه اللغوي بمختلف أشكاله عن المشترك اللفظي، لأنه يتعذر وجود كلمة مستقلة خاصة بكل شيء يتداوله الناس.

وهذه حقيقة كشف عنها قديما الراغب الأصفهاني عندما قال: «الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، لكن ذلك لم يكن في الإمكان، إذ كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تركيبها ذات نهاية، وغير المتناهي لا يحويه المتناهي، فلم يكن بد من وقوع الاشتراك في الألفاظ»، ولقد عبر عن هذه الحقيقة التي كشف عنها الراغب الأصفهاني أحد الدارسين المحدثين عندما رد قدرة الكلمة الواحدة إلى التعبير عن مدلولات متعددة إلى أن ذلك «خاصية من الخواص الأساسية للكلام الإنساني»، لأن اللغة «في استطاعتها أن تعبر عن الفكر المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة».

لكن إذا قال قائل: إن لغة من اللغات غنية عن الاشتراك، فيلزم من قوله هذا أن يكون لكل معنى من المعاني غير المتناهية كلمة دالة عليه، وحينئذ يلزم أن تكون الكلمات والألفاظ غير متناهية، وهذا أمر صعب ومستحيل ولا يمكن لأحد أن ينكره. ثم إن لغة من اللغات بتلك الألفاظ والكلمات التي تتسع لجميع أمور الحياة إنما تكون . كما قال أحد الباحثين . لقوم انتشروا في جميع أرجاء العالم و زاولوا جميع الأعمال والأحداث وأنى ذلك القوم؟

وعلى هذا الأساس لابد من الاشتراك ولا غنى عنه لمستعملي اللغة، ولا ينكر ذلك إلا معاند أو مكابر، واللغة العربية كغيرها من اللغات لا غنى لها عن الاشتراك اللفظي الذي شغل فيها حيزا كبيرا.

والقرآن الكريم باعتباره كتاب الله عز وجل المنزل باللغة العربية، وعلى عادة العرب وطرائقهم في التعبير.. قد ورد فيه طائفة من الألفاظ المشتركة عني بجمعها وتصنيفها مجموعة من العلماء. وكان ذلك سببا من أسباب اختلاف المفسرين والفقهاء وعلماء الأصول في تأويل كثير من النصوص القرآنية، وقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف في الاستنباط وتقرير كثير من الأحكام الفقهية. لذلك حظيت هذه الظاهرة، أي ظاهرة وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم بعناية كبيرة من لدن المتقدمين، وعرفت باسم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، قال الزركشي: «فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ «الأمَّة»، والنظائر كالألفاظ المتواطئة».

بل الأكثر من ذلك أن الإمام السيوطي عد وجود الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم من أعظم مظاهر إعجازه «حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر».

وكأنه يشير بذلك إلى قابلية اللفظ القرآني وقدرته على تحمل معاني متعددة. فهو إذن وسيلة من وسائل التوسع في التعبير عند العرب، وسبب من أسباب توفير معاني القرآن الكريم، وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى تعامل بعض العلماء مع هذه القضية.

ابن جرير الطبري: يذهب الطبري إلى وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم، ويعتبره وسيلة من وسائل التوسع في التعبير، وظاهرة لغوية مطردة في كلام العرب فيقول: «فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا

الدلالة على معان كثيرة مختلفة؟ قيل: كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، نحو قولهم للجماعة من الناس: أمة، وللحين من الزمان: أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله: أمة، وللدين والملة: أمة».

ولكن الطبري يرجح معنى معينا على معنى آخر إذا دل السياق على ذلك، وفي هذا السياق يقول في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة: ٤)، والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال... وللدين معان في كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء، سنذكرها في أماكنها إن شاء الله.

الشريف المرتضي: ويذهب الشريف المرتضي أيضا إلى القول بوجود معاني متعددة للفظ الواحد، وفي هذا الصدد يقول: «ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني».

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ومن المعاصرين انتبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى هذا الأمر وأصله وخصص له المقدمة التاسعة من مقدمات تفسيره، وذلك ليكون قانونا يسار عليه في الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون، أو ترجيح بعضها على بعض، وفي هذا السياق يقول: «وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل، فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن يجعل غير ذلك المعنى ملغى. ونحن لا نتابعهم على ذلك، بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربي البليغ، معاني في تفسير الآية».

فعند ابن عاشور إذا ذكر في تفسير آية من الآيات معنيان فأكثر، فذلك على

تطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات أنتج كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى

هذا القانون، وإذا ترك معنى من المعاني فليس تركه دالا على إبطاله، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره، وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير أخرى تجنبا للإطالة.

الأستاذ محمد خليل جيجك: ويقسم الأستاذ محمد خليل جيجك المشترك الذي يستعمل في القرآن الكريم إلى قسمين اثنين:

أحدهما: ما لا يتبادر إلى الذهن ولا يصح بحسب المقام إلا واحد فقط وهو الغالبية العظمى في مشترك القرآن.

ثانيهما: ذلك اللفظ الذي فيه حسب وضعه اللغوي اشتراك بين المعاني المتعددة، والمقام لا يأبى عن أن يحمل على أحد تلك المعاني.

وبتعبير آخر فإن المشترك في القرآن الكريم قسم منه يوجد معه القرينة المعينة لأحد المعاني فيحمل عليه لا غير، وهذا القسم ليس من مجال بحثنا. وقسم منه لا توجد معه قرينة تدل على معنى الكلمة، فيحمل على ما يساعده المقام من وجوه المعاني، وهذا القسم هو الذي نحاول أن نعالجه في هذا الموضوع.

لقد دفع وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم بهؤلاء العلماء إلى المزيد من الاهتمام به، والتوجه إلى الخوض في مناقشة ما يتعلق منه بألفاظ القرآن. وإتماما للفائدة لابد من الإشارة إلى بعض الأمثلة من القرآن الكريم لتكون نموذجا نستنبط به ونقيس عليه حكم سائر المواطن التي يسبب فيها الاشتراك اللفظي تعدد المعاني.

المثال الأول قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد: ٢٠).

يجوز أن يراد بالكفار الزراع، جمع كافر، لأنه يكفر الزريعة بتراب الأرض، والكفر بفتح الكاف: الستر، أي ستر الزريعة. قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «وإنما أوثر هذا الاسم في الآية، وقد قال تعالى في سورة الفتح ﴿يعجب الزراع﴾ قصدا هنا للتورية بالكفار الذين هم الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بمتاع الدنيا إذ لا أمل لهم في شيء بعده».

ويجوز أن يراد بالكفار في الآية الكافرون بالله لأنهم قصروا إعجابهم على الأعمال ذات الغايات الدنيا دون الأعمال الدينية.

فكلمة «الكفار» مشترك لفظي، وذكر في الآية وهو صالح لأن يراد به المعنيين معا: الزراع والكفار الذين هم الكافرون بالله.

المثال الثاني قوله تعالى: ﴿فأصبحت كالصريم ﴾(القلم: ٢٠) قيل الصريم الليل، وقيل النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر، وقيل الصريم الرماد الأسود بلغة خزيمة، وقيل اسم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا.

يتجلى لنا من خلال هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أتى بكلمة «الصريم» هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية.

المثال الثالث قوله تعالى: ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (البقرة: ٦١).

يجوز تفسير كلمة الفوم في الآية

بالخبز، ويجوز أن تفسر بالحنطة، وهي المشهورة، فقد سئل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن قوله عز وجل «وفومها» فقال: الحنطة، وأنشد قول الشاعر

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا
ورد المدينة عن زراعة فوم

يعني الحنطة. ويجوز أن يراد بها الثوم، والشاهد هو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وأنتم أناس لئام الأصول
طعامكم الفوم والحوقل

أي الثوم والبصل، وقيل: الفوم السنبلة، وقيل: الفوم جميع الحبوب التي يمكن أن تخبز كالحنطة والفول والعدس ونحوه.

فإيثار كلمة الفوم في الآية كان لكثرة معانيها، ولو أتى الله عز وجل بدلها بكلمة أخرى كالثوم أو الحنطة مثلا، لما جاز حملها على كل تلك الوجوه.

المثال الرابع قوله تعالى: ﴿وسيدا وحصورا﴾ (آل عمران: ٣٩) قال جمع من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم: الحصور الذي لا يأتي النساء. وقيل: الحصور الذي لا يولد له ولا ماء له. وقيل: الحصور المعصوم من الذنوب، أي لا يأتيها كأنه حصور عنها. وقيل: الحصور هو الذي يمنع نفسه من الشهوات. وقيل: الحصور هو الذي ليس له شهوة النساء.

يتضح لنا أيضا أن الله عز وجل لو أتى بكلمة أخرى بدل كلمة حصورا لما تأتى الإتيان بكل هذه الوجوه أو بعضها، فإيثار كلمة «حصورا» في الآية الكريمة جاء لكثرة معانيها وصلاحية كل تلك المعاني لأن تراد في الآية.

المثال الخامس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ونهر﴾، فكلمة «نَهَر» لها دلالات متعددة، منها السَعة في الرزق والمعيشة. ومنها أيضاً الضياء، لأن الجنة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلألأ. ومن معاني النَهَر في اللغة أيضاً مجرى الماء.

الأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعنى لكن ذلك عسير .. فالمعاني كثيرة والألفاظ محدودة

فالآية تحتمل كل هذه المعاني وهي كلها مرادة. فالذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه في ضياء وماء وسعة في العيش والرزق وكل ما تقتضيه السعادة.

فكلمة «نهر» إذن مشترك لفظي، وقد ذكر في الآية، لأنه صالح لأن تراد به كل المعاني المذكورة. وهذا من التوسع في المعنى.

نكتفي بهذه الأمثلة لتكون نموذجا لنا ونبراسا نهتدي به إلى سائر المواطن الأخرى التي يسبب فيها الاشتراك اللفظي كثرة المعاني وتعددها.

والخلاصة، فإن كل ما قررناه في هذا الموضوع إنما هو أن يحمل المشترك في القرآن الكريم على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللفظ المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة. ونعتقد أن هذا لا يتأتى إلا للأفذاذ من أهل البلاغة والفصاحة الذين لهم باع طويل في البيان والمعاني.

وإذا نظرنا إلى كتاب الله عز وجل من هذه الناحية، فإننا نراه يستعمل أشمل الكلمات في لغة العرب لمعان عديدة مقصودة، وبذلك تكثر معاني القرآن الكريم مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر، ودلالة على أنه كلام ربنا العليم الذي يعلم السر وأخفى وخلق اللفظ والمعنى، فلا يخفى عليه من أمرهما شيء.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط ٣/ ١٤٠٤ هـ. ١٩٨٤ م.
٣ - تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢ / ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.
٤- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس.
٥ - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع الدكتور عبد السند حسن يمامة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر، ط ١ / ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.
٦ - تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢/ ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
٧- ثراء المعنى في القرآن الكريم للدكتور محمد خليل جيجك، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط ١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٨- دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط ٤ / ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧م.
١٠- فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٦ / ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩م.
١١- في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.
١٢- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
١٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. القاهرة. ط ١.
١٤-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١ / ١٤٢٢ هـ. ٢٠٠١م.
١٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م.
١٦- مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، المطبعة الجمالية، مصر، ط ١/ ١٣٢٩هـ.

جماليات المكان في القرآن الكريم

محمد أحمد عبدالجواد



إن المكان بوصفه حقيقة كونية يدركها الإنسان خلال حياته اليومية لم يقف عند كونه مدركًا بصريًا ساكنًا، بل شغل المفكرين والفلاسفة، وعلى الرغم من غلبة صفة السكون والاستاتيكية على المكان عند هؤلاء في قديم الزمان؛ إلا أن الفن عمومًا والسردي منه بخاصة منح المكان فعالية واضحة، وخاصة في عصرنا الحاضر..

فرحلة المكان في درب الفن السردي متطورة نامية منذ القديم؛ حيث إن المكان في النص القديم ليس موصوفًا ولا مطروحًا على الوعي، وهو محايد حسيًا، مراد لغيره، وقد بدأ يحتل مساحة فنية، بوأته البطولة المطلقة في بعض الأعمال الفنية، وكان من أهم سماته أنه مطروح على الوعي، فدلالته دلالة حدث، مراد لذاته، مرشح للمعالجة الحسية بصريًا أو سمعيًا، وهذا الدور المتنامي جعل النقاد يعتبرونه قديمًا مجرد خلفية للحوادث والشخصيات(١).

ولكن، هل هناك علاقة متبادلة بين جماليات المكان في العمل الأدبي السردي وبين جماليات المكان في القرآن؟ وهل المكان كتقنية في العمل الأدبي هو المكان الذي عني القرآن بوصفه كمحددات مكانية وجغرافية أو فضائية، أم أن حدود المكان في القرآن تختلف عن الرواية في أنها وصفت بصورة أشمل وأوسع لكي تصل إلى أغوار الأرض وأجواز السماء، وإلى ما وراء الطبيعة؟

وبعد النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته لقيت من أمري عجبًا، فالقرآن يحوي كثيرًا من الآيات التي تتحدث عن الأماكن، سواء ما ينطبق عليه مصطلح الحيز الجغرافي في العمل السردي الذي يعني إعطاء المكان حدودًا جغرافية بعينها، فلا ينطلق الكاتب خارج هذا الحيز، بل يتقيد بعاداته وتقاليده وظلاله التي يرسمها له منذ البداية، وعلى غراره وجدت في القرآن، ولا أدل على ذلك من تسمية بعض سور القرآن بأسماء أمكنة تاريخية بعينها، مثل: الكهف، الطور، الأحقاف، الحجر، الحجرات، سبأ.

أو ما ينطبق عليه مسمى الحيز المفتوح، الغير محصور بحدود، والذي يتم عرضه من خلال اللغة ومفرداتها كالحديث عن السماء والأرض والجبال والجنة.

إذن فجماليات المكان في القرآن ربما تتفق في كثير من الأحيان مع جماليات المكان في النصوص الأدبية في تقنياتها وما فيها من تراكيب وحرص على إبراز الصورة البارعة والتعبير الأدبي، بل يمكن القول إن جماليات المكان في القرآن الكريم أقدر على السبق والمنافسة في الدراسات الأدبية؛ لا باعتبار القرآن كلام الله فحسب، بل بجانب المشاركة في تقنيات العمل السردي الأدبي اعتبار الإعجاز البياني أبرز صفات وسمات جمالية المكان في القرآن؛ فمنهج القرآن في عرض آيات المكان يأتي متمايزا من ناحية البناء البياني الذي يعد المدخل الرئيس للتذوق الجمالي والإحساس بالجمال الذي يعمل على استجاشة بواعث الاستمتاع بالمظاهر الكونية التي تصورها آيات الجمال.

ومصطلح الجمالية يعني تقديم أو دراسة أوجه الجمال في الشيء، وهو مصدر صناعي من «جَمُل».

أما في القرآن فالجمالية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه من خلال الموضوعات القرآنية المتعددة، والتي تشمل المفردة المنتقاة الصافية والتركيب الجزل والصورة البارعة والحكمة البليغة والمثل الثائر والقصة الواعظة والحوار الفني والتشريع السامي والتصور الكامل والتهذيب المربي.

وأبرز ما يميز الجمالية في القرآن عناصر الأداء التعبيري المناسب والذي يشمل التعبير الفني بألوانه وأنواعه وفق الدواعي النفسية والاجتماعية

باحث إسلامي



والإعجازية وما يحويه من إيجاز وتصوير بالكلمة المعبرة والتركيب الموحي والآية أو الآيات المصورة في مشاهد حية ولوحات شاخصة وأحوال نفسية وذهنية(٢).

وعلى هذا المنهج سار القرآن في عرض آيات المكان، فجاء متمايزًا من ناحية:

١- البناء البياني الذي يعد مدخلا رئيسيا للتذوق الجمالي والإحساس بالجمال.

٢- من ناحية التركيب الفكري الذي يقصد به فيما يقصد إحياء العقل بتربية التفكير الحر، وبهذا يكتسب العقل ملكة التمييز النقدي أو التذوق النقدي.

٣- ومن ناحية الجانب الوجداني، حيث يعمل كل من المدخل البياني والتركيب الفكري على استجاشة بواعث الحب للجمال والاستمتاع الجمالي بالمظاهر الكونية التي صورتها آيات الكتاب الكريم(٣).

وقد يتساءل البعض: هل المكان في القرآن له خصوصية بحيث يعد هدفا بعينه عمل القرآن على إيضاحه وإبرازه كلما استلزم السياق ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

أولا: إن المكان في القرآن الكريم لم يمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر السرد القرآني؛ وذلك لأن القرآن لا يهدف إلى تقديم عمل فني، بقدر ما يهدف إلى بيان العقائد والشرائع وسوق العبر والتذكرة...

ثانيًا: ينبني على ذلك أن المكان أو أحد تفاصيله عندما يأتي ذكره في القرآن يفسح المجال أمام الخيال لكي يكمل بقية التفاصيل والعناصر المتعلقة بالمكان..

ثالثًا: ومع ذلك فإن المكان في القرآن الكريم قد أتى على هذا النحو إلا أنه لم يغفله تماما، بل هناك إشارات تحفز المتأمل وتدفعه دفعًا نحو الالتفات إليها وتدبرها، فهناك أماكن بعينها أقسم الله سبحانه وتعالى بها، مثل قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد﴾.

قال أبوحيان في البحر: «أقسم بها لما جمعت من الشرفين؛ شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله ﷺ فيها وإقامته بها، فصارت أهلا لأن يقسم بها»(٤).

وهناك سور حملت أسماء أماكن مدن (الحجر، سبأ) وجبال (الطور) وأماكن خاصة (كالحجرات).

رابعًا: وأيضًا فإن القرآن الكريم لم يقف عند هذا الحد فإنه في كثير من المواضع ذكر المكان بمفهومه العام (المطلق)، فذكر سموات وأراضين وجنان وحدائق ذات بهجة، وألحق هذه الأماكن بأوصاف تلفت عين انتباه القارئ إلى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق هذه الأماكن وتحويلها من حالة إلى حالة، فاقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (النمل: ٦٠).

وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر: ٢٧).

ففي الآية الأولى نجد أن التعبير القرآني (حدائق ذات بهجة) قد رسم لوحة فنية أدبية يعجز أي أديب أو فنان أن يصورها أو يرسمها.

وإذا عرفنا ما معنى كلمة بهجة في كتب المعاجم عرفنا سر الجمال في هذه الكلمة التي وصف بها القرآن هذه الحدائق التي تنبت على أثر نزول الماء من السماء.

فقد جاء في لسان العرب: البهجة: الحسن، يقال: رجل ذو بهجة، والبهجة: حسن لون الشيء ونضارته، وقيل: هو في النبات النضارة، وفي الإنسان: ضحك أسارير الوجه أو ظهور الفرح(٥).

واللفتة القرآنية الجمالية بلاشك لفتة حضارية ذات مضمون جمالي تنبه الوجدان إلى اهتمام القرآن بها في أزمنة متقادمة وبلد قاحل غير ذي زرع.

وهي بالتعبير القرآني ذات (بهجة)، أي أنها: نضرة بهيجة فرحة حية، تبهج العين برؤيتها والأذن بتغريد طيرها، والأنف بعبير أزهارها، واليد بلمس ثمارها، فيها من الألوان والأحجام والأنواع ما لا تبدعها لوحة واحدة جميلة تحس بها الوجدان والمشاعر، هي أقرب أن تكون طبيعية تروى بماء الأمطار.. (٦).

وفي الآية الثانية لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب تطوف بنا في الأرض جميعها، تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل

عوالمها؛ في الثمرات وفي الجبال وفي الناس وفي الدواب والأنعام، لفتة ربانية تجمع في كلمات قلائل بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا، تدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الذي يشمل الأرض ومفرداتها جميعًا.

وتبدأ اللفتة بإنزال المطر من السماء وإخراج الثمرات المختلفة الألوان في الأرض؛ لأن المعرض في ظاهره معرض أصباغ وشيات؛ فإنه لا يذكر هنا من الثمار إلا ألوانها؛ فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال(٧).

ثم ينتقل نقلة سريعة من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال فيقول: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾، والنقلة من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها لكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، بل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك(٨).

و«من»، أي ومما خلقنا من الجبال جدد، ولعله عبر عنها بذلك دون طرق إشارة إلى أن من غرابتها أنها لا تخلق ولا تضمحل ألوانها على طول الأزمان، والجدد جمع جدة –بالضم: الطريقة والعلامة، ولما كانت الطرق في أنفسها غير متساوية في المواضع في ذلك اللون الذي تلونت به قال سبحانه دالا على أن كلا من هذين اللونين لما يبلغا الغاية في الخلوص: (مختلف ألوانها)، وهي من الأرض، وهي واحدة(٩).

ولما قدم ما كان مستغربا في ألوان الأرض وهو الأبيض والأحمر أتبعه بما هو أقرب إلى الغبرة التي هي أصل ألوانها وهو الأسود، وأكده بغرابيب للمبالغة في سواده قال: (وغرابيب) أي من الجبال

جماليات المكان في القرآن الكريم أقدر على السبق والمنافسة في الدراسات الأدبية

الجدد أيضا سود، فقدم التأكيد لدلالة السياق، على أن أصل العبارة (وسود غرابيب سود) فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار؛ لأن السواد الخالص في الأرض مستغرب.

ولم يقتصر اختلاف الألوان على الثمار والجبال، بل تعداه إلى الناس والدواب والأنعام، قال تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾؛ لما يربط بين هذه الكائنات من عرى وثيقة، ويبدو الارتباط واضحا بين إنزال الماء من السماء وبين الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات؛ ذلك لأن حياة جميع الكائنات مرتبطة بالماء ارتباط الروح بالجسد؛ إذ لا حياة لأي كائن إلا بالماء، ولكن الارتباط والعلاقة بين الماء والجبال من جهة وبين الجبال والثمرات والإنسان من جهة أخرى يكتنفه شيء من الغموض(١٠).

وذكر الجبال في الآية دون ذكر الأرض كما قال في موضع آخر ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ مع أن هذا الدليل مثل ذلك؛ لأن الله سبحانه لما ذكر في الأول ﴿فأخرجنا به ثمرات﴾ كان نفس إخراج الثمار دليل القدرة والإرادة؛ لأن كون الجبال في بعض نواحي الأرض دون بعضها، والاختلاف الذي في هيئة الجبال كون بعضها أعلى من بعض دليل القدرة والاختيار، ثم زاده بيانا وقال: ﴿جدد بيض﴾ أي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها، كما أن إخراج الثمرات في نفسها دلائل، واختلاف ألوانها كذلك دلائل، والظاهر أن الاختلاف راجع إلى كل لون، أي بيض مختلف ألوانها، وحمر مختلف ألوانها؛ لأن الأبيض قد يكون شديد البياض، وقد يكون دون ذلك، وكذلك الأحمر، ولو كان المراد بالأبيض والأحمر اختلاف الألوان لكان ذلك مجرد تأكيد، ولذلك لم يذكر مختلف ألوانها بعد البيض والحمر والسود، وإنما ذكره بعد البيض والحمر وأخر السود الغرابيب لأن الأسود لما ذكر مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغًا في السواد، فلا يكون فيه اختلاف(١١).

الهوامش

(١) انظر: استراتيجية المكان في السرد العربي، د/مصطفى الضبع، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر، ١٩٩٨م، عدد(٧٩)، ص٦٨.
(٢) انظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م، ٤٣١، ٤٣٢، بتصرف.
(٣) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص: ٤٣٧-٤٤٠، بتصرف.
(٤) تفسير البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد العوضي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، ٨/ ٤٧٠.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٢١٦/٢، مادة (بهج).
(٦) انظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص ٣٤٨، ٣٤٩.
(٧) في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ٢٩٤٢/٥.
(٨) السابق.
(٩) نظم الدرر، برهان الدين أبوالحسن البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م، ٤٥/١٦.
(١٠) الكون والإعجاز العلمي في القرآن، منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص١٧٩.
(١١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٢٦/ ٢٠، ٢١.

التراث التربوي العربي.. رؤية حضارية

د. بركات مراد

المنهجية القرآنية تغوص في أعماق النفس الإنسانية لتزيل الجهالات التي تعوق الإنسان عن معرفتها فطرة سليمة يمكن أن تعلق بها أوضار الخرافة والوراثة والتقليد والبيئة أحيانًا، فتكون حينئذ بأمس الحاجة إلى القوة المعينة والإشراقة الهادية لتتخلص من تلك الأوضار فتسلم بصيرتها وذكاؤها وتمتلئ بأحاسيس وإلهامات التوحيد القرآني عقيدة تسع الوجود الإنساني كله.

ومنهج المعرفة يسمو به القرآن أن يكون مجرد علم أو اطلاع، ولكن نواميس الكون طوع الإنسان بالتسخير الطبيعي وبسيادته على أسرار الخلق والإبداع، ويستوي في ذلك التأمل الفكري المحض وإخضاع الكائنات إلى تجربة الإنسان والإفادة منها إلى أقصى حدودها، وهي معرفة مستطاعة لكل مستويات العقل والإفهام- وبخاصة حين تبلغ الإنسانية رشدها وإشادتها بالعلم مقومًا هامًا في بناء الحضارة، ومن العجيب أن يغلب القرآن الكريم مفهوم العلمية إلى المنهج الواقعي في عالم الحس ويثمر منهجه حضارة علمية عبقرية خاضعة إلى منشئ القوانين الطبيعية وخالق النواميس الكونية، وفي تحرير العقل وثورته على المعبودات والتقاليد ودفعه إلى التأمل والتفكير، وربط العقل بالحس والتجربة، وآيات الكون ومصائر الأمم، وحقه في الاجتهاد، ما يعطي النفس الإنسانية أبعادًا تربوية بناءة.

والمناخ التربوي الذي أشاعه القرآن الكريم يقوم على العبادة وثمراتها في الخلق والسلوك، فمفهوم الحق والإيمان والثبات تؤصل التربية وتعمق جذورها في الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية،

تنوعت وسائل النبوة في مخاطبة الناس على قدر عقولهم.. وهكذا نظر مفكرو الإسلام إلى التربية

وتوسع قيم العبادة لتجعل منها علاجًا لانحرافات طارئة، وإنارة للحياة، ويقظة فكرية وعاطفية مستمرة، وتطورًا متعاظمًا نحو الأفضل، وتربية على القوة والعزة، وتحررًا من عبودية الأشياء والشهوات وتربية فردية وجماعية، مادية وروحية وعقلية متوازنة.

لقد زخرت حياة الرسول الكريم ﷺ بالمثل القرآنية الحية التي تتجسد في حياته الشريفة وفي توجيهاته التربوية المتعددة الألوان والمعالم، ولا يغيب عن ذهن المثقف حثه على العلم وتفضيله، ووصاياه القولية وسننه العملية في فداء أسرى بدر بتعليم الأسير عشرة من أبناء الصحابة القراءة والكتابة، وأمره زيد بن ثابت تعلم السريانية وغيرها، وإيفاده البعثات التعليمية والوفود التربوية مثل قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وبن نويرة، وسعيد بن العاص، ومعاذ بن جبل... إلخ.

وتبعًا لذلك قال الشافعي: بعث في دهر واحد اثنا عشر رسولًا إلى اثني عشر ملكًا يدعوهم إلى الإسلام، وقد تحرى فيهم ما تحرى في أمرائه من أن يكونوا معروفين.. أضف إلى ذلك تنوع الأسلوب النبوي التربوي في القول الذي يشمل الحكمة القصيرة، والحوار الحيوي، والتمثيل المادي، والقصص الهادف، وفي الوسائل الحسية من رسوم وخطوط لإيضاح الأمور، وخط الرسول ﷺ في الرمل يمثل الأمل والأجل، وقريب منه استعمال يديه بالتشبيك وأنامله بالتقارب والتدوير في مواقف عديدة.

فقد تنوعت وسائل النبوة في مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وأخذهم باللين والتدرج، وعدم الغضب إلا في موضعه المناسب، وصبره على إيذاء الآخرين بالقول والعمل، وإقناع الآخرين بالمنطق والواقع، واهتماماته الخاصة بالصبية والفتيان والشباب، والإفادة من المناسبات والوقائع والحوادث، وسبقه إلى العمل وحماسته له، وتميز شخصيته عن الآخرين بالفضائل الإنسانية والخبرات

باحث في الفكر الإسلامي

الطابع العام للتربية الإسلامية ليس دينيًا محضًا ولا دنيويًا محضًا.. إنما يلائم بينهما

الشخصية.. كل ذلك وغيره يشد المسلمين إليه ويحببهم بأحواله، ويصنع منهم خير أمة أخرجت للناس.

طابع التربية الإسلامية

تأثرت التربية في الحضارة الإسلامية بالتقاليد والمبادئ الإسلامية تأثرًا واضحًا، فالدولة الإسلامية ظلت محتفظة بطابعها الديني حتى عندما خرجت عن حدود الجزيرة العربية، وقد نتج عن هذا التأثر فقدان الاختلاف في نظم التربية في الأمصار الإسلامية، مما ساعد على تماسك الإمبراطورية الإسلامية سياسيًا وعقليًا زمنًا طويلًا، ثم استمرار الوحدة الروحية والعقلية بعد ذلك، وساند ذلك نمو حركة النشاط العقلي حين أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والتخاطب، وأيضًا انتفاع المسلمين بالنقل والترجمة.

وحين تطور المجتمع بعد ذلك تأثرت التربية بهذا التطور، الذي تمثل في اتساع الأفق الفكري، ووفرة المحصول العلمي، واختلاف المذاهب والآراء، وما نجم عن البذخ والثراء من إغراق في الملذات، واضطراب الحياة الاجتماعية واتساع المناهج، وتعدد المذاهب الفلسفية والدينية.

ويمكن تلخيص الطابع العام للتربية الإسلامية في أن عنايتها تجلت في نزعتها المثالية في تقديم العلم والحث على طلبه، وفي الاهتمام بالفضائل الخلقية، ثم في مرونتها في طرق التحصيل، واصطباغها بروح الديموقراطية التي قضت على الفروق بين الشعوب والأجناس والطبقات في مجال التعليم والدين، وإعطاء الأفراد فرصًا متساوية في التحصيل لما تكتمل في كثير من الأمم الحديثة.

أغراض التربية

اشتملت التربية الإسلامية على عديد من الأغراض تلخصها عبارة النحوي في «جامع بيان العلم» حين يقول: «اطلب العلم، فإنه عون في الدين، ومذك للقريحة، وصاحب لدى المحنة، ومقيد للمجالس، وجالب للمال»، فأول هذه الأغراض هو الغرض الديني، فمنذ أن نزل القرآن الكريم، وهو مرجع المسلمين في أمور العبادة والتشريع والحياة الاجتماعية، بشتى مظاهرها، وإليه يعود الفضل في انتشار القراءة والكتابة، وتأسيس المدارس، ونشأة العلوم المختلفة لخدمته وتفسيره وفهمه.

على أن الطابع العام للتربية عند المسلمين لم يكن دينيًا محضًا، كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول من تاريخهم، ولم يكن دنيويًا محضًا كما هو الشأن عند الرومان مثلًا، وإنما كان يلائم الدين والدنيا، فكانت التربية تهدف إلى إعداد النشء للحياة وللآخرة معًا في إطار الآية الكريمة ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، كما يقول الرسول الكريم ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

وقد هدفت التربية بجانب الدين والأخلاق إلى معان اجتماعية عبرت عنها مأثوراتهم، قال مصعب بن الزبير لابنه: «تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالًا، وإن لم يكن لك مال كان لك مالًا»، ويقول عبدالملك بن مروان لبنيه: «يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم»، ونجد أنه حينما بدأ العلماء يكثرون ويتميزون في علومهم تبعًا لنمو الحركة العلمية، وازدهارها ظهرت طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة العلماء التي نالت مكانة رفيعة عند الخلفاء والأمراء، مما دعا الناس إلى الإقبال على التعلم لينالوا هذه الحظوة.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدته وسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلى القرب من الله تعالى، ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال».

ولقد وهب كثير من العلماء حياتهم للعلم تحصيلًا وتدوينًا لا لشيء سوى الإيمان بتحصيل العلم واستشعار اللذة في تدوينه، كما عبر عن ذلك بقولهم «كفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيًا وباعثًا للعامل على تحصيله»، وقول بعضهم: «من تعلم علمًا للاحتراف لم يأت عالمًا، وإنما جاء شبيهًا بالعلماء»، ومن أجل ذلك كان احتمالهم للمشقات وارتحالهم في طلب العلم ليطفئوا ظمأهم إلى المعرفة.

ولم يكن مبدأ أخذ أجر موضع نقاش بين علماء المسلمين، فكان من

زيادة التدين أن ظهر التحرج من الأجر في العلوم الدينية المباشرة كتحفيظ القرآن، وإن كان النبي ﷺ قبل أن يفدي بعض الأسرى نظير قيامهم بتعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة، مما يوضح أن المبدأ صحيح في ذاته.

هذا وقد كانت وظائف القضاء والتعليم غايات سعى إليها كثير من الناس وأعدوا أنفسهم لها، وكان ابن سينا من أنصار الغرض الكسبي في التربية: «إذا فرغ الصبي من تعليم القرآن وحفظ أصول اللغة، انظر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته، فوجهه لطريقه، بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يروحها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه».

ظهور المؤلفات التربوية

ويظهر أن أقدم مؤلف تربوي للإمام أبي حنيفة النعمان (٨ . ١٥هـ) «العالم والمتعلم»، وقد اتخذ هذا الكتاب أسلوب الحوار والمناقشة بين المعلم وبين الطالب في قضايا الدين عقيدة وفقهًا، وكان لشخصية الجاحظ أبي عثمان(١٦٣هـ/٢٥٥م) تلك الشخصية الموسوعية جانب تربوي يتندر فيه على فئة من المعلمين الذين ليسوا أهلًا للقيام بأعباء تلك المسؤولية، والمعوقات الأدبية والاجتماعية والفنية التي تقف حائلًا بين المعلم ونجاحاته التربوية، وقد جمع ذلك في كتابه «المعلمين»، وبعد الجاحظ بقليل يبرز فقيه محدث هو أبوبكر بن عمر البلخي (٢٨٠هـ) وينحو في مؤلفه «العالم والمتعلم» منحى الموضوعات في العقيدة والفقه والأدب، من غير أن يعرض إلى آداب العالم والمتعلم.

أما الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٢هـ) الحافظ والمؤرخ صاحب الفكر المنظم والإنتاج المتنوع، فله في المجال التربوي كتابان «الفقيه والمتفقه» في اثني عشر مجلدًا جمعها وعلق عليها، وكان لابن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣هـ) وهو الفقيه الباحث والأديب الأريب مؤلف مهم احتفل به العلماء من بعد وهو «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»، أما حجة الإسلام الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) الفيلسوف والمتكلم والصوفي، فمن أهم مؤلفاته التربوية كتابه «أيها الولد» وكثير من الرسائل التربوية الأخرى، فضلًا عن جوانب تعليمية وتربوية في مؤلفاته الصوفية والكلامية الكثيرة، مثل ميزان العمل، ومعيار العلم، وبقية رسائله الصوفية الكبيرة والصغيرة.

ثم تعاقب أعلام في التربية كان لهم دورهم في تركيز المفاهيم التربوية وتفصيلها، فقد أخذ السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ) وهو المؤرخ والحافظ وصاحب كتاب «الأنساب» المشهور جانبًا تربويًا في بيان أهمية الكتابة، وتصنيف العلوم وآداب الملي والمستملي، وكتابه «أدب الإملاء والاستملاء»، كما اهتم الإمام والمحدث النووي بآداب العلم والعالم والمتعلم، وعلى الرغم من غلبة الفقه والحديث وعلم الرجال على تآليفه، فقد شغل أكثر من أربعين صفحة مقدمة للكتابة، اعتمد عليها كثير من العلماء الذين اشتغلوا بالعلم والتربية فيما بعد.

وكان عبدالله بن محمد البلخي (٦١١. ٦٩٨هـ) في كتابه «العالم والمتعلم» على نسق الرسائل والكتب التربوية السابقة، ثم توالى العلماء المسلمون المهتمون بالجوانب التربوية، إضافة إلى النواحي العلمية والأكاديمية في كتبهم ومؤلفاتهم، وعلى رأس هؤلاء ابن حجر الفقيه والباحث شيخ الإسلام في مصر، خاصة في رسالته «تحرير المقال في تربية الأطفال»، وبدر الدين الغزي (٩٨٤.٩,٤هـ) الدمشقي، خاصة في مؤلفه «الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»، وهو من أوعب المؤلفات التربوية في التراث، وقد اختصره عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي (٩٨١هـ) في مؤلف سماه «المعيد في أدب المفيد والمستفيد».

وفي القرن العاشر الهجري قدم طاش كبرى زاده المؤرخ والعالم رسالة جامعة في وصف العلوم النافعة، ومفتاح السعادة، ونوادر الأخبار في مناقب الأخيار... وغيرها. أما ابن خلدون فإن الظواهر التربوية احتلت مكانًا مهمًا في كتابه الشهير«المقدمة»، فهو لم يهمل الكلام عن ضروراتها وأسسها ومشكلاتها، بل أكد على أن العلم والتعليم من ضرورات العمران البشري ووجودها فيه أمر طبيعي، وأن تعلم العلم صناعة تختلف طرق المعلمين فيها باختلاف زمنهم وبلادهم.

والظاهر أن تأكيده على أن تربية الأطفال والكبار في الأمصار الإسلامية خلال عصره تختلف باختلاف كل مصر منها، يجعل من هذه الظواهر التربوية، أعرافًا تتخذ بشكل أنظمة قائمة ومحددة بذاتها، ولعل هذا التأكيد جاء نتيجة لمشاهداته في البلدان التي عرفها وعاش فيها، كما استعان في كل ما كتب عن النواحي التربوية بضرب أمثلة حية ملموسة عن واقعها مما لا يجعل لآرائه أن تتخذ أسلوب نظرية مبنية على الخيال، بل نتيجة سعيه وتجاربه، وهي على وجه العموم سليمة ومعقولة وخصوصًا فيما يتعلق بالربط الذي أحكمه بين التربية والحضارة، فهذا يدل على شدة ملاحظاته وعمق تفكيره.

وجود الأعداء سنة كونية أودعها الله عز وجل في خلقه، وهذه العداوة موجودة بين البشر والشيطان، وبين البشر بعضهم البعض، وبين البشر وبعض الكائنات الضارة، وبين الكائنات المختلفة، وعندما نتأمل ونتفكر ونتدبر نجد أن وجود الأعداء نعمة من الله عز وجل لا تستقيم الحياة من دونها.. فهذه محاولة للتفكر والتدبر في هذه النعمة.

العداء سنة كونية

د. زياد موسى



أول عداء في تاريخ البشرية كان مع إبليس اللعين، حيث أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم أن إبليس اللعين رفض واستكبر السجود لآدم، ورفض طاعة أمر الله عز وجل، فطرده الله من رحمته، وحقدًا على آدم وذريته فإنه أخذ عهدًا على نفسه بأن يضل آدم وذريته ليتبعوه، ونجح الشيطان في تحقيق أول أهدافه وأغوى أبوينا آدم وحواء فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، وكان العقاب الخروج من الجنة، والنزول إلى الأرض﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)، أي أن الله عز وجل قدر العداء بين بني آدم لكي تستقر الحياة.

وفي غواية إبليس لأبوينا درس لذرية آدم إلى يوم القيامة، نتعلم من هذا الدرس أن من يطيع الشيطان لن يدخل الجنة، والعداوة والبغضاء بين البشر تكون بفعل عدونا الأول الشيطان اللعين ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٠)، و ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(فاطر: ٦).

الأعداء من البشر

بل إن من سنن الله سبحانه وتعالى أنه جعل لكل نبي عدوا،﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وجعل الله لنبيه محمد ﷺ أعداء من الكفار واليهود، وطلب الله سبحانه وتعالى منه ﷺ الصبر والاقتداء بأولي العزم من الرسل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، فوجود الأعداء والصبر عليهم ومحاولة التغلب عليهم يزيد أجر الأنبياء والمؤمنين، ويرفع درجاتهم يوم الدين.

وكذلك قال الله تعالى في قرآنه: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، فتدافع الناس بعضهم لبعض ومقاومة الظالمين والمستبدين، ووجود صراع بين القوى المختلفة من السنن الإلهية التي تصلح بها الحياة على الأرض، ويجعل هناك توازنًا بين القوى، فلولا خوف الناس والدول من بعضها البعض لما حدث التوازن في الدنيا ولما صلحت الحياة.

الإسلام دين محبة وسلام

الإسلام دين محبة وسلام، لا يحض

كاتب أردني

على العداء، الإسلام دين سلام تحيته السلام، يدعو المسلمين إلى الوحدة ونبذ الخلاف والعداء، حيث يقول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا... ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ومع الأعداء يأمرنا الله أن نقاتلهم إذا اعتدوا علينا ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (البقرة: ١٩٤)، وأن نأخذ حذرنا ونتخذ العدة، وإذا كانت هناك نية صادقة من الأعداء للسلام فيجب أن نتجه للسلام ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦٠-٦١)، فالإسلام دين سلام لا يدعو للعداء، بل يدعو للمحبة وللخير.

ومقاومة الأعداء لها أجر كبير عند الله، يصل بالمسلم لدرجة الشهادة، حيث قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد،ومن قتل دون أهله فهو شهيد» (صحيح الجامع)، وعن ثواب الشهيد قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج

وجود الأعداء كان سببًا للتقدم العلمي في مجالات الفضاء والطاقة والاتصالات



اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

العداء والتقدم العلمي

وجود الأعداء كان سببًا للتقدم العلمي في مجالات عدة ، مثل مجالات الفضاء، والطاقة والاتصالات... وغيرها، ففي مجال علوم الفضاء كان للصواريخ بعيدة المدى فضل في تقدم علم الفلك، حيث إن هذه الصواريخ تحمل سفن الفضاء التي يتم إطلاقها لتصل لسطح القمر، بل كان العداء، أثناء الحرب الباردة في القرن الماضي بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي السابق، سببًا في احتدام السباق بينهما في برامج الفضاء واستكشاف القمر، وتقدم علم الفلك.

وكذلك لعبت هذه الصواريخ دورًا في إطلاق الأقمار الصناعية لتدور في مداراتها حول الأرض، والأقمار الصناعية كما هو معلوم لها مجالات عديدة مثل: الإعلام وبث القنوات والإذاعات الفضائية، والاستشعار عن بُعد لكشف ثروات الأرض في باطن التربة وغير ذلك.. فهل تخيلنا لو لم توجد الصواريخ التي تستخدم في الحروب هل كان علم الفضاء يستطيع التقدم؟ وهل كنا نستطيع التمتع بمزايا الأقمار الصناعية؟

والتقنيات التي تستخدمها الجيوش أيضًا كانت دافعًا للتقدم في علوم أخرى، فمثلاً علوم الذرة تقدمت بسرعة بعد الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي في اليابان من جانب الولايات المتحدة الأميركية، فشرعت الدول الكبرى في العالم في عمل برنامج نووي لإنتاج قنابل نووية، ونشط هذا المجال من العلوم ونشطت استخدامات أخرى وفروع أخرى لهذه العلوم مثل انتاج الطاقة النووية، وغيرها من مجالات الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

بل إن أجهزة الرادار التي تستخدمها الجيوش كأحد أهم أسلحة الدفاع الجوي لرصد الصورايخ المعادية مستوحاة من الخفافيش التي تمثل أعداء البشرية، فالخفاش مصاص الدماء الذي يمص دماء الحيوانات الأليفة في أميركا الجنوبية، هذه الأجهزة تستخدمها أجهزة المرور في مراقبة السيارات

في مختلف أنحاء العالم، والأعداء من الكائنات الحية التي تسبب أضرارًا للبشرية هي الدافع الرئيسي لتقدم العديد من العلوم التجريبية مثل الطب والزراعة وغيرها.

ترويض الأعداء من الكائنات

ويمكننا بالعلم أن نروض الأعداء من الكائنات، بالعلم نستطيع أن نحول الأعداء من الكائنات إلى أصدقاء، فهناك أمثلة كثيرة على ذلك عبر تاريخ البشرية التي استفاد فيها الإنسان من الأعداء الطبيعية التي تسبب له إزعاجًا، سواء كان ذلك إزعاجًا مباشرًا له، أو لنباتات الحقول التي يزرعها أو الحيوانات الأليفة التي يربيها.

فمثلًا النجيلة التي تسبب مشكلة كبيرة للمزارعين عندما تنمو في الحقول وتأخذ منهم وقتًا وجهدًا لمقاومتها، استطاع الإنسان أن يستفيد منها ويزرعها في ملاعب كرة القدم، فملاعب النجيلة الطبيعية هي أساس كرة القدم حاليًا في العالم على المستوى الاحترافي.

المكافحة الحيوية

يمكننا أن نستخدم الكائنات الصديقة لنا أو بعضًا من منتجاتها في مقاومة أعدائها من الآفات الضارة لنا فيما يعرف بـ«المكافحة الحيوية»، فمثلًا استغل العلماء علاقات التطفل والافتراس والكائنات الممرضة في مكافحة الحشرات التي تصيب النباتات.

الافتراس هو مهاجمة كائن حي (المفترس) لكائن حي آخر (الفريسة) والتهامه جزئيًا أو كليًا تاركًا إياه ميتًا أو مشرفًا على الموت، ومن أهم المفترسات حشرات أبوالعيد وأسد المنّ وغيرهما، والتي تفترس العديد من الحشرات الضارة، أما التطفل فهو

بالعلم يمكن ترويض الأعداء من الكائنات وتحويلها إلى أصدقاء

مهاجمة كائن حي (المتطفل) لكائن حي آخر (العائل) في أحد أطواره، واعتماده عليه في غذائه وتطوره مسببًا له الموت في النهاية، مثل طفيل التريكو جراما Trichogramma الذي يتطفل على بيض حشرات حرشفيات الأجنحة مثل: ديدان اللوز على القطن، ودودة ثمار التفاح، ودودة ثمار العنب، وكذلك تستخدم الميكروبات التي تسبب أمراضًا للحشرات الضارة في القضاء على هذه الحشرات، والميكروب هو أحد الكائنات الدقيقة التي تسبب المرض (فطر أو بكتيريا أو فيروس... إلخ) مثل بكتريا (Bacillus thuringiensis) التي تهاجم حشرات تنتمي إلى رتب تصنيفية مختلفة، وأفضل أنواع هذه البكتيريا تهاجم اليسروعات (رتبة حرشفيات الأجنحة).

وكذلك يقوم العلماء بالاستفادة من علاقة العداء في القضاء على الحشائش، حيث تستخدم بعض الميكروبات التي تصيب الحشائش ولا تؤثر في نباتات المحاصيل الحقلية أو البستانية في مكافحة هذه الحشائش.

وفي المقاومة الحيوية أيضًا يتم ترويض الأعداء، حيث إن البكتيريا المسببة للعفن البني للبطاطس (رالستونيا سولاناسيرم) من أخطر أنواع البكتيريا على الاقتصاد العالمي، هذه البكتيريا تصيب أكثر من ٢٠٠ نبات تنتمي لأكثر من ٥٠ عائلة نباتية، تمكن العلماء في استراليا من استخدامها لمقاومة الحشائش التي تنمو في الغابات حيث إنها لا تصيب أشجار هذه الغابات وتصيب الحشائش فقط.

بل تستخدم فيروسات تصيب البكتيريا في مكافحة الأمراض البكتيرية التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات، فهناك فيروسات تستطيع أن تصيب البكتيريا وتقضي عليها، ويعرف هذا الأسلوب بـ«العلاج بالفيروسات».

كذلك يمكن استخدام بعض الزيوت العطرية وبعض المركبات التي يتم استخلاصها من بعض النباتات الطبية مثل الينسون والزعتر والشمر وحبة البركة في مكافحة الميكروبات الممرضة للنبات والحيوان والإنسان، وتستخدم هذه المركبات في صناعة الأدوية والمبيدات في جميع أنحاء العالم لمكافحة الميكروبات الضارة.

كذلك استغل الإنسان الأسلحة التي تستخدمها الميكروبات ضد بعضها أثناء تنافسها في البيئة، فالمضادات الحيوية تعتبر أسلحة تستخدمها هذه الميكروبات للقضاء على غيرها من الميكروبات الأخرى، فمثلًا يستطيع فطر البنيسيليوم أن ينتج المضاد الحيوي «البنسيلين» الذي يقضي على ميكروبات أخرى، واستغل العلماء هذا المضاد الحيوي بعد استخلاصه وتنقيته في علاج الكثير من الأمراض، والقضاء على كثير من الميكروبات الممرضة.

هذه محاولة للتفكر في نعمة وجود الأعداء، والسنة الكونية لوجود العداء، ومحاولة لذكر البعض القليل من أفضال هذه النعمة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨).



لغة وأدب

الأديب والكلمة الطيبة

في معرض الدلالة على أن الكلمة الطيبة لها أثرها وموقعها الحسن في النفوس ، ضرب الله المثل بها في قرآنه العظيم فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم : ٢٤ -٢٥) ، وإذا كان هذا واردًا في حق الكلمة من أي إنسان . . فإن كلمة الأديب أحق بالمؤاخذة ؛ لأنها صادرة عن إنسان يعرف قيمة الكلمة ويقدرها حق قدرها ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله : «إن من البيان لسحرًا ، وإن من الشعر لحكمة» .

فالقيمة الحقيقية للأدب تكمن إذن في مضمون الكلمة التي يقولها الأديب ويوجهها لجمهوره ، هل تستثير فيهم الهمة؟ وهل تعالج قضاياهم؟ وهل ترسخ فيهم بذور الخير والفضيلة؟ أم أنها مجرد كلمات لا تقدم ولا تؤخر ، دونما هدف أو مضمون ، ومعظمها لا يخرج عن نطاق المرأة والتغني بها ، تجامل على حساب الحق والدين ، وتستثير الغرائز والشهوات ، وتمجد الرذيلة وتمشي في ركاب الهوى . . لمثل هؤلاء الأدباء الذين حادوا عن جادة الصواب نقول : اتقوا الله في دينكم وأمتكم ، وكونوا مشاعل خير في طريق نهضة الأمة ، واعلموا أن الآثار الأدبية إنما تستمد خلودها من مضمونها لا من بريقها الخادع الذي سرعان ما يخبو بعد وفاة صاحبها .

التحرير





الحرية والتحرر في شعر بدوي الجبل

عبدالهادي صافي

لئن كان المتنبي شاعر المجد والبطولة في التراث العربي القديم، فإن بدوي الجبل الشاعر السوري هو شاعر الحرية والدعوة إلى التحرر من كل غاصب محتل، وليس هناك شاعر تغنى بالحرية كما تغنى بها بدوي الجبل ودعا إليها وإلى التحرر من ربقة الاستعمار والظلم، ففي ديوانه الكبير مقطوعات كثيرة في الحرية والتحرر حتى إننا نستطيع أن نفرد لها دراسة خاصة بها، وأن نجعلها غرضًا من أغراضه الشعرية له معانيه وآراؤه فيها وصوره الفنية اللافتة، ولغته الشعرية الخاصة به.

ليس هناك قضية شغلت شاعرنا واحتلت مكانًا واسعًا من تفكيره مثل قضية الحرية والتحرر، فقد اضطهد من أجلها والدفاع عنها، وعرف الظلم بأنواعه، وذاق ظلم الطغاة بأنواعه وأشكاله، عذب وطورد ودخل السجن، وعاش في الظلام، ونفي من بلاده من أجل الدعوة إلى التحرر والخلاص من المستعمر.

لذلك كانت دعوته نابعة من تجربته الذاتية، عندما كانت سورية ترزح تحت الاحتلال الفرنسي، حيث أدخل السجن وكانت أشعاره في هذه المرحلة صرخات في وجه المستعمر، تعبر عن غضبه وآلامه، يجأر بالحرية ويصدع بها وينادي إليها، ولكنه مع ذلك كان أبيًا في سجنه، لا يرضخ للذل والهوان، وإننا نلاحظ في هذا الشعر سماته الخاصة به تحمل فلسفته في الحياة، وتصور شخصيته، وخصائصه الفكرية، يتحدى الظلم والظلام، ويحيا في الحياة عزيزًا شامخًا، يستوي العيش في السجن عنده أو في القصر:

أطل على الدنيا عزيزًا: أضمني
إليه ظلام السجن أم ضمني القصر

دعوته للحرية نبعت من تجاربه الذاتية .. والعزة والنزعة الصوفية أبرز محاور شخصيته

ويمضي بهذه الفلسفة الخاصة عن الحرية التي كونها لنفسه من تجاربه في الحياة، وخبرته في السياسة، لأن مثل هذه المعاني في شعر الحرية لا تصدر إلا عن فيلسوف متصوف زهد بالحياة، وآثر حياة العزلة في السجن عما يراه في الحياة من فساد واضطهاد وصلف وغرور.

يروي زهير المارديني في كتابه عن البدوي «حكاية شاعر» على لسان الشاعر:

«وقت سجن «كسب» الطويل المضني الممل، وكأن لا نهاية له، قطعته من دون أنيس ولا جليس ولا زائر ولا كتاب، أحاول التغلب على ما أنا فيه بالتفكير وتلاوة ما حفظته من آيات القرآن الكريم، وتخيلي اخواني ورفاق دربي وهم بين معتقل ومبعد وهائم، وأحمد الله على أنه أنعم علي بالصبر والطمأنينة...» .

ويبدو لنا من خلال شعره أنه عارف بأسرار الحياة، تعمق في فهمها وإدراكها، فخرج إلينا بهذه الحكمة الفلسفية، اضطهد في بلاده في مرحلة الاحتلال الفرنسي، ودخل السجون، وعانى قسوة الحياة من تشرد ونفي واغتراب، فلما عاد من نفيه أبدع أجمل القصائد:

جلاني الظلم أشلاء ممزقة
واحتز أكرمهن: القلب والولدا

والدعوة إلى الحرية والتحرر نراها في أكثر قصائده مبثوثة في قصائد الغربة والحنين وفي قصائد الرثاء، نلمس فيها حالته النفسية، وقد جابه هذه الحياة بعزيمة لا تقهر وصدر لا يتزعزع، فالإنسان الذي يدافع عن مبدأ سام ويجأر بكلمة الحق تهون عليه السجون، وكذلك كان الشاعر البدوي يعلن مبادئه بكل جرأة وهو يخوض العمل السياسي، ومعترك الحياة الوطنية، دون خوف من مستعمر أو ظالم، مهما تكن قوته ومهما يكن جبروته، بل نراه يسخر من الظالم الجبار ويشمت به، وهناك



كثيرمن الأبيات يمكن الاستشهاد بها على هيامه بالحرية وتغنيه بها، فعلى طريقة البدوي في صياغة الشعر وفي جعله القصيدة الشعرية عنده تتسع لأكثر من غرض أو موضوع، يبكي دائمًا الحرية الضائعة التي تعاني الشعوب من فقدانها ويحن إلى موطن الحرية والأحرار بلاد الشام.

وتقوم فلسفة الحرية في شعر بدوي الجبل على مرتكزات فكرية ووجدانية أهمها أنه غير آبه بالحياة، ولا يخاف ظلام السجن، فنفسه تضيء وهو بين جدرانه، بأسطع الأنوار، وتبقى حرة طليقة داخل السجن:

وما ضَرني أسرٌ ونفسي طليقةٌ
مجنحةٌ ما كفّ منْ شأوها أسرُ

هذه النزعة الصوفية المتحررة من قيود الدنيا، وحب الانعزال عن العالم، وخلق كون آخر تعيش فيه وامتزاجه بالكون، ومناجاته المستمرة وابتهالاته المتكررة كلها من عناصر الفكر الصوفي الذي نجد أمثلة كثيرة له في ديوانه:

إذا ملكوا الدنيا على الحرّ عنوةً
ففي نفسه دنيا هي العزُّ والكِبْرُ
وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكًا
أضاء له كون بعيدٌ هو الفكرُ

وإن العزة والكبر هما محور شخصية الشاعر الإنسانية، يدافع عن كرامته، إذا شعر بأنها تهان، وعن عزته إذا أحس بالاعتداء عليها، وكبرياؤه يشيد به في كل مناسبة ويعتز بها ويثني عليها، ونحن حين نقرأ شعره نحس بروح المتنبي تحوم فوقه، والمتنبي المعروف عنه والمشهور أنه يعرف نفسه ويوقرها ويمتدح خصائصها، وكذلك نحن عندما نقرأ شعر البدوي نحس بتقديره نفسه



وصونها عن الابتذال، وتجد في الأبيات التي يدعو فيها إلى الحرية أنه لا يشكو من قهر السجن والسجان بقدر ما يعتز بحالة السجن التي هو فيها:

وعقود من السنين نظمناها
سجونًا وكبرياءً وضيقًا

ونراه يشمخ على الطغاة ويهزأ بهم، ففي قصيدة «إني لأشمت بالجبار» سخرية واضحة من المستعمر الفرنسي الذي احتل الألمان بلاده، ولم يرعه الظالم في يوم من الأيام، بل كان يقوي القهر عزيمته ويشد السجن من أزره، يعلن غضبه:

وكنتُ إذا الطاغي رماني رميتُه
فلا نصرتي همس ولا غضبي سرُّ

يندد البدوي في شعر الحرية والتحرر بالاستبداد والطغيان، ولا يحصرهما في بلد معين ولكنه يندد بهما وهما مخيمان على أنحاء العالم، ويقف إلى المدافعين عن الحرية والأحرار في العالم كله، وكل من لقي ظلمًا ووقع عليه أذى، وهذه نزعة إنسانية في أدب الحرية والتحرر عند بدوي الجبل، وقد وقف إلى جانب الحق ودافع عنه، يروي زهير الماردينيِ في كتابه وهو يحاور بدوي الجبل قائلًا: «قال لي مرّة ونحن في طريقنا إلى اللاذقية، اسمي محمد سليمان الأحمد، نشرت الشعر العربي في الرابعة عشرة من عمري في جريدة «ألف باء» الدمشقية للمرحوم يوسف العيسى، في تلك الأثناء مات حاكم (كيرك) في (أيرلندا) حبسه الإنجليز فأضرب عن الطعام ومات، وكان قبل مماته كتب قطعة جميلة دعيت (صلاة) فنظمتها شعرًا فنشرها صاحب الجريدة باسم بدوي الجبل، وكانت حجته أن القصيدة (الصلاة) جيدة وأنها من الجودة بحيث لا يجوز نشرها باسمي الحقيقي وقال لي لا أحد يعرفك، ، فحوّل بدوي الجبل قصيدة (كيرك) ومعانيها (الصلاة) إلى قصيدة نظمها، منها هذه الأبيات:

أمنوّلَ الأمم الضعيفة حقَّها
ومديلها القهار من ظُلاّمها
اسمحْ لنصرك أن يرفرف فوقها
ويطاولَ الجوزاءَ في أعلامها
إنْ لم تُرجّ الفوزَ قبل حمامها
فاسْمح به ياربُ بعد حمامها
فتراه بعد الموت في أرواحها
إنْ لم تكن شهدته في أجسامها

ويلفتنا في شعر هذا الشاعر السوري الحديث (١٩٠٣ -١٩٨١) لغته الشعرية التي تمتح من الأصالة والتراث وترق بالمفردات العذبة الرقيقة وصوره الفنية التي تأخذ من الماضي بقدر ما تجدد من الحاضر، وتراكيب بدوية أصيلة لا تخرج على قواعد الشعر العربي ممتزجة بتراكيب حضارية حديثة مترفة، فهو شاعر طرح في شعره إشكالية القديم والجديد في موسيقى قوية تناسب المضمون تصخب أحيانًا وترق وتشف أحيانًا أخرى، وليس مخطئًا من أطلق عليه لقب «عملاق الكلاسيكية المعاصرة»،

شخصية الطبيب المسلم في أدب نجيب الكيلاني

أحمد حسن الخميسي

اهتم المؤرخون وكتّاب السير بسيرة النبلاء من القادة والعلماء وغيرهم، ولقد حظي مشاهير الأطباء بقسط وافر من هذا الاهتمام، فكتب عن حياتهم ومكانتهم وبحوثهم وتجاربهم عديد من الكتب قديمًا وحديثًا.

وكان من أجمل وأروع ما كتب عن حياة الأطباء تلك المؤلفات التي سطرها الأدباء الأطباء الذين نبغوا خارج تخصصهم العلمي، حيث توجهوا للأدب فكتبوا في فنونه كثيرًا وصوروا من خلاله حياتهم ومذكراتهم.

من هؤلاء الأديب الدكتور عبدالسلام العجيلي في مجموعته القصصية «حكايات طبية»، وكذلك فعل الأديب الطبيب «نجيب الكيلاني».

» الذي سرد لنا نجيب الكيلانيجانبًا من حياته الطبية مع المرضى بطريقة غير مباشرة دون أن يذكر اسمه في حكايات وقصص مجموعته القصصية «حكايات طبيب»، وقد جاء في تقديمها: «الواقع أن هذه المجموعة من القصص تتميز عن غيرها بميزة مهمة، ألا وهي أنها مذكرات لكنها كتبت بأسلوب القصة الفنية القصيرة، حيث يتجلى الإطار الفني الكلاسيكي بصورة ناجحة، وحيث الشخصيات المتنوعة الثرية والحوار الحي المتدفق والفكرة الأصيلة المتميزة والسرد السلس الأخاذ.

هي إذن تجمع بين القصة والمذكرات، في ظل المفاهيم الإنسانية الراقية التي بعث الله بها أنبياءه ورسله.

لقد تحدثت هذه المجموعة بشكل عام عن الطبيب والمرضى.

وربما عرض «نجيب الكيلاني» في رواياته وقصصه الأخرى لمشاهد طبية إنسانية، وسنعرض صورة هذا الطبيب المسلم التي قدمها الأديب نجيب الكيلاني في مجموعته «حكايات طبيب».

إيمان الطبيب وعيادته

في قصة «قدرة الله» الموجودة في مجموعة «حكايات طبيب» يبدأ بقوله: «إن للحظة الميلاد قدسيتها وروعتها، فالطفل الذي يولد ويندفع الهواء إلى رئتيه فينبعث صراخ من نوع عجيب محبب إلى النفوس، هذا الطفل الصغير الجميل يثير في النفس عديدًا من المشاعر والمعاني.. فالقدرة الإلهية تصنع المعجزة الخالدة ببساطة مذهلة في كل ثانية من الثواني، هذه الأفكار تراود الطبيب الجديد».

وفي إجراء جراحة عاجلة لثدي امرأة أصيب بخرّاج في قصة «ليلة غاب عنها القمر» يقول: «كانت عناية الله ترعانا.. وما إن وضعت المبضع وشققت الثدي حتى تدفقت كمية كبيرة من مخلفات الالتهاب..».



هذا الإيمان العميق والثقة بالله كان يبثها في نفوس مرضاه، ففي حوار مع مريضته في قصة «ليل الحيارى» يقول: «الإنسان وطاقاته الهائلة لا يحتاج إلا إلى الثقة بنفسه والإيمان بربه، عندها يستطيع أن يحقق نجاحات خرافية»..

ثم يقول لها عن الأرق ومعالجته: «دوسي على العقاقير المنومة بحذائك، لا ترهبي الأرق.. في البداية لن تكوني وحدك.. اذكري ذلك الحديث القدسي العظيم عن رب

كاتب سوري



العزة حيث يقول: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...»

والكون ليس فوضى، كل شيء يسير فيه بحساب.

وفي قصة «ليل الحيارى» التي تدور أحداثها حول فتاة تقع في براثن المرض بسبب انحراف أمها، وقد حاول الطبيب اقناع أبيها بما تفعله الأم، لكنه لم يفلح بسبب ثقة الأب بموظفه الذي كان يتردد على المنزل في غيابه بحجة قضاء الحاجيات، وبعد أيام يذهب الطبيب إلى ذلك الموظف «ماهر» عله يقنعه بالابتعاد عن طريق الزوجة التي سبب انحرافها مرض ابنتها، إلا أن ماهرًا رد عليه بوقاحة وعنف، فخرج الطبيب من عندها هائمًا على وجهه، والسماء سوداء قاتمة، والأضواء الكهربائية الملونة تتوالى في جنون، معلنة عن المحلات التجارية وأنواع البضائع المختلفة.

وانطلق مكبر الصوت يؤذن للعشاء، ووجد الطبيب نفسه يدلف إلى داخل المسجد القريب، خلع سترته وتوضأ، شعر بأن الماء البارد يهدئ من ثورته، وانخرط في سلك المصلين، شعر بأنه يقترب من الله أكثر، ضوء المسجد خفت، والإمام يردد بضع آيات من القرآن الكريم ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة...﴾ كان يحلق مع الآيات في آفاق عليا، وادعة، تشع باليقين والأمل والرجاء.

المؤمن إذن يتلقى العون من الله حتى ينجو من الخوف والحزن، يا إلهي، الخوف والحزن، هما أهم سمتين يشاهدهما في الأمراض النفسية، والعلاج واضح هنا، لماذا لم يدرس ذلك من قبل؟

وخرج من الصلاة وهو أفضل كثيرًا من ذي قبل، لقد شعر براحة كبرى،

«حكايات طبيب» للكيلاني تجمع بين القصة والمذكرات في ظل مفاهيم إنسانية راقية

توارى اليأس والضيق، عندما دخل على «رشيدة» وجدها تنتظر على أحر من الجمر قالت: أين كنت ؟ قال: كنت أبحث لك عن علاج جديد، وقد وجدته، بدا على وجهها الفرح وقالت: يبدو أنك نسيت تحضر لي كتابًا جديدًا، ابتسم ثم فتح حقيبته وأخرج لها مصحفًا.

وفي قصة «ظلال الحب» يصور لنا كيف كان يطوف بالكعبة وهو يؤدي فريضة الحج.

ثقافته وخبرته

يصور لنا الأديب نجيب الكيلاني في قصصه الطبيب مثقفًا يتابع دراساته، ملمًا بمهنته تشخصيًا وعلاجًا، يقول في قصة «ليل الحيارى» إنه دائمًا يبحث في الكتب، ويقرأ أحدث الدراسات، ويطلع على مختلف مدارس العلاج.

وفي قصة «محاكمة العقل الباطني» يعرف الحالة التي تعاني منها مريضته، «وذات مساء أصيبت هنا بنزيف، وعندما أتت إلي يصحبها زوجها وشكت لي الآلام التي تعاني منها، وبعد إجراء الفحص الدقيق تأكد لي أنني أمام إجهاض محتم».

من هذه الحالة وحالات أخرى وردت في القصص نجد أن الطبيب كان ممتاز التشخيص والعلاج، يضع الدواء المناسب للمرضى، بحيث يتم الشفاء بإذنه تعالى.

مبادئه وأخلاقه

إلى جانب هذه المهارة في العمل وعلاج المرضى يُبرز لنا القاص نجيب الكيلاني طبيبه ملتزمًا بمبادئ يستقيها من الإسلام، متحليًا بالأخلاق الحميدة التي تربى عليها.

فهو بار بقسم الطب الذي أداه والذي يتضمن الإخلاص والاستقامة والعناية بالمرضى وحفظ أسرارهم.

ففي قصة «قصيدة حب» يصر الطبيب على التزامه بالمبادئ والقانون والقسم إذ يطالبه «حسن» بأن يجهض أجنة، فيقول له الطبيب: أنت تعلم يا حسن مبادئي، ليس من عملي إجهاض الأجنة وقتلهم وخصوصًا أنه لا يوجد سبب طبي لذلك.

وفي قصة «في ظلال الحب» ورد ما يلي: «من ضمن قسم أبقراط الذي يقسمه الطبيب عبارة خاصة بالمحافظة على أسرار المرضى، وعدم إذاعتها إلا تحت ظروف وشروط معينة.

وبعد أن قصت المريضة للطبيب قصتها قالت: أرجو ألا تخبر فريدًا عن مرضي فقال لها بثقة وتأكيد «حاشا لله، نحن الأطباء لا يصح أن نفشي سرًا لأحد»، هكذا يبدو لنا الطبيب، يتحلى بصفات إنسانية سامية، يزيدها سموًا ونبلًا ذلك التواضع الجم الذي تجلى في حواره مع مرضاه واعترافه بتقصيره أحيانًا عن فهم بعض الحالات المرضية، وهذا نوع من التواضع، إذ يقول في قصة «ضد مجهول» «أعترف أنني في بعض الأحيان لا أستطيع أن أجد تفسيرًا مقنعًا لبعض انحرافات السلوك الإنساني، هناك تناقضات لا يستطيع المرء مهما أوتي من البراعة والعلم أن يفك طلاسمها».

إن هذا الكلام يذكرنا بأخلاق علمائنا الذين أجمعوا على مقولة: نصف العلم كلمة لا أدري إذ لا يمكن للإنسان أن يحيط بكل شيء.

إن هذا الطبيب متعاون مع من حوله من ممرضين وفراشين وغيرهم، ففي قصة «ليلة غاب عنها القمر»، بعد أن

قرر الطبيب أن يذهب لقرية خصومه لمعالجة مريضهم، ورد فيها «وفي وقت قصير تجمع كل العاملين بالوحدة الصحية من ممرضين وممرضات وفراشين، وحدث لغط شديد وأجمعوا على ألا أذهب، لكنني قلت في هدوء، بل سأذهب! من سيأتي معي؟ قالت صفاء: لن أتركك، قال رضوان في المختبر: وأنا أيضا، وصاح عبدالواحد الحارس: رجلي على رجلك، أنا هنا ممثل الحكومة، ولن أفارقك.

كما أن الطبيب في هذه المجموعة القصصية «حكايات طبيب» من يستفيد من تجاربه ولا ينسى ما يحصل له في عمله من دروس.

ففي قصة «الجريمة» استطاع أحد العمال الحصول على رخصة مرضية لمدة ثلاثة أيام، لم يكن يستحقها لكنه أثر على الطبيب عاطفيًا بتوسلاته، وحصل عليها.

وفي هذه الإجازة وقعت جريمة قتل كان لعبدالحميد علاقة مباشرة فيها، عندها قال الطبيب: «أما أنا فمنذ ذلك التاريخ وأنا أحاول أن أنحي عواطفي جانبًا، وأن أحكم منطق العلم دائمًا في كل ما أرى، إنه درس لا ينسى».

وثمة أحداث في قصص أخرى تظهر المبادئ السامية التي يؤمن بها هذا الطبيب والأخلاق الحسنة التي يتحلى بها ولو تتبعناها لطال بنا المقال.

شخصية الطبيب

لقد نجح الأديب نجيب الكيلاني في تصوير شخصية الطبيب من خلال أقواله



شخصية الطبيب هي محور قصص الكيلاني وذات محورين: المريض والإنسان الذي يداويه

عندما تحدث عن أفكاره وآرائه وأفعاله، أو عندما تحدث عن الآخرين في بدايات القصص أو في الحوار أو السرد المباشر أو في نهايات القصص، عندما يظهر دور الطبيب جليًا فعالًا له أثره وتأثيره الطيب في المجتمع.

وتظهر شخصية الطبيب فاعلة في جميع القصص، فهي محور القصص تقريبًا لأنها ذات محورين على الأغلب، المحور الأول يدور حول المريض الذي يطرح نفسه بين يدي معالجه، والمحور الثاني هو الإنسان الذي وهب حياته باسمًا يداوي جراح المرضى، ويمسح عنهم الحزن وسحب الهموم والآلام.

لقد قدمه الكاتب، ولعله قدم نفسه، ناجحًا في كل مواقفه العلاجية، لم يفشل أبدًا، لأنه كان ذا صبر وأناة وروية ورفق وحكمة مرتكزة على ثقافة وتجربة مشفوعة بعقيدة راسخة تنبع عنها أخلاق حميدة أبرز ما فيها الرحمة والشفقة على مرضاه والتعاون مع من حوله.

كما أنه قدم لنا مواقفه الطبية بلغة سليمة عذبة وأسلوب قصصي سلس همه من ذلك أن يوصل الفكرة النبيلة الناضجة إلى قارئه من خلال قصص قصيرة متماسكة تتمتع بفنية متقنة، وهذا ما جعلنا نلمح أن كل حركة من حركات الطبيب، وكل تصرف من تصرفاته تؤدي دورها وتعطي نتائجها، كما نلحظ أن القصص اهتمت بالطبيب وهو في عمله مع مرضاه، ولم تعر مظهره الخارجي أو الحياتي أي انتباه، فلم ترسم لنا هيئة ومظهر عيادته، ولم تحدثنا عن سيارته وعائلته وعمارته وأوقات فراغه أو عن أي جوانب جزئية من حياته، وكأن الكاتب أراد أن يبقينا في جوهر عمل الطبيب الإنساني المسلم دون أن يضيع أوقاتنا بهوامش تزيينية، وهذا الأمر يجعل للقصص خلودًا أكثر عندما تجرد من الزمان والمكان وتقتصر على العمل النبيل الطيب.

بعد هذا كله نستطيع أن نستشف من بين السطور الجهد الذي بذله الأديب الكيلاني حتى يصور لنا طبيبه المسلم النموذج الذي يمكن أن يُحتذى من قبل الأطباء الآخرين.

وبذلك يكون قد كتب جزءًا من مذكراته بأسلوب قصصي ممتع، وخدم مهنته كطبيب، وأسهم في دعم فنه كأديب نبغ فيه.



أولى القبلتين

أ.د. أبوفراس النطافي

إذا ما أُغلق المنظورُ بابا
تَجوسُ خِلالها، وتعيثُ فيها

فتحتَ أمامنا يا رب بابا
وتنزعُ عن محارمها النقابا

نعيمُك دائمٌ دنيا وأخرى
أرى الندماء في حرم المعالي

حَوت من كل غالية لبابا
مع الباغي يعبون الحبابا

وآيك في يد الهادي سراج
قد انخدعوا بغانية وظنوا

أنار به النهى وهدى الرقابا
كؤوس السُمِّ في يدها شرابا

وهجرتهُ لطيبة نورُ فجر
وما كانت لأمَّتنا صَديقًا

أضاءَ بطاح مكة والشعابا
يُريدُ لها السِّيادةَ والغلابا

ومدَّ سناهُ في الآفاق هَديًا
ولا سلكت طريقَ الحقِّ يَومًا

طوى الغبراء، وافترش السّحابا
ولا اتخذت مبادئها صَوابا

وما من حاكم في الأرض إلا
أنجعلها على وطني وصيا

أطاع محمدا وله استجابا
ونطمعُ أن تصون لنا الرحابا

فتوح صيَّرت وجهَ الدياجي
ونحن بنو المُناجد من قديم

صباحًا ضاحكًا وضُحًى عِذابا
أبينا أن نُذلّ وأن نُعابا

أبا الزهراء يا خير البرايا
كفاكم يا أباة الضيم صمتٌ

وأكرمهم مُقاما وانتسابا
على دمنا فقد بلغ الركابا

دُعاؤك للسَّلام غدا مُكاءً
إلام عيونُكم للغرب ترنو

لمن جحدوا الرسالة والكتابا
وتنتظرُ العقوبة والثوابا

وأولى القِبلتَين تُسام خَسفًا
أما في شرْعةِ الإسلام نورٌ

وتُغتصبُ الحُقوقُ بها اغتصابا
تَرونَ به الحقيقة والسرَّابا

حَنانكَ يا رسول الله إني
فإنّ محمدًا بالبرِّ أولى

أرى في عصرنا عجبا عُجابا
وأمتهُ أعزُ به طلابا

أرى في كلِّ ناحيَة صفاحًا
تصبُّ على البلاد دما وصابا



شاعر أردني



في الكنية والكنى (١)

أحمد السعيدي

«سمعت الحسن بن سفيان يقول لما قدمت على علي بن حجر وكان من آدب الناس، وكان لا يرضى قراءة أصحاب الحديث فغاب القارئ عنه يومًا، فقال: هاتوا من يقرأ. فقمت فقلت أنا.. فقرأت ذلك المجلس، وهو ذا يتأمل ويجهد أن يأخذ علي شيئًا في النحو واللغة فلم يقدر عليه، فلما فرغت قال لي: يا فتى ما اسمك؟ قلت: الحسن، قال: ما كنيتك؟ قلت: لم أبلغ رتبة الكنية. فاستحسن قولي، قال: كنَّيتُك أبا العباس، قال: وكان الحسن بن سفيان يفتخر أن علي بن حجر كناه» (٢).

إن الابتداء بهذا النص مقصود لما يكتنفه من تبجيل العرب والمسلمين للكنية واحتفائهم بها مقومًا رئيسًا للشخصية المتكاملة إذ تعتبر الكنية خصيصة تميز الشخص مضيفة عليه طابعًا تشريفيًّا يعتز به مثل الحسن بن سفيان وغيره، فما الكنية؟

يشير لسان العرب إلى أن «الكنية على ثلاثة أوجه أحدها: أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيمًا، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه (٣)، أما معجم التعريفات فهي عنده «ما صدر بأب أو أم أو ابن أو ابنة» (٤).

وكيفما كان التعريف فإن للكنية في العصر الإسلامي وما قبله دلالات عدة تحتفي بالإنسان عبر تأصيل هويته وتعميقها وربطه بالذاكرة الجمعية والتراثية من خلال خصيصات أربع اتسم بها، هي الاسم والكنية والنسبة واللقب.

الكنية عن العرب والمسلمين

ظهرت الكنية عند العرب والمسلمين من أجل تعريف الإنسان بمناداته بـ «أبو» متبوعة باسم ابنه أو ابنته، أما إذا كان لا يزال صغيرًا فإنها تعد رجاء أن يُرزق الشخص بذرية تخلفه وتحيي ذكره.

> **لها دلالات عدة تحتفي بالإنسان عبر تأصيل هويته وربطه بالذاكرة الجمعية والتراثية**

وإن انسحاب اسم الأب الشخصي من الواجهة إنما يُرام من خلاله تكريس قيم البذل والإيثار والتضحية والاستخلاف، حيث يكون الأب سعيدًا بحمله للكنية مفتخرًا بها» ونحن نعلم أن العرب كانت تقدر الرجل إذ تناديه بكنيته، وتحتقره إذا استعملت الاسم دون كنية» (٥).

وبانتشار الإسلام في بقاع الأرض حمل معه منظومة من القيم والثقافات من بينها ثقافة الكنية، وتذكر المستشرقة أنماري شيمل (٦)، أنه في بعض بلدان العالم الإسلامي مثل باكستان، لا يتنادى الزوجان بأسمائهما الخاصة بتاتا، بل يفضلان استعمال الكنية، فينادي كل منهما الآخر بأبي فلان وأم فلان، ولا تقتصر الكنية على الذكر فقط بل تنسحب على الأنثى أيضا مثل: سلمى بنت أبي سلمى، ويكنى الرجل بكنية أنثى مثل: أبورقية تميم الداري، أبوليلى، أبوريحانة.

وبهذا يكون المسلم سعيدا بحمله لهذه الكنية التي تشرف الأنثى وتسمو عن عقلية الوأد والحرمان من حق الحياة، وفي جنوب الجزيرة العربية تتحول الكنية وتتغير بنيتها من «أبو» إلى «با»، فتصبر أبويزيد مثلا إلى بايزيد، وأبوذر إلى باذر.. أما في شمال إفريقيا فتتحول إلى بليزيد وأبوالحسن إلى بلحسن (٧)، ويعزى هذا إلى طبيعة نسق اللهجات المتداولة، واختلافها من منطقة إلى أخرى.

ولم تقتصر الكنى على أسماء الأولاد بل تجاوزتها إلى كنى ذات دلالة رمزية تحيل على الخير والبركة وحسن الطالع، مثل: أبوالخير، أبوالفتوح، أبوالصبر، أبوالفرج، أبواليمن... إننا نلفيها بكثرة في كتب التراث وتآليفه بكل أنواعها، وتقتصر هذه الكنى على أهل المدن بينما تندر في البوادي.

باحث لغوي



ولعل الاهتمام بالكنى طال فئات المجتمع العربي والإسلامي جميعها، فهذا هارون الرشيد يكتني بكنيتين: أبوجعفر، وأبومحمد.. هذه الكنية التي اكتسبت في الثقافة الإسلامية طابعًا خاصًا يجعلها تكون أقرب الكنى إلى نفوس المسلمين نظرًا لاشتمالها على اسم الرسول ﷺ ويعزز هذا القول مثالان:

– الأول: عبدالله بن المقفع «ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو فلما أسلم تكنى بأبي محمد» (٨).

– الثاني: الحافظ بن نعيم الذي قال: «إنه لما قدم على عبدالملك بن مروان، قال له غيِّر اسمك وكنيتك، قال أما الاسم فلا، وأما الكنية فأكتني بأبي محمد فغير كنيته» (٩).

وتنتشر في كتب التراث أدبيات الكنية التي أفاضت في سير هذه الثقافة المتميزة، ومن بين ذلك «إن العرب يكنون بأبي الحسن من اسمه علي وبأبي يوسف من اسمه يعقوب» (١٠).

كنية الرسول وكنى خلفائه

وردت للرسول ﷺ في القرآن كنى متعددة «وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود.. وقال مخاطبًا محمدًا: يأيها النبي، يأيها المزمل، يأيها المدثر. وذلك قائم مقام الكنية» (١١).

وقد اختار الرسول ﷺ لنفسه من الكنى أبا القاسم كما سار على هديه صحابته الأجلاء ويخبرنا «عبدالوهاب بن عطاء قال: سئل سعيد بن أبي عروبة عن الرجل يكتني بأبي القاسم، فأخبرنا عن قتادة عن سليمان اليشكري عن جابر بن عبدالله أن رجلا من الأنصار اكتنى بأبي القاسم، فقالت له الأنصار: ما كنا لنكنيك بها حتى نسأل رسول الله عن ذلك، فذكروا ذلك لرسول الله فقال: تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي» (١٢).

وهكذا، تكنى الخلفاء الراشدون،

استخدامها دليل على تفرد المتخيل العربي وغناه في نظرته للحياة

فكانت كنية أبي بكر هي أبوقحافة، وكنية عمر بن الخطاب أو حفص، وكنية عثمان أبوعمرو، أما علي فله كنيتان: واحدة في السلم وهي أبوالحسن، وأخرى في الحرب وهي أبوالقصم، وقد تنادى بها يوم أحد، وقد سارع الصحابة إلى هذه المكرمة، فتكنوا بكنى متعددة ومختلفة.

كنى أخرى

امتدت الكنى عند العرب والمسلمين لتشمل الحيوانات التي تدور في فلكهم وتعيش في بيئاتهم كالذئب والثعلب والأسد والضبع، فاختلفت كنى هذه الحيوانات وتعددت ناهلة من المتخيل الشعبي الجمعي الذي بوأها مكانة في خانة الكنى: فمثلا كنوا الذئب «أبوجعدة» ، والثعلب «أبوالحصين»، والأسد «أبوفراس»، والضبع «أم عامر»، والديك «أبوبرائل»، والقرد «أبوزنة، والجراد «أم عوف»، والحرباء «أم حذر».. كما أنهم كنوا بعض المعنويات التي يحتك بها الإنسان في ممارساته اليومية، فكنوا الدنيا أم شملة، والموت أم اللهيم، والحمى أم ملذم، والهرم (الشيخوخة) أبومالك، وهي كلها كنى رمزية تؤكد من وجه قدرة الإنسان العربي على تطويع لغته العربية لتشمل كل مناحي الحياة، ومن وجه آخر تبين فرادة المتخيل العربي والإسلامي وغناه في نظرته إلى خصيصات الحياة وتفاصيلها.

إن التعرض لمثل هذه المكونات التي يحفل بها المنجز التراثي العربي والإسلامي لتجعل الباحث يندهش لطبيعة هذا المنجز، وفاعليته وقدرته على جمع منظومة من تفاصيل الشخصية العربية والإسلامية في جملة مؤلفاته، وعدم إغفال بعضها بدعوى عدم أهليتها للوصف والمناقشة، هكذا تكون الكتابة عند القدماء فعلا مؤسسا، به يستطيع الفرد التأريخ خدمة للأجيال القادمة دون معرفة بمنهج علمي مسبق يتقيد بقواعده وتوجهاته، لقد بات العلم الذي كتب فيه علماء المسلمين بالأمس يعرف اليوم باسم «الطربونوميا» أي دراسة أسماء الأماكن والأشخاص، يكفيهم فخرًا خطوا كتبا عديدة في هذا الباب.

الهوامش

١- للاستزادة ينظر: «الأسامي والكنى» لابن حنبل، «وأسماء من يعرف بكنيته» لمحمد بن الحسن الأزدي، و«الكنى والأسماء» لمسلم القشيري، و«تهذيب الأسماء» لأبي زكريا محيي الدين، و«المقتنى في سرد الكنى» لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.

٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أبي جرادة، تحقيق: د.سهيل زكار، ج ٥، ص ٢٣٦٩، دار الفكر، ط١، بيروت ١٩٨٨.

٣- لسان العرب ج ١٥ ص ٢٣٣ دار صادر، بيروت ط١.

٤- التعريفات، الجرجاني، ج١ ص ٢٤١.

٥- أبوحيان التوحيدي، هل كان صوفيًا أو فيلسوفًا؟ يوسف زيدان، موقع يوسف زيدان للتراث www ziedan.com

٦- ينظر كتاب noms de personne en Islam الصادر عن المنشورات الجامعية بفرنسا ١٩٩٨.

٧- ١٦: noms de personne en Islam .p

٨- الفهرست، ص ١٧٢.

٩- تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ج١ ص ٣٠٧، ط: ١ مصر ١٩٥٢.

١٠- تعريفات أساسية، يوسف زيدان.. موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات.

١١- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٦ ص ٢٦٥، مكتبة المعارف بيروت.

١٢- الطبقات الكبرى، ج ١ ص ١٠٧.



التكثيف والتركيز في القصة القرآنية

محمد محمد الشحات

نقرأ في كتاب ربنا قصصا ومشاهد تحكي قصة الإنسان في الحياة؛ فحياة الإنسان قصة صراع وتدافع بين مقومات الفطرة النقية وبين الملوثات الدخيلة على الفطرة السليمة، والنموذج الواضح في هذا الإطار هو الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، والشخصية البارزة في هذا الجانب هو النبي أوالرسول المبعوث من قبل العناية الإلهية لتطهير الأرض من ملوثاتها، فكانت القصة القرآنية المثال الواضح لذلك.

وللقصة القرآنية سمات واضحة المعالم، ومن ذلك التكثيف والتركيز واختفاء تفاصيل الإنشاء.

ما التكثيف؟

القصة القصيرة هي الفن الأدبي الشديد التكثيف والتركيز والموضوعية؛ فاللفظة في القصة تحمل شحنات دلالية عالية الدقة وكاتب القصة يختار لفظة لا تحتمل التعدد في الدلالة، أو المفهوم فالقصة تعالج موضوعًا واحدًا، أو فكرة أو موقفًا محددًا أو جزئية من جزئيات الحياة لشخصية ما.

لذا يتلقي القارئ أثرها ككل وفي الحال وبسرعة لذا كان التكثيف عنصرًا ضروريًا ومقومًا من مقوماتها الإيجابية الخاصة بها.

والتكثيف في القصة يناسب روح العصر السريعة أحداثه والمتلاحقة مشاهده، والقارئ للقصة صار يتمتع بها لقصرها وموضوعية الحدث فيها.

ومن هنا كان من الضروري أن تختفي تفاصيل الإنشاء حرصًا على تأكيد مبدأ الوحدة أولًا، ومبدأ التكثيف ثانيًا ولكي يتم ضبط الأحكام الفنية لابد أن تختفي تلك التفصيلات التي تناسب العمل الروائي الذي يتسم بالطول والزيادة في السرد وكثرة الدلالات.

والقرآن الكريم استخدم في عرضه لقصصه، ومشاهده لغة الرمز والتكثيف والتركيز.

والقرآن الكريم يعرض القصة بطرق متعددة فمنها ما تأتي على حلقات، وفي سور متعددة كما هو الحال في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وهذا شكل من الأشكال، وشكل آخر هو أن تعرض في حلقة واحدة كما هو الحال مع لقمان، وابنه وأصحاب الكهف.

وهناك نوع آخر تتعدد فيه الشخصيات مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام وسيدنا موسى عليه السلام، وهناك نوع آخر تقل فيه الشخصيات وتتلاشى التفصيلات من باب إحكام الصياغة والضبط مثل قصة سيدنا عيسى عليه السلام.

ونوع آخر من القصص القرآني يتم فيه الحدث بشخص واحد، قال تعالى: ﴿..وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى...﴾ فهذا مشهدٌ البطل فيه شخصٌ واحد.

ومن السمات المميزة للقصص القرآني وجود الفجوات بين المشاهد والأحداث، وهذا دليل على اختفاء التفصيلات والفجوات، وهذه تترك مساحة للعقل البشري أن يتصور ويتخيل الجزئيات التي بين السطور وتعطيه فرصًا لأن يعيش الأحداث.

والقرآن الكريم يعطي عطاء لا ينفد لذا تتعدد التفسيرات، وكلها في الميدان تقترب من الصواب، ولا تحيد عنه، المهم أن القرآن صار مدرسة عطاء وتربية وتهذيب وتعليم.

والقصة القرآنية فيها مجموعة من الرسائل والشحنات المعنوية والوجدانية التي تمثل دفعة إلى الأمام في سبيل البناء مع الاستفادة من رصيد السابقين من الأنبياء والمرسلين في صراعهم الطويل.

والقصة الفنية تعتمد على مشهد واحد في حياة الشخصية لأنه لو تعددت المشاهد لكان هناك تناقض بين التعدد والتركيز..

الخاتمة في القصة

إن الخاتمة في القصة قد تكون مفتوحة، أو مقفولة فالمفتوحة هي التي يترك فيها المؤلف الحرية للقارئ، أن يختم بها القصة من وجهة نظره، أما المقفولة فهي التي ينهي فيها المؤلف الحدث وفق رؤيته، وأعتقد أن الخاتمة المفتوحة مهمة لتنمية المشاعر الوجدانية والتواصل بين المؤلف والقارئ.

والقصة القرآنية قد تبدو لأول وهلة أن فيها إسهابًا وإطنابًا ولكن بالتأمل والتركيز في النظرة نجدها تعتمد على التكثيف والموضوعية والبعد عن المترادفات، ولنا في قصة أصحاب الكهف المثل والنموذج فقد سكت القرآن عن مجموعة من التفصيلات الخاصة بطبيعة حياتهم وآبائهم وبلدهم وطبيعة المجتمع والظروف المحيطة، كل ذلك سكت عنه القرآن وهذا من الدقة البلاغية والفنية العالية وعليها قام البناء الفني للقصة الحديثة.

باحث لغوي



استفحال ظاهرة الضعف في الخط والقواعد الإملائية

سالم بن عميران

تزداد في الجيل الأخير ظاهرة خطيرة، وهي الضعف في الكتابة والإملاء، وهذا الضعف ليس مقصورًا- كما كان في الجيل القديم- على البراعم الصغيرة من أبنائنا في مراحلهم التعليمية الأولى، بل وصل الأمر حتى إلى المعلم، والمؤسف حقًّا أن يكون معلم لغة عربية! فلا بد من وجود دراسة لأسباب هذه الظاهرة، ووضع السبل العملية لتلافي هذا الضعف.

وهذه الظاهرة لها آثار كثيرة على الخط العربي منها رداءة الخط وتحوله إلى قدر من كبير العجمة والألغاز، وربما وقف المعلم أمام خط الطالب حينًا من الزمن ليستبين كلمة! ويأسف المرء لما وصلت إليه خطوط طلاب الثانوية العامة والجامعات، وقد دلت بعض الدراسات على أن شكل الكتابة، وجمال الخط عامل مؤثر على تقويم المدرس وتقدير درجة الأعمال، ووجد أحد الباحثين أن الضعف العام من وجهة نظر مديري المدارس والوكلاء والمدرسين في الإملاء عند التلاميذ يعود إلى ضعفهم في الصفوف الأولى، وقد يصل الطالب إلى مستويات عليا ولا يستطيع أن يفرق بين أنواع الهمزة، أو ما يتعلَّق بالمدِّ والقصر وما يجوز فيه الحذف.

ويمكن مواجهة هذا التحدي من خلال كتابة الكلمات التي يكثر فيها الخطأ وتصحيحها بخط عريض على مجموعة من اللوافت، وتعلق على جدران الفصول المدرسية وفي الممرات وفي كل مكان يجتمع فيه التلاميذ، وتنتهي بقاعدة سهلة يمكن تطبيقها عليها، والاستفادة من بعض الرخص في كتابة بعض الكلمات، ووضع أسس ومناهج مبسطة لتدريس الإملاء والخط العربي واختيار المدرس الأكفأ لتدريسه في مراحل التعليم الأولى، فالإملاء العربي ليس صعبًا ولا معقدًا و يتميز بالاختزال وعدم التشابه بين حروفه، فكل حرف مميز عن الأحرف الأخرى، فالذي يكتب بالعربية في سطر يكتب بالإنجليزية في سطرين أو ثلاثة.

فالحقيقة أنه لا خلل في الخط العربي الذي نكتب به لغتنا الجميلة منذ مئات السنين، فلا شك في أنه خط مبرأ من العيوب، والدليل على ذلك عدم وجود هذه الظاهرة في الأجيال القديمة، وإن كانت هناك بعض الصعوبات، فالخط العربي ليس بدعًا بين الخطوط في مشاكله، إذا قوبل بلغات أخرى كالصينية التي تصل حروف إحدى كلماتها إلى أربعين حرفًا، والفرنسية يصل عدد حروف إحدى كلماتها إلى عشرة أحرف، ولا ينطق منها إلا حرفان أو ثلاثة.

باحث لغوي من اليمن

ثمرات المطابع

هدى الإسلام في بناء المجتمعات



الإنسانية اليوم في أمس الحاجة إلى من يعمل للسلم والأمن حتى تعي المجتمعات دورها في الحياة وتتضافر جهودها في كل ما من شأنه أن يعلي من القيم النبيلة الهادفة وقد جاء هذا الكتاب (هدى الإسلام في بناء المجتمعات) لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبدالله بن حسين الموجان في ٢٢٥ صفحة من القطع المتوسط ليحدثنا عن توحيد الله عز وجل وأهمية دور القرآن في بناء عقيدة المسلم الصحيحة ودور مسألة التفكير والتأمل في تثبيت العقيدة ودور الإسلام وحرية الإنسان في اختيار عقيدته.

القول الشاذ وأثره في الفتيا



في هذا العصر الذي شهد سرعة انتقال المعلومة نتيجة لتطوير وسائل الاتصال المرئية والمسموعة وكثر فيه المفتون عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية لابد للناس ممن ينيرهم طريقهم ويبصرهم بما يلقى إليهم من تلك الفتاوى المختلفة والمتناقضة أحيانًا بتمييز منهج التعامل مع الشاذ منها والضعيف وقد جاء هذا البحث تحت عنوان «القول الشاذ وأثره في الفتيا» للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ في ٢٠٤ صفحات من القطع المتوسط لينفض الرماد عن بعض الأقوال المهجورة والآراء الشاذة فيفتي بها ويحيد عن منهج السلف في التعامل معها فيميع الدين ويضلل العامة، وقد اجتهد صاحب البحث في الاستدلال بالكتاب والسنة على ما أورده عن المسائل راجعًا في دلالتها إلى سلف هذه الأمة ناقلًا نصوصًا من كلامهم على ذلك.

التبصرة

التحرير

الفن: الفقه المالكي
سنة النشر: ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: ١٥
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

التعريف بالمصنِّف

هو الإمام أبوالحسن علي بن محمد الربعي القيرواني المالكي؛ المعروف باللخمي، نزيل صفاقس التونسية، وكان فقيهًا فاضلًا ديّنًا مفتيًا متفننًا، ذا حظ من الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم، وكان فقيه وقته، أبعد الناس صيتًا في بلده، وبقي بعد أصحابه، فحاز رئاسة بلاد إفريقية جملة، وكان حسن الخلق مشهور المذهب، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (٤٧٨هـ) رحمه الله.

أهمية الكتاب

ذكر محقق الكتاب د.أحمد نجيب أنه لا تخفى على طالب علم مكانةُ «مختصر خليل» عند فقهاء المالكية المتأخرين، حيث صار عامة أتباع المذهب معتمدين على المختصر، وليس الباعث على ذلك مكانةَ مؤلِّفه وحسب، بل ثمة أسبابٌ كثيرةٌ تُعلي من قدره وتزيد من شأنه؛ أجلُّها أصالةُ المصادر التي استَخرج منها مسائله، وهي تلك التي أشار إليها في مقدمته التي أجاب فيها سائلَه، حيث قال رحمه الله ما ملخَّصُه: «...سألني جماعةٌ مختصرًا على مذهب الإمام مالك بن أنس، مبينًا لما به الفتوى، فأجبتُ سؤالهم مشيرًا بـ«فيها» للمدونة، وبـ«الاختيار» للخمي، وبـ«الترجيح» لابن يونس، وبـ«الظهور» لابن رشد، وبـ«القول» للمازري»، فاختيارات اللخمي في «التبصرة» عمادٌ من عمُد المختصر الخليلي، وهي مهمة جدا حتى لو خالف اللخمي فيها غيره من الشيوخ، وقد رمز له خليل في مختصره برمزَين لتمييز ما أورد فيه من أقوال اللخمي فهو يشير إلى اختياره هو في نفسه بصيغة الفعل، وإلى اختياره من الخلاف بصيغة الاسم.

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب المالكية الذين جاءوا بعد اللخمي من نقل كلامه واختياراته في «تبصرته»، فهي من أهم ما يُرجَع إليه في تحرير رواية المتقدمين، وتقريب أحكامها.

نعم؛ وقعت في «التبصرة» اختيارات خرجت عن المذهب، وأيُّ غضاضة في ذلك مادام المصدرُ كتابَ الله وسنَّة رسوله ﷺ، واللخميّ أقلها مجتهد في المذهب، ومع ما في «التبصرة» من اختيارات خارجة عن المذهب فقد تلقاها العلماء بالقبول، ولم يعترض عليها بشيء سوى ما قيل من أنَّه لا يفتى بها في المذهب.

والقول بعدم اعتماد «التبصرة» في الفتوى قولٌ مقبول من حيث قانون أئمة المذهب فيما يعتمد وما لا يعتمد؛ فللإفتاء قواعد تختلف من مذهب إلى مذهب، فلكلِّ مذهب طريقة مختلفة في تعيين الصَّحيح والرَّاجح أو ما عليه الفتوى، جَرَّ إلى ذلك اختلافُهم في الأصول، فإن الحنفية لا يَذكُرونَ مشهورًا أو تصحيح روايةٍ؛ لأن مناطَ النَّظر عندهم ليس على صحة نسبة القول للإمام وحسب، فيعبرون بـ«المُفتَى به»؛ لأن في مذهبهم جَمْعًا ممن سَلَّمُوا لَهُم الإمامةَ غيرَ أبي حنيفة، كأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزُفر، فلهم مسلكٌ في الإفتاء حينًا برأي هذا وحينًا برأي ذاك، وكذا الشَّافعية عندهم وجوه وقديمٌ وجديد، والحنابلة لهم رواياتٌ؛ معتمدٌ منها وغير معتمد. فإذا صَحَّح هذا، لَزِمَ منه ألَّا تَصِحَّ قاعدةٌ في التقليد والفتوى إلا من ذات المذهب؛ لاختلافهم في الحقائق والمعاني.

أما المالكية فالعبرةُ عندهم إنَّما هي بقول الإمام لا غير، فلا يُعدل عنه البتة لقول أحد من نُظَّار أصحابه، بلا خلاف صحيح يُعتدُّ به؛ لأنه تقرَّر في الأصول عندهم أنه لا يجوز إلاّ تقليد المجتهد المطلق، ثم قُيِّد بالأئمة الأربعة، وعلماءُ المذهب ليسوا من أهل الاجتهاد المطلق. وقرَّر المحقِّقون من أهل المذهب أنه لا ابنُ القاسم ولا غيره أهل اجتهاد مُطلق.

فإن كان خلافٌ في النَّقل عن الإمام فلهم فيه تفصيلٌ دقيقٌ قائمٌ على قواعدَ مَتينة، من تقليد الأطول صُحبة وآخر النَّاس عهدًا بالإمام، فإن كان الأمرُ بعدَ عهد تلاميذ الإمام؛ فالقولُ قول المُعتنين

بالمدونة من المغاربة لا العراقيين؛ لأنهم ألصق بفروع الإمام وحافظوه، وأولئك ألصقُ بما ينصُره من دليل، والحافظُ متقيِّد، والنَّاصر ربَّما نصرَ بدليل في تضاعيفه ما لا يقبلُه الإمام، خاصَّة أن أولئك المنتصرين لا ينتصرون في الغالب بدليل جُزئي نَصَّ عليه الإمام، وإنما ينتصرون بأدلَّة جزئيَّة مُستمدة من الأدلة الكُلِّيَّة التي يقول بها الإمام، وهذه الطَّريقة وإن كانت صحيحةً في نفسها إلاّ أنه يتطرَّقُ إليها الاحتمال.

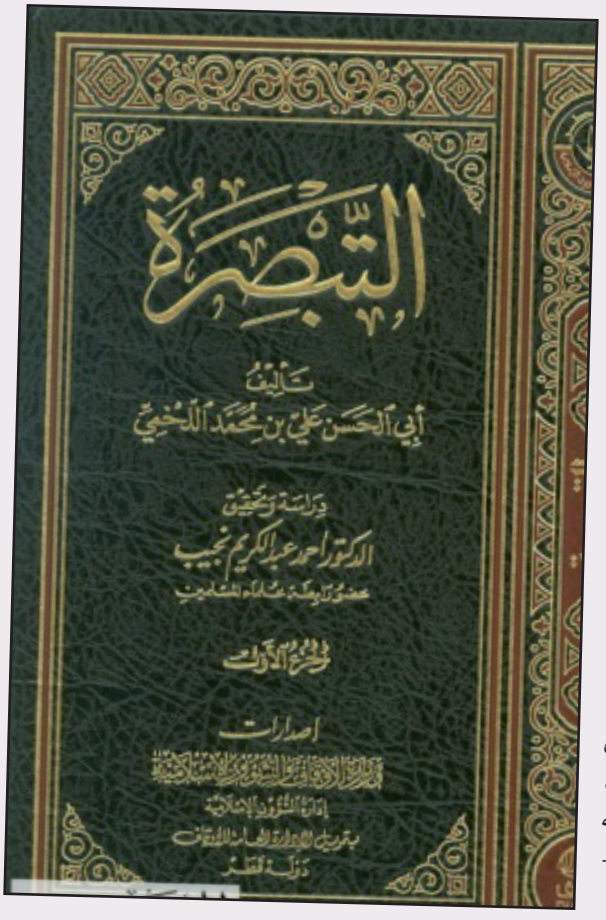
فإذا تقرَّر هذا فكل ما يُنقل من خلاف عن أصحاب مالك؛ إن كان في مقابل قولٍ الإمام طُرِحَ من جانب المقلِّد؛ لأنهم ليسوا بمجتهدين، وإنما ساغ لمثلهم خلاف مالك وهم مُقلِّدوه للمسألة المرسومة في كتب الأصوليين بتجزُّؤ الاجتهاد. أمَّا المقلِّد الذي ليس هو بأهل لطُرق التَّرجيح والتَّشهير فلا يعمل بغير نصِّ الإمام.

أما إذا اختلف المنقول عن الإمام وتعارض، فتأتي مسألة تعيين الرَّاجح والمشهور.

قالوا: والرَّاجح: ما قَوِيَ دليلُه. والمشهور: ما كَثُرَ قائله. وقيل بعكسهما، أي الرَّاجح ما كثر قائله والمشهور ما قوي دليله.

ثم إن قيل: الرَّاجحُ ما قوِيَ دليلُه، بمعنى أن الدَّليل بحَدِّ ذاته قويٌّ ناهضٌ بالحُجَّة. إن عمل به لأنه مذهب مالك فقد تَقَوَّلَ على مالك، لأنه لا يصح في العقل أن مَن ظَنَّ رُجحان دليل، صار ما ظَنَّهُ دالاً عليه الدليل- حسب فهمه- مذهبَ مالك، ويلزم منه أن يكون مذهب مالك مذاهب لا مذهب، فلا يَختبئ هذا المُرجِّح خلف مالك، وليُصرح بأنه يرجِّح لذات الدَّليل بلا التفات لمالك، وإن قال إنما آخُذ بما قوي دليلهُ من قول مالك، هذا أيضًا أخذٌ بالرَّأي المُقوَّى عندَهُ هو لا رأي مالك، لأنه ليس من طرق معرفة نسبة القول لقائله أن يكون هذا القول قويًّا دليلُه عند النَّاظر، إنما النَّظر في النَّاقل عن الإمام والقرائن لا مُطلق قوَّة الدَّليل، وتقدَّمَ أن الرُّجحان في الدَّليل عن فلان وفلان من نُظَّار المذهب لا يلزم منه أن يكون راجحًا عند الإمام.

أما إذا اختُلِفَ في فهم نصِّ الإمام بين الأصحاب، فالمَهْيَع هنا أن تورد تأويلات وتفسيرات عبارة الإمام التي حرَّرها أصحابه ونظار مذهبه، فينظر في قوتها من جهة دلالة عبارة الإمام، وتوافقها مع قواعده وأصوله وهو أمرٌ ليس بالهين.



فإذا تقرر هذا فليعلم أنَّ عدم الإفتاء بما في «كتاب التبصرة»؛ فمردُّه إلى كونها ليست من كتب هذا الفنِّ، وكون مصنِّفها رحمه الله غير ملتزم منهجَ المالكية في الإفتاء.

بقي أن نشير إلى أمرين متعلقين بفتاوى اللخمي على الخصوص، بعيدًا عن الكلام على تبييض «التبصرة» وتصحيحها وما أثير حوله.

الأمر الأول، أن فتاوى اللخمي كثيرة ظاهرة في دواوين المفتين والمصنفين في النوازل الفقهية، وقد سعى إلى جمعها وترتيبها الدكتور حميد لحمر فأثمر سعيه- مشكورًا- إلى إخراج مائة واثنتين وثمانين فتوى نشرها في كتاب بعنوان «فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي القيرواني»، وهي خلاصة فتاوى اللخمي في نوازل البرزلي، ومعيار الونشريسي، وما يعنينا من ذلك هو اعتماد المالكية هذه الفتاوى على الرغم من أن كثيرًا منها- إن لم يكن أكثرها- موجود في «التبصرة» أو منقول منها بفوارق طفيفة.

والأمر الثاني أن متأخري المالكية أجمعوا على تلقي مختصر الشيخ خليل- وما أودعه بين دفتيه- بالقبول، وهو الكتاب الجامع لما به الفتوى في المذهب، فلزم من اعتماده اختيارات اللخمي ونصِّه عليها صراحةً، بل تقديم التبصرة في ترتيب مصادره الأربعة التي هي لبُّ لباب الكتاب- رفع الخلاف الواقع في اعتمادها في الفتوى أو الإفتاء بما فيها.

بل إن الشيخ خليل رحمه الله ذهب أبعد من ذلك فأورد في مختصره اختيارات اللخمي التي خالف فيها من سبقه من أئمة المذهب وفقهائه، مع أنَّ هذا هو عين ما اعتبره غيره تمزيقًا للمذهب، وخروجًا عليه، رحمة الله عليهما.

سلسلة النهضة التعليمية ٢ - ٤

ركائز وقيم النهضة التعليمية

هالة عبدالحافظ -إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

الاعتراف بوجود مشكلة هو أولى خطوات الإصلاح الذي يحقق النهضة.. ولا سبيل لنا لإنكار أن حالة التعليم في غالبية الدول العربية لا ترقى إلى مستوى الآمال والأحلام ولا تتناسب مع التاريخ، وتفتقد إلى مقومات النهضة الحقيقية، سيّما أن الرؤى وحدها لا تصنع حضارة، فلابد من إجراءات تتم لتحويلها إلى واقع، وهي مهمة القيادة التي تلهم الناس وتحدد الطريق وتسير عليه وصولاً إلى النتائج.. وإذا كانت الأمة الإسلامية والعربية حملت مشاعل النهضة في عصور سابقة إلى العالم أجمع، إلا أن الحال لم يدم طويلاً، ربما لقيام غير الأمناء على المناهج العربية وربما لأسباب أخرى.. تعالوا نتعرف على أسباب غياب النهضة التعليمية.

نتوقف أولًا مع مقولة للأكاديمي المصري د.حسام بدراوي ذكرها في كتابه «التعليم.. الفرصة للإنقاذ» أوضح خلالها أن: «من يقرأ التاريخ المصري يكتشف بدون جهد أننا نناقش نفس الموضوعات بنفس الطريقة وبشكل متكرر عبر السنين، وكأن الزمان قد توقف عند مربع تدني مستوى تدريس اللغات وارتباط الهوية باللغة العربية، فمازال الجدل متواصلًا حول تطبيق أولوية التعليم في مجتمع ليس له سوى طريق واحد للتقدم، وهو العلم والمعرفة ليجعل مستقبله مضيئًا».. فلعل «بدراوي» استشعر مدى التراجع الذي لحق بالتعليم المصري خاصة والعربي عامة، ما دعاه إلى تأليف هذا الكتاب الصادر عن الدار المصرية اللبنانية كشعاع على طريق النهضة.

انحدار

وليس خافيًا أن النهضة التعليمية خرجت في وطننا العربي لتعبر عن خصوصيته متمثلة في نظام تعليمي يعكس طبيعة النظام الاجتماعي السائد مهما اختلفت أسماء أماكن تطبيق هذا النظام، ما بين بيوت الحكمة، والكتاتيب، والأروقة، وأخيرًا المدارس والمعاهد،

أمين أبوبكر: الأسرة والمدرسة والمجتمع شركاء أساسيون في المسؤولية

غير أن نجم هذه النهضة انخفض شيئًا فشيئًا معلنًا وجود مشكلة تتشابك مع مرور الوقت وإن كانت غير مستحيلة الحل، مشكلة لم تسفر فقط عمّا يقرب من وقوع ٢٠٪ من سكان الوطن العربي البالغ ما يقرب من ٣٥٠ مليون نسمة ضحايا للجهل والأمية، بل أيضًا تهدد الهوية العربية.

وفي هذا الإطار صدرت العديد من التقارير والدراسات التي تحذّر من انحدار المستوى التعليمي في الوطن العربي منها تقرير للبنك الدولي صدر عام ٢٠١٠ حول التعليم في الوطن العربي، وحذّر من وصوله إلى مرحلة التخلف، واستند في ذلك إلى مؤشرات كثيرة منها تخصيص الدول العربية ٥٪ فقط من إجمالي الناتج المحلي و٢٠٪ من إجمالي الإنفاق الحكومي على التعليم، وذلك طوال الأربعين سنة الماضية، وأن هناك فجوة كبيرة بين ما تحققه الأنظمة التعليمية في العالم العربي وما تحتاجه في التنمية الاقتصادية، الأمر الذي أدى إلى ضعف العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي كنتيجة أساسية لانخفاض مستوى التعليم.

مخرجات فاشلة

وترجع أسباب افتقاد أو غياب النهضة التعليمية في العالم العربي بحسب أمين أبوبكر، وكيل وزارة التربية والتعليم المصرية، إلى وجود معوقات اجتماعية واقتصادية، حيث قال: هناك معادلة بسيطة تعتمد على توافر المعايير التأهيلية في المعلم، وأن يكون هناك مخرجات للعملية التعليمة يكافأ عليها المعلم، لكن الواقع أنه لا توجد مخرجات، وإن وجدت فأغلبها فاشلة، وعدم مكافأة المعلم شيء طبيعي في ظل تدهور حال التعليم وفقدان النهضة التعليمية.

وأوضح أن فقدان العملية التعليمة لريادتها يرجع إلى فقدان ثلاثة أعمدة رئيسية وهي الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، إضافة إلى أعمدة فرعية مثل

الوسائل التعليمية والمواد والمناهج والتي لا تكفي وحدها بلا معلم كفء، وهذا ما نفتقده الآن، وتفتقده النهضة المفقودة!

وأكد أن المجتمع والأسرة والمدرسة الآن يعتقدون أنه يوجد تعليم ونهضة، ومن ثم فإن المخرجات الناتجة عن العملية التعليمية باعتقادهم طبيعية، باعتبارها جزءًا من المجتمع.. وأضاف قائلًا: «لو أن هناك مخرجات جيدة للعملية التعليمية، ما أقدم شاب على قتل نفسه نتيجة البطالة، وما أقدم آخرون على حرق المجمع العلمي بالقاهرة بكل ما يحتويه من أمهات الكتب والتراث العلمي، وهو الأمر الذي يؤكد أن هذا الجيل لم يتعلم أهمية الهوية الثقافية، والتراث العظيم وكيفية المحافظة عليه».

وحول تأثير التعددية الثقافية في مناهج المدارس الأجنبية التي انتشرت في مجتمعاتنا على المهارات الأساسية والهوية الثقافية لأبناء الأمة العربية كلها، رأى أبوبكر أن المدارس والجامعات الأجنبية نالت من نهضتنا بشكل كبير، وأخذت من ولاء وانتماء أبنائنا، ما ساهم بدرجة كبيرة في طمس الهوية الثقافية تدريجيًّا، وصولًا إلى مرحلة التغريب.. محذرًا الآباء ألا يسعدوا بتعليم أولادهم في هذه المدارس والجامعات؛ لأنها- وفق رأيه- أحد الأسباب الرئيسة التي أضاعت النهضة التعليمية العربية.

تشتت الثقافات

«إن كانت قلوب المسلمين تهفو إلى الكعبة، فعقولهم تهفو إلى الأزهر»..

فرحات المنجي: لو اقتبسنا نهضتنا وعلمنا من كتاب الله ما ضللنا أبدًا

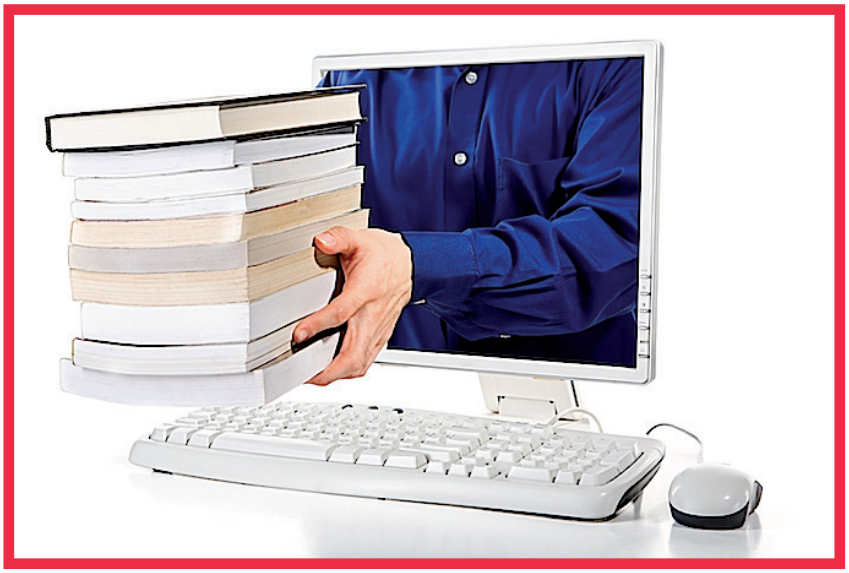
بهذه الكلمات عبّر الشيخ فرحات المنجي، مستشار شيخ الأزهر السابق، عن حال النهضة التعليمة التي صاحبت الأزهر منذ تأسيسه قبل ١٠٠٠ عام، حين التزم الأزهر الشريف بإرسال واستقبال الوفود التعليمية من وإلى شتى البلدان لتدريس المواد الشرعية والعربية، وهو الأمر الذي يعتبره الأزهر واجبًا عليه نحو الأمة الإسلامية والعربية، لكنه يوضح أن ميزانية الأزهر قد تقف عائقًا أمام التوسع في هذا الأمر.

وأوضح «المنجي» أنه وعلى الرغم من محاولات الأزهر المستمرة عدم التخلي عن دوره التنويري، فإنه يصطدم أيضًا بالثقافات الواردة والمخترعة وأفكار الملحدين.. والتي وجدت إطارًا واسعًا لها من خلال المدارس والجامعات الأجنبية في الوطن العربي، والتي باتت أداة للاستعمار الحديث عن طريق العلم، مؤكدًا في هذا الصدد أنه لا يطالب بإلغاء هذه المدارس والجامعات، لكنه يدعو إلى إخضاعها للهوية الثقافية الإسلامية والعربية بحيث تكون أداة بناء للنهضة التعليمية العربية، وليست معول هدم، مؤكدًا: «لو أننا اقتبسنا نهضتنا وعلمنا من كتاب الله ما ضللنا أبدًا؛ لأن القرآن الكريم أُنزل لكي يكون دستورًا للمسلمين، يسيرون عليه إلى أبد الآبدين».

واستنكر المنجي فقدان نهضتنا التعليمية التي بسطت نفوذها على العالم كله حتى أصبحت دولة الإسلام هي الوحيدة التي يشار إليها أنها دولة علوم الطب والفلك والهندسة، حيث كان مؤسسوها من العرب المسلمين، وأقام الغرب على أكتاف هذه العلوم حضارتهم ونهضتهم، فكيف لهم أن يأتوا وتسيطر ثقافتهم وتطغى على علمنا؟!

تلميذ متلقٍ

بينما لم ينكر د.فاروق إسماعيل، رئيس جامعة الأهرام الكندية، حدوث خلل كبير في عملية النهضة التعليمية، الأمر الذي أبعد الوطن العربي عن المسيرة العالمية، وأسلوب التعليم التفاعلي،وطرق التعليم الحديث، موضحًا أن أكبر تأثير في مسار النهضة في الوطن العربي كله أن التلميذ أصبح متلقيًا وغير مشارك في العملية التعليمية، إضافة إلى الكثافة الطلابية في الفصول، وعدم الاهتمام من جانب التلميذ والمعلم، وغياب التأهيل والتدريب الجيد للمعلم، وغياب





الرعاية الاجتماعية للمعلم والتلميذ، إضافة إلى التأمينات الصحية، مؤكدًا أن كل ذلك قام بدوره في إحداث خلل بكيان النهضة.

وعن المدارس والجامعات الأجنبية، وإلى أي مدى أفادت أو أضرت النهضة التعليمية أكد إسماعيل أنها تنقل من الخارج طرق التعليم الجيد والتجارب الأخرى، ضمن عناصر وفرق مختلفة، فهي نماذج تعليمية متطورة لا مجال للشك في إضافتها الكبيرة، وتعد نماذج تعليمية مختلفة لدول متقدمة تنعكس بشكل إيجابي، وتؤثر في الشكل المرحلي.

إلا أنه انتقد نقص الحس الوطني من حيث الاهتمام باللغة العربية والتربية الدينية على الرغم من الدور الذي تلعبه هذه المدارس والجامعات في التنشئة العلمية للتلاميذ العرب، مشيرًا إلى إهمال المجتمع بشكل عام لغته وتربيته الدينية، حتى أصبحت قدرة طلاب الجامعة وليس فقط تلاميذ المراحل الأولية على الكتابة والقراءة باللغة العربية ضعيفة جدًّا، ويظهر ذلك بشكل واضح في خطوط وكتابات الصيادلة والأطباء- على حد قوله.

انطباعات شخصية

من جانبها، قالت نادية جمال الدين، المدير السابق لتحسين التعليم بوزارة التربية والتعليم المصرية: إن ما يُقال بشأن افتقاد النهضة التعليمية أمر طبيعي، على الرغم من أن ذلك لم يتم تأكيده من خلال البحث العلمي، إنما هي انطباعات شخصية تفتقد الحقائق العلمية المجردة، مؤكدة أن القول بأن النهضة التعليمية العربية تراجعت يجب أن يستند إلى أبحاث علمية مقننة، تعطي نتائج واضحة حول قصور المخرجات التعليمية، وتوضح ما نحتاج إلى تحسينه، ومعرفة متطلبات المرحلة، إلا أن كل ذلك- وفق رأيها- لم يحدث.

وأكدت أن النظر إلى تحسين التعليم وتطويره دون الاعتماد على نتائج علمية حقيقية يعد إساءة للتعليم وإهدارًا له، قائلة: نحن لدينا حقًّا طاقات هائلة لكنها معطلة، وذلك ليس لسوء التعليم، إنما لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وتدني ميزانية التعليم؛ لذلك يجب أن نسعى إلى استرداد العلم واللغة والهوية الثقافية والدينية.

ووصفت وجود الجامعات والمدارس الأجنبية في المجتمعات العربية بأنه تتسبب في مصائب عديدة على النهضة والثقافة العربية؛ لأن هذه المدارس والجامعات تتبنى ثقافات تؤدي إلى التفكك وعدم التجانس على الرغم من أنها من الناحية التعليمية متميزة ومتقدمة بفعل ما تمتلكه من إمكانات لا تتوافر في المدارس العامة.

وختمت حديثها بمقولة للدكتور طه حسين عن الجامعات كنواة للحضارة قال فيها: «إن الجامعة لا يتكون فيها العالم وحده، إنما يتكون فيها الرجل المثقف المتحضر الذي لا يكفيه أن يكون متحضرًا، بل يعنيه أن يكون مُنَمّيا للحضارة، فإذا قصرت الجامعة في تحقيق خصلة من هاتين الخصلتين فليست خليقة بأن تكون جامعة، إنما هي مدرسة متواضعة من المدارس المتواضعة وما أكثرها، وليست خليقة أن تكون مشرق النور للوطن الذي تقوم فيه، والإنسانية التي تعمل لها، إنما هي مصنع من المصانع يعد للإنسانية طائفة من رجال العمل محدودة آمالهم.. محدودة قدرتهم على الخير والإصلاح».

تحديات أساسية في طريق النهضة

١- تحدي عدم ملائمة التمويل لسياسات التطوير وهو الركيزة الأولى التي تعبر عن الإدارة السياسية.

٢- تحدي تنمية مهنة التدريس باعتبار أن المدرس هو محور التطوير.

٣- تحدي اعتبار المدرسة وحدة التطوير الأولى كما أظهرت تجارب العالم.

٤- تحدي الانتقال إلى نمط لا مركزي في إدارة العملية التعليمية.



أسرتي

سلامة المجتمع من سلامة الأسرة

سلامة المجتمع عمل يتعاون عليه أفراد المجتمع رجالًا ونساءً وإذا ما أخل فرد بواجبه فينبغي على سائر الأفراد إرشاده ونصحه وتذكيره بواجبه الذي أخل به وفي أثناء فترة العلاج هذه التي قد تطول يؤمر أفراد المجتمع جميعًا بغض البصر عن المحرمات التي تعرض والتي حمل على وجودها الجرأة على الله تعالى كما نرى ذلك في قول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور : ٣٠) ، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور : ٣١) ، وإذا ما وقع البصر على شيء من المحرمات من غير قصد فليصرفوا أبصارهم عنه سريعًا ، ولا يديموا النظر ، فإن الله رقيب عليهم مطلع على أعمالهم . . من هنا فإن الالتزام بهذه الآداب الاجتماعية الإسلامية فيه صيانة لكرامة الأسرة وحفظ للمجتمع من التردي في مهاوي الرذيلة والانحراف عن الخط السوي الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده .

التحرير



مسؤولية التربية الإيمانية

د. محمد عمر الحاجي

ما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تركّز على المسؤوليات التي يحملها المربون تجاه أولادهم، وبخاصة الآباء والأمهات، لأن تلك المسؤوليات تشمل فترة زمنية طويلة، تعود إلى ما قبل الزواج، وتمتد إلى أن يصبح الإنسان مكلفًا يتحمل مسؤولياته بنفسه.

فمن ذلك قوله تعالى في معرض الحديث عن المسؤولية تجاه الأهل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، وقوله سبحانه في سياق النصائح الموجهة للمسؤولين، وذلك من خلال التوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢)

وفي هذا الصدد تركّز الشريعة الإسلامية على فكرة مهمة مفادها: تعويد الطفل منذ الصغر على فهم أصول الإيمان وأركان الإسلام، بحيث يفهم حقائق الإيمان بالغيبيات كالإيمان بالله سبحانه، وبالملائكة، وبالكتب السابقة، وبالرسل والأنبياء عليهم السلام، وبالبعث والحساب، والجنة والنار، إضافة إلى التركيز على التمسّك بالعبادات وأمور العقيدة والسلوك والآداب والأحكام والأخلاق.

وثمة إرشادات وتوجيهات ووصايا عدة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح، تحض على التربية الإيمانية المبكرة، فمن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»، وذلك

فولتير للملاحدة: لِمَ تشككون في الله؟! لولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي

حتى تكون بدايات معرفته كلمة التوحيد.

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما أن النبي صلوات الله عليه قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»، وذلك حتى يعتاد الولد على أداء بالعبادات التي تهذب جسمه وروحه وعقله.

وروى الطبراني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدّبوا أولاكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حَمَلَة القرآن في ظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»، وذلك حتى يأخذ الأولاد من سيرة الرسول القدوة دروسًا وعبرا ومواعظ يستفيدون منها وهم يسيرون في طرقات هذه الحياة، كذلك من أجل الاستفادة من سير الصحابة والتابعين والعظماء والمجاهدين والعلماء والعاملين إلى يوم الدين.

ولهذا كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: كنّا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّمهم السورة من القرآن الكريم.

كل هذا ليكون للأولاد حصون منيعة ستكون كالصخرة الصمّاء التي تتكسّر عليها كل موجات الإلحاد، وكل الزيف العلماني، وأقوال أهل الدعايات والضلال.

وكما هو معروف فإن كل طفل يولد على الفطرة، حيث التوحيد والعقيدة الصافية الطاهرة، وهذا ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه».

وما أكثر أقوال علماء التربية فيما يدور في فلك تعويد الطفل خصال الخير، وتحذيره من كل ما له علاقة بالشر، مثال ذلك ما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك...





وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق».

وبالتالي، فالمنهج التربوي له مقدمات توصل إلى نتائج، وهي كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه.
وما دان الفتى بحجىً ولكن
يعوده التدّين أقربوه.

وكم نرى على أرض الواقع المعيش الفرق بين من يدرس في معاهد تبشيرية وبين من يدرس في معاهد شرعية!

وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة.
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا ثدَيّ الناقصات

ولهذا فعلى المربّين أن يرتبوا مسألة التعامل التربوي مع الأولاد على الشكل التالي:

أ- أن يرشدوهم إلى الإيمان بالله: وذلك من خلال التفكر في آلائه ونعمه، وما بثّ في هذا الكون الفسيح من محسوسات، تجعل العاقل يسجد بين يدي الخالق سبحانه، معترفًا بتقصيره وعجزه.

وفي القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة ما فيه الأدلة على ذلك، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٠-١١)

إلى نهاية الآيات من سورة النحل.

ب- أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين:

وذلك من خلال اتباع الوسائل التي تقوي في النفس الخشوع والتقوى، مثل:

الخشوع في الصلاة، والتعوّد على التباكي عند سماع القرآن الكريم، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

جـ- أن يربّوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه، في كل تصرفاتهم وأحوالهم:

وذلك من خلال ترويضهم على أن الله سبحانه يعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما تخفيه الصدور، وأنه مراقب لكل تصرفاتنا ومطّلع عليها.

ففي العمل يجب أن يراقب الإنسان ربه، ويكون مخلصًا فيه، قاصدًا من خلاله وجه الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وهذا ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، ورحم الله الغزالي عندما أشار في كتابه «الإحياء» إلى ذلك بقوله: قال سهل بن عبدالله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار)، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلّبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. قال: فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرّي. ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل! من كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية...

ودار الزمن دورته، وأصبح سهل من كبار العارفين، ومن الصالحين، وذلك بفضل خاله الذي أدّبه وعلّمه ورباه على الإيمان والمراقبة.

وبعد أن جرّب الغربيون كل النظم الوضعية، معلنين الإلحاد والكفر والإباحية، عادوا إلى عقولهم، فوجد المنصفون منهم أنهم أخطأوا الطريق، بحيث نجحوا وتفوقوا في مجالات العلوم البحتة، لكنهم يعيشون في فراغ قاتل من الناحية الروحية، ولذلك صدر عن بعضهم صيحات التحذير مما آلوا إليه، مثال ذلك قول الأديب الفرنسي «فولتير»، وذلك في معرض سخريته من الملاحدة الماديين:

«لم تشككون في الله؟!، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي».

فعلى المربّين ألا يدعو فرصة سانحة تمر إلا ويغرسوا في قلوب وصدور الأطفال الإيمان مصحوبًا بالمراقبة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة الراسخة، وإذا لم يُحصّن الطفل منذ صغره بالتوجيه الديني، وبالعقيدة الإسلامية، وبالفضائل والأخلاق الحميدة، فإنه لا شك سيترعرع على الفسوق والانحلال، وسيتّبع الهوى والنفس الأمارة بالسوء.



كيف تكون صديقًا لأولادك؟

محمد فتحي النادي

للعلماء تعريفات طريفة للصداقة تدل على مدى أهميتها، يقول أبوهلال العسكري: «الصداقة: اتفاق الضمائر على المودة، فإذا أضمر كل واحد من الرجلين مودة صاحبه فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين».

وقال أيضًا: «الصداقة قوة المودة، مأخوذة من الشيء الصدق، وهو الصلب القوي، وقال أبو علي- رحمه الله-: الصداقة: اتفاق القلوب على المودة».

فمحور الصداقة وما يقوم عليه هو المودة المتبادلة، وهي أمر غير متكلّف، لأنه أمر قلبي، فإن اكتفيتَ باللسان عن التعبير عن الصداقة فهي صداقة واهية لا تصمد أمام الأحداث.

قال عمر اليافي:

ليس الصداقة باللسان وإنّما
بالوفق والتأليف والتوفيق

والصديق هو من صدق المودة والنصيحة للصديق، فالصداقة ليست مودة فحسب، ولكنها مودة ونصيحة، فبالنصيحة تقوم العيوب التي قد توجد في الصديق، ولكنها نصيحة مغلفة بغلاف من المودة والرفق، وليست نصيحة غليظة جافية تنفِّر القلوب وتباعد بين الأبدان.

تربية الأبناء بين الإفراط والتفريط

تقع تربية الأبناء على الوالدين أولا، ثم على المربين والمؤدبين، وليست التربية أن تطعم ولدك وتكسوه فقط، فالتربية أعظم من ذلك وأجلّ، يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خاليةٌ عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما نُقش، ومائلٍ إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدِّب، وإن عوِّد الشر وأُهمل إهمال البَهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له».

أما الأب الذي يكدح في الدنيا وكل همّه أن يوفر لولده المأكل والمشرب الحسن، والملبس الجميل لا غير، مهملًا تربية ولده على الأخلاق الحميدة، فإن ولده يعتبر يتيمًا، وصدق أحمد شوقي حين قال:

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من
همِّ الحياةِ وخلَّفاه ذليلًا



إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمًّا تخلَّت أو أبًا مشغولًا

وقد يقع من الآباء والمربين أثناء تربية أولادهم إفراط أو تفريط، فمثلًا يربي أحدهم ولده على الجبن، وذلك بكثرة تخويفه من الغيلان أو أمثالها، أو يقوم الآخر بتربية ولده على التهور، بل والاعتداء على الآخرين بدعوى أن تلك هي الشجاعة، والأمر على عكس ذلك.

أو يربي أحدهم ولده على الترفه والتنعم فلا يرد له طلبًا، ويقتّر الآخر على ولده أشد التقتير، حتى يشعر ولده بالنقص عن الآخرين.. أو يربي أحدهم ولده بالقسوة والشدة والغلظة، والآخر بالتساهل الشديد، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ولكن التوسط في الأمور هو الصواب، فلا إفراط أو تفريط، وكما قيل: «خير الأمور أوساطها».

أثر صداقة الأبناء في التربية السليمة

كل مرحلة سنية لها ما يناسبها من مراحل التربية، وقد فطن لهذا عبدالملك بن مروان فقال: «لاعب ولدك سبعًا، وأدبه سبعًا، واستصحبه سبعًا، فإن أفلح فألق حبله على غاربه».

فآخر مرحلة من مراحل التربية هي الصحبة أو الصداقة، وتكون بعد أن كبر الولد ونما عقله، وأصبحت له شخصيته المستقلة التي يحاول إبرازها وإظهارها بين الناس، وتلك هي مرحلة المراهقة، وهي مرحلة حرجة وحساسة في حياة الأولاد،

باحث أسري



لأنه يكون متقلب المزاج، حاد الطباع، ويكون التمرد والعناد سمة ملازمة له، ففي هذه المرحلة لا يكون النصح والتوجيه بطريقة الأمر والإلزام؛ لأن الولد قد لا يستجيب، ولكن الصداقة هاهنا هي التي تحل المشكلة، وتجعلك قريبًا من ولدك، يُسِر إليك بمشاكله، يرجو أن يكون عندك الحل لها، فإنك إن لم تقترب منه آنذاك فإنه يبحث عمن يفضفض معه، ويتجاذب معه أطراف الحديث، وقد يكون من يفضي إليه ليس هو الاختيار المناسب، فتقع المشاكل وتزداد.

كيف تصبح صديقًا لابنك؟

يقول أبو الفضل الوليد:

أراني ضعيفًا في الصداقة والهوى
إذا ضنَّ أحبابي أجودُ وأسمَح
وإن بعدوا عنّي دَنوتُ مُصافحًا
وإن أذنبوا عمدًا فأعفو وأصفَح

لقد عرف هذا الشاعر مفاتيح الصداقة، فإن لكل شيء مفتاحًا ينفتح به، فإذا أخطأت المفتاح ظل الباب مغلقًا عليك، وإذا قسوت انكسر المفتاح أو الباب، وعندئذ تكون الخسارة، لأنه من الصعوبة أن يعودَ الأمر كما كان.

وقلنا: إن مرحلة الصداقة تكون في طور مرحلة المراهقة، وهي مرحلة التمييز لدى الأولاد التي يشعرون فيها بذواتهم، ويريدون أن يظهروا بين زملائهم بأحسن لباس وأجوده، فهنا على الوالد الصديق ألا يبخل على ولده، أو يظنه طفلًا فيختار له ما لا يرغب ولده فيه.. وهذه بعض الأمور التي نرى أنها تجعل الآباء أصدقاء لأولادهم.

١- اترك له مساحة من الحرية، فالطفل في مراحله المتقدمة مثلًا يلبس ما يُلبسه إياه أبواه، وما يشتريانه له، ولكن هاهنا اترك لولدك حرية الاختيار، مع التوجيه غير المباشر، إن وجدتَ سوءًا في الاختيار.

٢- اجعل الحوار سمة الحديث بينكما، فالولد في هذه المرحلة يحتاج إلى من



يتجاذب معه أطراف الحديث، فكن أنت أيها الوالد وأيتها الوالدة هذا الطرف، وابدأ أنت مع ولدك فكلّمه عن أخبارك وأحوالك، ومشاكلك في العمل، ورؤيتك للتعامل مع المستقبل، وكيفية تدبيرك للبيت، فلا تكن كأنك محقق مع ولدك، وتريد أن يكتب لك تقريرًا عن حياته ومشاكله، ولكن ببدئك بالحكاية تجد ولدك تلقائيًّا يبدأ في الحديث عن نفسه وعن مشاغله واهتماماته ومشاكله.

٣- لا تسفّه آراءه.. فإذا تكلم ولدك معك فلا تسفه رأيه دائمًا، وتظهره دائمًا بمظهر من لا يفهم الأمور ولا يدركها، ولكن وضّح له الأمور، وأظهر له ما كان غافلًا عنه.

٤- لا تهوّن من إمكاناته، فولدك في هذه المرحلة يمكن الاعتماد عليه إلى حدٍّ ما، فوسّد إليه بعض الأعمال، وشجعه على أدائها، ولكن لا تظهره بمظهر العاجز الذي لا يستطيع فعل شيء بدونك.

٥- شجّعه على تصرفاته الحسنة، فالكلمة لها مفعول السحر، والكلمة الطيبة والثناء الحسن يدفعان ولدك لبذل ما في وسعه لأداء ما طُلب منه، والكلمة المحبطة تقعده عن العمل، وتسبب له جرحًا في نفسه قد لا تداويه الأيام، لذا وسّد له بعض الأفعال التي يقدر على فعلها، ثم شجعه إن أحسن، ولا تعنفه إن أخطأ.

٦- إياك والضرب، يخطئ كثير من الآباء الذين لا يزالون يضربون أبناءهم في هذه المرحلة، فالطفل قد تضربه في صغره للتأديب، ثم إن أحسنت إليه وأرضيته نسي ما قد ضرب عليه، ولكن الضرب في هذه المرحلة يترك جرحًا غائرًا قد يدفع الولد للرد على أبيه بغلظة، أو يترك له البيت، أو يزداد في عناده فلا ينتهي عما أمره أبوه بالانتهاء عنه.

ثم هل يضرب الصديق صديقه؟ فهذا غير معقول.

٧- أشركه في قرارات البيت.. في تلك المرحلة حمّل ولدك المسؤولية، فمثلًا أشركه في قرارات البيت المصيرية كزواج أخته، فتسأله عن رأيه في المتقدم لخطبة أخته، أو تشركه في ميزانية البيت، فيعرف مقدار الدخل فيحاول أن يصرف على قدر الطاقة.

٨- لا تحرجه أمام زملائه، فكثيرًا ما يخطئ الآباء بتجريح أبنائهم بالسب والشتم أو الضرب أمام زملائهم، وهذا يجعل الولد ساخطًا على أبيه أو أمه، وعليه.. إذا أخطأ ولدك فعاتبه بنظرة أو بكلمة أو ما شاكل ذلك فإنه يعي الأمر.

٩- عامله كما تعامل أصحابه، من المفارقات العجيبة أن الآباء يكونون قريبين من أصحاب أبنائهم، فيشكُون إليهم ويفيضون في الحديث معهم، ويترفقون في الكلام معهم، على العكس مما يفعلون مع أبنائهم، لذا فإن ابنك أولى برفق الحديث ولينه من صاحبه.

المراجع

- صحيح البخاري
- مسند أحمد
- الفروق اللغوية - أبوالهلال العسكري
- إحياء علوم الدين - الغزالي
- التمثيل والمحاضرة- أبو منصور الثعالبي



زواج الأقارب.. بين الطب والحضارة

د. مصطفى محمد طه

بداية، يمكن القول بأن الزواج هو: شرع الله عزّ وجلّ الذي شرّعه؛ لكي يتم اللقاء البيولوجي الحيوي والوجداني (العاطفي) بين جناحي البشرية الوحيدين، ألا وهما الذكر والأنثى، وليس ثمة إطار شرعي غير الزواج يحقق مثل هذا اللقاء الفريد، الذي يُعتبر تلبية لنداء الفطرة لدى الإنسان السويّ.

ومن هنا نرى أن الزواج قبل أن يكون ضرورة بيولوجية (حيوية)، وضرورة اجتماعية تحفظ النوع البشري، ومن ثم ضمان لاستمرارية نشر العمران الحضاري في الأرض، تحقيقًا لمبدأ الخلافة عن الله- إلى أن يأذن عزّ وجلّ بزوال الحياة- إنما هو أمر تعبّدي.. وفي هذا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين. وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكُلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ (البقرة:٣٠-٣٦)، ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

إن المنطلقات الإيمانية والحضارية لهذه الآيات الكريمة تدلّ بأن الزواج يمثل على الحقيقة ضرورة بيولوجية وإيمانية من أجل إشباع غريزة الجنس لدى الإنسان، فضلًا عن حفظ النوع البشري حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. ولهذا أصبح للطب رأي في تحقيق الزواج المثالي، ومن ثم فإنه لابد لأي باحث، يتصدّى لمعالجة إشكالية الزواج، من استلهام رأي الطب، الذي يمثل في هذا السياق وجهة نظر العلم في القضية موضوع البحث، وعندما يدلي العلم بدلوه، وخصوصًا العلم المعملي التجريبي، في قضية ما، فلابد لنا من أن نستفيد من هذه المعطيات العلمية البحتة، خصوصًا ونحن الآن نعيش في عصر العلم بكل تجلياته.

وفي هذا الإطار، يقرر الطب الوقائي بأن زواج الأقارب يحمل في طياته الأمراض الوراثية التي وصل عددها وفقًا لمعطيات بعض الأبحاث الطبية الأكاديمية إلى حوالي مائتي مرض، وليس هنا مجال تناول هذه الأمراض بالدراسة والتحليل فذاك شأن الأطباء.

وإذا كان هذا هو الموقف الطبي من زواج الأقارب، فيا ترى ما موقف علماء الحضارة من هذا الزواج؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول: إن الاستقراء التاريخي للمسار الحضاري البشري، يشي بأن زواج الأقارب هو ظاهرة اجتماعية، عرفتها بعض المجتمعات البشرية عبر التاريخ، وهي ظاهرة أفرزت بعض اللمسات المرضية، ولهذا السبب جاءت كراهية شيوعها من الوجهة الدينية.

وكما يؤكد الواقع التاريخي للإنسان، فإن الوجهة الحضارية لم تكن في حالة انفصام مع الدين، فنحن نعرف أن التاريخ- التعبير الحي عن الحضارة- هو صناعة إنسانية، والحضارة هي تفاعل البشر- ذكرًا وأنثى- ومن ثم فإنه لا يمكن لهذا التفاعل أن يكون ناجحًا إلا إذا أسهم في تكوينه وصناعته بشر أقوياء، وهؤلاء البشر الأقوياء، يأتون بطبيعة الحال كنتاج للعلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة (الزواج)، وكلما كانت هذه العلاقة بينهما متباعدة كان النسل قويًا.

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فعندما انفتح العرب المسلمون في أول عهدهم بصنع الحضارة الإسلامية على الأجناس الأخرى، مثل الفرس والروم والمصريين والأسبان والأتراك والزنوج والهنود.. وما إلى هنالك من أجناس، وحدث بينهم التزاوج، نتج عن ذلك جيل قوي، عُرف في التاريخ باسم «المولدون»،

باحث علمي في الحضارة الإسلامية



وقد أتت قوة وحيوية هذا الجيل الجديد من كونه جيلًا حاملًا للصفات الوراثية الدينامية التي جاءت كانعكاس طبيعي لهذا التلاقح الحضاري، فكان هذا الخليط البشري المتنوع هو الزيت الصافي الذي غذّى مصباح الإبداع الإسلامي، ونتج عنه بالتالي ذلك الإفراز الشهي، ألا وهو الحضارة الإسلامية اليانعة التي أسهمت إسهامًا حيويًا في الارتقاء البشري، وذلك باعتراف الكثيرين من مؤرّخي الحضارة على المستوى الكوني.

إن هذا الذي حدث يمكن لنا أن نسمّيه بالانفتاح البيولوجي في التاريخ، إذا صحّ التعبير، قبل اكتشاف قوانين الوراثة على يد العالم الغربي مندل. والزواج من غير الأقارب، فيه أيضًا دلالات للانفتاح الحضاري ذي الأبعاد الاجتماعية، وذلك لأنه يساعد على التواصل بين العائلات المتصاهرة، وذلك حتى يصبح المجتمع في نهاية الأمر كأنه قطعة نسيج واحدة، لحمتها المودّة، وسداها الرحمة، مصداقًا لقول الحق، وهو أصدق القائلين: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾ (الروم: ٢١).

إن الأمة الإسلامية في واقعها الراهن، إذا كانت تريد العودة إلى عصورها المتألقة فينبغي عليها عدم تشجيع زواج الأقارب، وذلك حتى يحدث التلاحم الحيوي بين أفراد مجتمعاتها المتباينة شرقًا وغربًا، تطبيقًا لقول الحق عزّ وجل: ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣). ومن أصدق من الله قيلًا؟! ومن أصدق من الله حديثًا؟!.

بيوتنا مرحة

محمود القلعاوي

يظن بعض الرجال أن السيطرة والقمع والعبوس والتوجيهات الحادة واللوم والتقريع بكل قوة.. من وسائل السيطرة على بيته، وهي وسيلة ناجحة في إدارته، متناسيًا حال النبي ﷺ في بيته، فقد كانت الدعابة والمرح والانبساط الصادق هو النهج الذي يحرك الأمور، تراه في أحد أسفاره يداعب أمنا عائشة- رضي الله عنها- يسابقها لكنها سبقته، ومرت الأيام وكبرت في السن، وكثر اللحم في جسدها وتكررت الملاعبة، ولكن الفوز كان من نصيبه ﷺ وقتها، فقال لها بروح الزوج المحب لزوجته: «هذه بتلك السبقة».

نتمنى أن ترجع بيوتنا سعيدة لا تخلو من دعابة ومرح، ألم يكن النبي ﷺ بسامًا طوال وقته، بل من أبش الناس وأطيبهم نفسًا ﷺ.

ليس عذرًا أن الواحد منا يحمل ما يحمل، ووقته مشغول، وضغوط عمله صعبة عسيرة، فهذا خير البشر ﷺ يحمل أكبر دعوة في تاريخ البشرية، ومع هذا.. كان إذا دخل بيته بسامًا بشوشا، فهو واحد من أهل البيت، يكنس داره، ويخصف نعله، ويرفل ثوبه .. فقد كان في مهنة أهله ﷺ.

بل كان له شأن مع صغار البيت.. فكان الحسن والحسين- رضي الله عنهما- يركبان على ظهره، وفي مرة كان يَصُفُّ عبدالله وعبيدالله وكثيرًا من بني العباس- رضي الله عنهم- ثم يقول: «من سبق إلى فله كذا وكذا»، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم.. وهكذا كان ﷺ في بيته.

الحياة فن يا سادة..

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه الرائع فيض الخاطر: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالًا لأنفسهم فقط.. بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالًا للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور.. وهناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء شقاء.. ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء سعادة.. فهناك المرأة في بيتها كل شيء أسود في يومها؛ لأن طبقًا كسر؛ ولأن نوعًا من الطعام زاد الملح فيه ولأن... وهناك رجل يُنغص على نفسه حياته، وكذلك على كل من حوله، من كلمة يسمعها أو يؤولها تأويلًا سيئًا، أو من عمل تافه حدث له».

ويقول: «الحياة فن.. وفنٌ يتعلم.. فاجتهد أن تتعلم هذا الفن، والنفس الباسمة هي التي تجيد أن تقوم بهذا الفن، فترى الصعاب مذللة يمكن التغلب عليها، ترى الجبال الشاهقة وديانًا سهلة يمكنها المشي عليها.. أما هذه النفس العابسة فترى الصغائر عظائم يصعب تجاوزها، ودائمًا تتعلل بلو وإذا وإن.. إن صاحب هذه النفس يود أن ينجح في حياته.. أن يحقق أحلامه وطموحه، ولا يريد أن يدفع الثمن، إنه ينتظر السماء حتى تمطر ذهبًا وفضة أو تنشق الأرض فتخرج له كنزًا».

فهيا نتعلم فن الحياة، ونملأ بيوتنا مرحًا وسعادة وحبًا.

مدير تحرير موقع منارات ويب للعلوم الشرعية.



كذب الأطفال

هبة محمد أبوالفتوح

الكذب سلوك خاطئ، وداء خطير إذا استشرى في المجتمع، ترك أثرًا مدمرًا عليه. والكذب عرض ظاهري، وقوة نفسية تجيش في نفس الفرد سواء كان طفلا أو بالغا، والكذب ليس وراثيا، وإنما هو مكتسب من البيئة خاصة عند الأطفال.

يخطئ من يعتقد أن الأطفال الصغار لا يفرقون بين الكذب والصدق، والطفل في مقدوره تماما أن يفرق بين من هو صادق ومن هو كاذب خصوصا فيما يتعلق بالأمور والرغبات الخاصة به، ومع ذلك كثيرا ما يجانب الأطفال قول الصدق في سنواتهم الأولى، فالطفل في سن الرابعة لا يحسن التمييز بين الحقيقة والخيال، ويستطيع ذلك فقط في سن الخامسة من عمره، وحتى سن السادسة نجد أن أغلب الأطفال يكونون بعيدين عن قول الكذب، وفي سن السابعة يخف كذب الأطفال، وفي الثامنة يكونون صادقين في الأمور التي يعتبرونها مهمة.

وكثيرا ما يشكو الوالدان من اقتراف الأطفال السرقة أو الكذب في فترات الطفولة، خاصة في المراحل الأولى من الدراسة دون أي أسباب واضحة أو عوامل مهيئة لهذه العادات، وقد تتكرر هذه الأخطاء بالرغم من العقاب الذي يلجأ إليه الوالدان والتهديد المستمر (١).

الكذب لدى الأطفال يبدأ في سن الرابعة ويدل على الخيال وخصوبته عند الأطفال ويكون نتيجة اختلاط الخيال بالواقع، بالتالي فإن الكذب ظاهرة كثيرة الحدوث في الأطفال وسببها النفسي كثرة الخيال الذي يعيش فيه الطفل، ومحاولات التأمل المستمرة منه ونسج القصص الخيالية والأوهام والأحلام غير الواقعية ليشرح ويفسر لنفسه بعض الحقائق والوقائع التي يريد حلها أو تفسيرها لنفسه، حتى إننا نجد علماء النفس يصفون هذه الظاهرة عند الأطفال بـ «التلاعب بالخيال»، ويسميها الكبار بالكذب.

الكذب الوقائي هو أسوأ أنواع الكذب وأضرها لارتباطه بالخوف

والكذب عند الأطفال يتخذ أشكالا مختلفة تخدم أغراضا مختلفة، وتختلف باختلاف الأساليب الدافعة إليها، ويمكننا التمييز بين أنواع الكذب التالية:

الكذب الادعائي: ويحدث عادة عندما يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة، فيجعل من نفسه بطلا ينتزع الإعجاب، ومركزا يجذب انتباه من حوله من الكبار، ويهدف هذا النوع من الكذب إلى إدخال السرور في نفوس السامعين، ويتحقق للطفل عن طريقه إشباع ميله إلى السيطرة وتأكيد الذات. ويلجأ الطفل إلى هذا النوع من الكذب لتغطية الشعور بالنقص أو لتعظيم الذات والحصول على الشعور بالتقدير من الكبار والصغار، وقد يكون سببه استدرار العطف وذلك عندما يتهم الطفل أحدا ما بتعذيبه أو اضطهاده، أو عندما يدعي المرض، وهذا نوع من الكذب يجب الإسراع في علاجه بتفهم الحاجات النفسية التي يخدمها الكذب ومحاولة إشباعها بالطرق الواقعية.

الكذب الخيالي: ويحدث نتيجة لقفزات خيالية في تصورات الأطفال وهذا الكذب لا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي.

ومن ثم فإننا نظلم الأطفال الذين يغلب عليهم هذا النوع عندما نصفهم بالكذب.. وهذا النوع عبارة عن قصص خيالية ينسجها الطفل للتسلية، وأحيانا للتعبير عن أحلام اليقظة التي يفصح فيها الطفل عن رغباته.

الكذب الوقائي: وهو أسوأ أنواع الكذب وأضرها لارتباطه بالخوف، ويظهر عندما يكذب الطفل خوفا مما يقع عليه من عقوبة. وينتشر بين أطفال الأسر التي ينتشر فيها نوع من النظام الصارم والعقوبة الشديدة، فيلجأ الطفل إلى الكذب تهربا من العقاب. كما يسود هذا النوع من الأسر التي يختلف الآباء والأمهات في طريقة معالجة الأبناء.

الكذب الأناني: يلجأ الطفل إلى هذا الكذب من أجل الاستحواذ على الأشياء. والدافع إلى الكذب هنا هو عدم توفر الثقة في الكبار، وتأكد الطفل أن مطالبه

باحثة تربوية





لن تجد استجابة إن هو سلك لتحقيقها الطريق العادي.. والطفل عندما يفقد الثقة في البيئة يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكذب لتحقيق ذلك.

الكذب الانتقامي: ويكذب الطفل في هذه الحالة لإسقاط اللوم على شخص ما يكرهه أو يغار منه. وهو أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل وعلى كيان المجتمع ومثله ومبادئه. ذلك لأن الكذب الناجم عن كراهية وحقد هو كذب مع سبق الإصرار ويحتاج إلى تدبير مسبق لإلحاق الضرر والأذى بالغير. وهذا النوع من الكذب يحدث نتيجة للانفعالات الحادة التي يتعرض لها الطفل، وذلك عندما تهتز ثقته في المحيطين به. ويغلب هذا النوع من الكذب عند الأطفال الذين يشعرون بالغيرة وعدم المساواة في المعاملة. وقد يحدث بين الإخوة في الأسرة الواحدة بسبب التفرقة في المعاملة بين الإخوة، فالطفل الذي يشعر بأنه منبوذ أو أقل من أخيه قبولا عند والديه يلجأ إلى الكذب للانتقام منه فيتهمه اتهامات يترتب عليها عقابه أو سوء سمعته (٢).

العلاج: إذا أردنا أن نعالج كذب الأطفال، فيجب دراسة أسباب الكذب ومعرفة الدافع إليه ، ومن الأهمية أن يكون عمر الطفل موضوعا في الاعتبار، فإذا كان عمره أقل من أربع سنوات، فعلى الأم ألا تنزعج مما يصوره له خياله، وتسارع إلى مساعدته ليدرك الفرق بين الواقع والخيال.

ويجب على الأم أن تكون قدوة يحتذي بها الطفل، فلا تقول إلا الصدق، ولا تكذب عليه حتى لا يتعلم الكذب فيكون كذابًا. ويجب أن تدرك الأم أنه لا فائدة من علاج الكذب بالتهديد والسخرية والعقاب، لأن ذلك لن يجدي مع الطفل، ويجب على الأم وأفراد الأسرة إشباع حاجات الطفل النفسية، وتوعيته بأهمية الأمانة والصدق فيما نقوله ونفعله، ونشجعه على ذلك. لأن من أكثر الأسباب مدعاة لغضب الأب أو الأم أن ينظر الصغير إليهما بكل ثبات ويتفوه أمامهما بكذبة صغيرة أو كبيرة دون أن يطرف له جفن. إذ إن الوالدين اللذين يواجهان بوضع كهذا يشعران بأن الصغير أو الصغيرة لم يحترماهما. وفضلا عن ذلك فإن كذب الأبناء يوجد شكوكا في نفس الأب أو الأم حول طريقة تربيتهما لأطفالهما. إن الأطفال جميعا أحيانا يلجأون إلى سرد أمور لا تمت إلى الحقيقة بصلة وهناك أكاذيب تدل على أن الصغير يعاني مشكلة ما. والوالدان الحساسان يستطيعان معاونة الطفل على حل مشكلته، وذلك باستخدام الحوار والتفاهم، وإشعاره بالأمان، فالشخص المطمئن لا يكذب أما الشخص الخائف فيلجأ إلى الكذب كوسيلة للهروب من العقاب بالإضافة إلى القيام بتشجيع الطفل على قول الصدق (٣).

كما أن العدالة والمساواة بين الإخوة، وتنمية ثقة الطفل بنفسه، والمعالجة النفسية للأطفال المصابين بالعقد النفسية وإشباع حاجات الطفل بقدر المستطاع يعد من أهم علاج أسباب الكذب عند الأطفال. وهناك بعض الآراء التربوية في هذا المجال تشير إلى أنه من القواعد المتبعة في مكافحة الكذب ألا نترك الطفل يمرر كذبته على الأهل والمدرسة، لأن ذلك يشجعه على ممارسة الكذب دائما.

الهوامش

١-التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، بلقيس إسماعيل داغستاني، مكتبة العبيكان، ص ١٥٨،١٥٧.

٢-الطفل والحياة، لوسي يعقوب، ط. الدار اللبنانية بالقاهرة. ص ٨٠،٧٩.

٣-التربية الاجتماعية للطفل، عكاشة عبدالمنان الطيبي، ط. دار الجيل (بيروت) ص ١٠٠.



ماذا يريدون من المرأة المسلمة؟!

أحمد محمد عبدالعظيم

كثيرًا ما يحاول أصحاب الهوى أن يتهموا الإسلام بأنه هضم حقوق المرأة في المجتمع وفي الحياة، ولكنها محاولات تبوء كلها بالفشل الذريع، لأن الإسلام هو التشريع الوحيد الذي رفع من شأن المرأة وأعطاها من الحقوق والمكانة ما ليس لمثيلاتها في سائر الحضارات الأخرى، فالإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في العمل الصالح، فهما على قدم المساواة عند الله فيما يقدمان من صالح الأعمال ولا يزيد حظ الرجل في هذا عن حظ المرأة مثقال ذرة، ولا ينقص حظ المرأة في هذا المجال عن حظ الرجل نقيرًا ولا قطميرًا، فترى القرآن الكريم يقول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾.

وهكذا نرى أن الإسلام جعل الرجل والمرأة صنوين وفرسي رهان في كل عمل طيب ونافع، ولم يختص الرجل بفضل على المرأة في ميادين العمل الصالح والتمسك بالعقيدة، ولكن ما أدخله بعض المسلمين على الإسلام من بدع ليس من الإسلام في شيء والإسلام منها بريء، إن الإسلام لم يجعل المرأة قعيدة بيت أو حبيسة جدران، إنه يبيح لها أن تخرج لتقضي حوائجها إذا لم يكن لها من يعولها، كما أنه لم يحرمها من العلم فقد كانت السيدة زينب بنت السيدة أم سلمة أفقه امرأة بالمدينة في زمانها، وكانت بعض فضليات المؤمنات يتصدرن مجالس العلم للتدريس والتثقيف أمثال السيدة خضرة الحجازية ومجالس علمها بجامع عمرو بن العاص، وكانت النساء يبايعن الرسول ﷺ كما بايعه الرجال لكن بلا مصافحة، واشتهر نساء الأنصار بالتفقه في الدين حتى قال عنهن رسول الله ﷺ: «رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين».

إن أعداء الإسلام يغمزون من ناحية تعدد الزوجات، ولو علموا ما في التعدد من خير وحل لمشكلات جسام، لكانوا من أوائل المطالبين بتعدد الزوجات، فلم يشرع التعدد

تعدد الزوجات رخصة شرعية .. والمخالة خسة طينية.. ولا يرضى الضعة إلا وضيع

في الإسلام للمتعة الجنسية، فقد أنكر الرسول ﷺ على الرجل الذواقة، وإليك بعض منافع التعدد:

- أيهما أكرم للمرأة وأحفظ لشخصيتها أن تكون حليلة؟ أم أن تكون خليلة؟
- لمن ينسب الأبناء في حالة المخالة؟ أتجهض الخليلة؟ أم يرسل المولود إلى الملجأ فينشأ وهو لا يعرف له أبًا أوْ أمًا؟
- أيهما أشرف للرجل إذا أعجبته امرأة، هل يواصلها وراء ظهر أهلها، أم يذهب إلى أهلها في وضح النهار خاطبًا؟
- أيهما أحفظ لمال الرجل؟ إنفاقه على الخليلة لإرضائها والاستمتاع بها وهي تكلفه نفقات طائلة؟ أم وجودها في بيته، ينفق عليها كما ينفق على الزوجة الأخرى؟

هذه الخليلة التي فرطت في عرضها وأهدرت شرفها، وخانت طهارتها وابتذلت، من الذي يضمن لها الخليل؟ إنها تفعل مع غيره ما تفعله معه، والأعذار جمة، والمبررات وفيرة فتخونه كما يخون زوجته ودينه.

أيَّة ثقة معنوية أو مادية يمكن أن يجدها الرجل عند هذا الصنف من النساء؟ مع أن الثقة الزوجية من أعظم أسباب الهناءة في البيوت العائلية.

إن تعدد الزوجات رخصة شرعية، أما المخالة فإنها خسة طينية وضيعة، ولا يرضى الضعة لنفسه إلا وضيع.

إن الخليلة قد تتاجر بأسرار زوجها، أما الحليلة فلا.. لأن أسراره أسرارها، والمحافظة عليها فيها خيرها وخير بنيها منه.

إن انتشار هذا النوع من المعاشرة الجنسية المحرمة، مدعاة إلى شيوع الفاحشة بين الناس، في حين أن تعدد الزوجات يقي الأمم من أن تشيع الفاحشة المزرية المؤدية إلى دمار المجتمعات وبالتالي انهيار الأمة نفسها.

وغير ذلك من الأضرار التي لا يحصيها عد ولا يحيط بها حصر.

ومع كل ما تقدم فالإسلام يشترط أمرًا





في حالة تعدد الزوجات، أن يكون الرجل عادلًا مع زوجاته في كل شيء، وألا يذر إحداهن معلقة، لا هي متزوجة ولا هي مطلقة، فإن لم يجد الرجل في نفسه القدرة على العدل بين نسائه، فمن الخير أن يكتفي بواحدة ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ وهكذا نرى أن الذين يغمزون الإسلام في هذه الناحية، إن هم إلا جاهلون، أو متجاهلون.

إن المرأة في الإسلام لم تكن كمًّا مهملًا ولا سلعة رخيصة، إنها كاملة الحرية في اختيار الزوج الذي تروقها عشرته، ولها أن تشترط على الخاطب ما تشاء مما يكفل لها راحتها وسعادتها، وقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عائلة بنت زيد القرشية، فاشترطت عليه ألا يمنعها المسجد ولا يمنعها من التفقه في دينها.

وهكذا نرى امرأة مسلمة لا يزدهيها أن تكون السيدة الأولى في دولتها، ولكنها تشترط لنفسها حتى ولو كان الخاطب أمير المؤمنين.. فهل تعقل فتيات اليوم شيئًا من هذا؟ أم يبهرها المظهر وتغريها الأوصاف حتى لو عاشت في قصر الرياسة حاسرة النفس كاسفة البال؟

وخطب عمر وطلحة والزبير وعلي- رضوان الله عليهم- أم أبان بنت عتبة، فاختارت عليهم طلحة في غير ما حرج، ولم يغضب واحد من الثلاثة الآخرين لأن إسلامهم يعلمهم أن هذا من حقها المطلق، وقد منع الإسلام الرجل من مضايقة امرأته لتفتدي نفسها ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ وهي إلى جانب ذلك موفورة الكرامة تراعى مشاعرها حتى لو كانت حادة الطباع سيئة العشرة، شكى رجل إلى رسول الله ﷺ امرأته لأن في لسانها شيئًا من البذاءة فقال له: «طلقها»، قال إنَّ لي منها ولدًا ولها صحبة، قال: «فمرها فإن كان فيها خير فستفعل» أيْ عظها، ولم يأمره بأن يسيء إليها، ولما نهى ﷺ عن ضرب النساء والقسوة عليهن، قيل له: إنهن نشزن، فقال «اضربوهن ولا يضرب إلاَّ شراركم». وإذا كان رسول الله قدوتنا فلم يؤثر عنه أنه ضرب إحدى زوجاته أو شتمها، ولما غاضبته زوجاته لجأ إلى المسجد في صمت وهدوء!

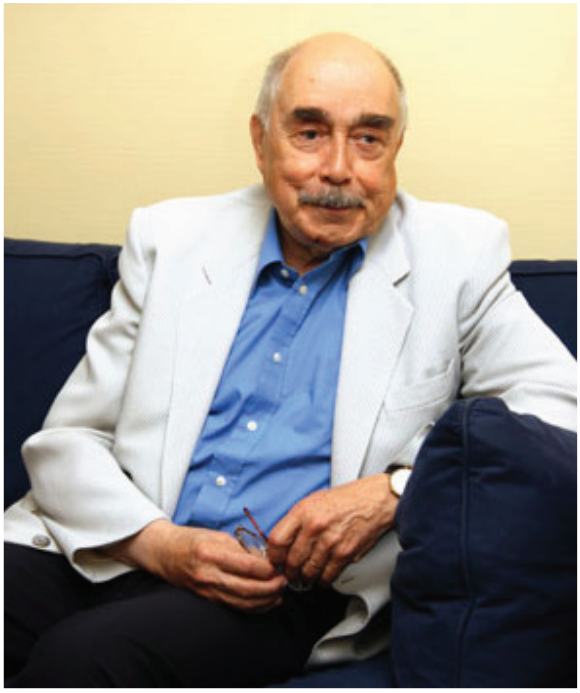
تدبر في المكانة السامية التي بلغتها المرأة في الإسلام .. فسترى عجبًا، إن أول من أسلم امرأة: هي السيدة خديجة بنت خويلد، وأول من استشهد في الإسلام امرأة هي «سمية»، وكان رسول الله ﷺ يعين زوجاته في أعمالهن المنزلية فكان ينظم البيت، ويرقع الثياب ويعجن العجين، وكان رسول الله ﷺ يعين المرأة على العمل ولا يرى فيه تعارضًا مع واجباتها المنزلية.

وليست المرأة المسلمة مرغمة على تحمل شظف العيش في منزل الزوجية إلا إذا رضيت هذا التحمل عن طواعية ومشاركة، وقد أمر الله سبحانه، رسوله ﷺ أن يخير أزواجه فاخترنه، والمرأة المسلمة لم تكن أقل شجاعة من الرجل في مواقف الردع والجد والنضال فقد شهدت فريعة بنت مالك بن سنان بيعة الرضوان، وكانت بيعة عدم الفرار عند اللقاء، وعانت نسيبة إلى جنب رسول الله في غزوة أُحد تمسح جراحه وتعينه على الخروج من الحفير، وكانت ليلى الغفارية تخرج مع المجاهدين تداوي الجرحى وتقوم على تمريض المرضى، وكانت قيلة الأنمارية تاجرة تبيع وتشتري، وقد قتلت أسماء بنت يزيد يوم اليرموك تسعة من الروم بعامود فسطاطها.

ويجوز للمرأة الصالحة أن يزورها الجماعة من الرجال ويسمعوا كلامها، وكانت أم رملة تزين النساء وتجملهن، وكانت النساء تقوم على الرجال في العرس وتخدمهم بنفسها كما كانت تفعل أم أسيد الأنصارية حين دعا زوجها رسول الله ﷺ وصحبته للطعام وقربته إليهم، ولقد بلغ من علم بعض الصحابيات أن بعض الصحابة كانوا يقرأون على أم سعد بنت الربيع فتصحح لهم أغلاطهم، وكانت أم شريك الدوسية تدخل على نساء قريش فتدعوهن سرًّا وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها في مكة فأخرجها المشركون من مكة، ويرى ابن حزم جواز أن تلي المرأة الحكم، ولو شئنا أن نسترسل في هذا الجانب لما وسعتنا المجلدات من الكتب، فهذا هو الإسلام وهذه هي مكانة المرأة في الإسلام.

حقيقة أن يكون الشاب المسلم سعيداً

عبدالرحمن حمادي



الإسلام دين سعادة في الدنيا والآخرة.. فلماذا لا يكون الشاب المسلم سعيدا في المجتمع المسلم؟

في حوار أجريته مع الفنان العالمي لوسيان بيترلان بعد أن أشهر إسلامه واستقر في مدينة حلب السورية تحدث عن رحلة بحثه عن السعادة، فشرح لي كيف أن الشهرة الفنية العالمية التي أصابها في الغرب لم تعطه السعادة، بل كان يزداد إحساسه بالحزن والخواء النفسي كلما ازدادت شهرته، حتى انه كثيرا ما فكر في الانتحار ليتخلص من ذلك الخواء النفسي، وفي زيارة له إلى مصر ضمن رحلة فنية قام بها لفت نظره ملامح السعادة التي كانت ترتسم على وجوه الرجال والشباب وهم يتجهون للمسجد لأداء الصلاة، وكيف أنهم كانوا أكثر سعادة وهم خارجون من المسجد، وهو ما دعاه إلى سؤال بعض الشباب الخارجين من المسجد عن سبب سعادتهم هذه، فأجاب أحدهم بعفوية وبديهية: «أنا مسلم.. عندما اتجه للمسجد وأدخله لأؤدي الصلاة يجب أن أكون سعيدا، وعندما أخرج من المسجد بعد أن أديت صلاتي أشعر بالسعادة أكثر».

كلمات قليلة قالها الشاب جعلت «بيترلان» يبقى في مصر طويلا باحثا عن أسرار السعادة التي يشعر بها المسلمون، ومن مصر انتقل إلى بلاد عربية وإسلامية عدة معايشًا الناس ودارسا سعادتهم وصحتهم النفسية التي يتمتعون بها، واقتنع بعد رحلة البحث الطويلة أن الإسلام هو فعلا دين سعادة، وهو الدين الوحيد الذي يمنح أتباعه الفرح والسعادة والامتلاء الروحي بالمشاعر النبيلة السامية، فأعلن إسلامه واستقر في حلب ناعما بالسعادة وإحساس الفرح الذي حصل عليه بعد اعتناقه الإسلام.

«بيترلان» هذا واحد من عدد كبير من كبار مشاهير الغرب الذين هداهم الله للإسلام بعد أن لمسوا أنه دين يعطي المسلمين السعادة الدائمة والفرح المستمر، وأنه بخلاف ما صوّره المستشرقون وأعداء الإسلام للغرب دين يفرض على أتباعه العبوس والزهد في الدنيا والحزن الدائم، ولا داعي لأن نعقب على كلام هؤلاء، فهم أعداء للإسلام ومغرضون، ولكننا نستغرب إصرار بعض دعاتنا وعلمائنا في خطبهم الدعوية وخطب أيام الجمعة عندما يكررون من حيث لا يدرون ما يتقول به أعداء الإسلام، فيخاطبون مستمعيهم مشددين على ترك الدنيا ومتاعها لأن الآخرة خير وأبقى، فما ينتهي الواحد منهم من خطبته إلا بعد أن يصور الإسلام دينا لا يقبل من المسلم أن يكون سعيدا، ولا يمكن للمسلم أن يعيش إلا ناقما على الدنيا متجهم الوجه، وويل للشاب المسلم إذا فكر في ملذات الدنيا، فالملذات ممنوعة حتى التي حللها الله، وعلى المسلم أن يبني سدًّا متينا بينه وبين كل أسباب الفرح والسعادة!!

بصدق لا أعرف من أين جاء هؤلاء- سامحهم الله- بهذا الحكم، وكيف أجازوا لأنفسهم إقرار أن المسلم يجب أن يكون عبوسا زاهدا في الدنيا لا يعرف الفرح إلى نفسه سبيلا ولا تجد السعادة إلى

باحث سوري

قلبه طريقا، بينما حقيقة ديننا الحنيف أنه دين سعادة وفرح، بمعنى أنه يمنح للمسلم الصحة النفسية بما تحتويه من سعادة وفرح، بل لا نخرج عن نطاق الحقيقة عندما نقول إن الإسلام طلب من المسلمين أن يبحثوا دائما عن السعادة والفرح في الدنيا، وأن يرجوا الله أن يمنحهم السعادة في الآخرة، فالله سبحانه يقول: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

لهذا كن سعيدا أيها الشاب

هذا الكلام استعدته وقد استنكرت على زواري من الشباب ما بدا على بعضهم من قنوط وعبوس، وقلت لهم إن مشاهير أهل الغرب التجأوا للإسلام ليحصلوا على السعادة تحت ظلاله، وأنتم شباب مسلم، السعادة بين أيديكم بعد أن أتاحها لكم الإسلام وترفضونها!

انبرى أكثرهم تجهما وحاورني عن مقولة أن التفكير في الآخرة والعمل من أجلها أفضل من البحث عن السعادة الدنيوية، فقلت محاورا: أترى يا بني أن الإسلام هو دين للآخرة فقط أم هو دين للدنيا والآخرة معا؟ قال: بل هو للاثنين كما تعلمنا، قلت: إذن يجب أن تمارس كشاب حياتك في ظل المجتمع المسلم وبما تتطلبه مرحلة الشباب من مرح وتفاؤل بالمستقبل، ولو تابعت أعمالك منذ اسيقاظك صباحا وحتى ساعة نومك مساء ستجد أنك قد عشت سلسلة من الأعمال والأحداث والوقائع التي كل واحدة منها مدعاة لإدخال السعادة إلى نفسك، وإليك أمثلة:

- تستيقظ من نومك معافى الجسم صحيحه، وهذا سبب للسعادة.
- تصل إلى مدرستك سليما معافى حيث تلتقي أصحابك ومعلميك وهذا سبب آخر للسعادة.
- تخرج من مدرستك وقد حملت علما جديدا، وهذا سبب ثالث لتكون سعيدا.
- يأتي وقت الصلاة فتتجه وتتوضأ وتصلي، فتكون بذلك قد أديت واجبا دينيا يمنحك السعادة والإحساس بالرضا والفرح.
- تجد وقتا من فراغ فتذهب وتمارس رياضة ما، وهذا أيضا سبب جديد للسعادة.
- تلتقي أهلك وأبويك مساء على مائدة العشاء في جوّ أسري إسلامي متين، وهذا سبب أيضا لتكون سعيدا.
- تستلقي على فراشك وتفكر في يومك فتجد أنك لم ترتكب ما يغضب الله من أعمال، وهو سبب آخر لراحة النفس والسعادة والفرح.

إذن هذه وقائع من يوم الشاب المسلم، وكل واقعة مدعاة لأن تدخل السعادة والفرح على قلب ونفس هذا الشاب، وبالتالي يجب أن يكون هذا الشاب منطلقا متفائلا سعيدا فرحا.

صمت الشاب قليلا مفكرا ثم سأل: ولكن ماذا إذا كنت قد ارتكبت معصية في يومي، أتراني يجب أن أكون سعيدا؟

تبسمت وقلت: ما من ابن أنثى معصوم عن الخطأ والمعصية، والمعصية مدعاة لطرد إحساس السعادة، ولكن الله سبحانه وتعالى عفوّ غفور كريم، وما عليك في هذه الحالة إلا الاستغفار، وستجد أن الاستغفار قد أعاد إلى نفسك إحساس السعادة، والله سبحانه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) وقوله سبحانه: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: ١٣٥).

«بيترلان» واحد من كبار مشاهير الغرب الذين هداهم الله للإسلام لأنهم عرفوا أنه دين يعطي السعادة الدائمة للمسلمين

سعادة فعل الخير

وتابعت لزواري الشباب محاورا: نتفق على أن فعل الخير يعطي إحساسا بالارتياح النفسي والسعادة، وعلم النفس الحديث يتفق على أنه كلما كانت النفس مستقرة على فعل الخير ولا صراع في داخلها كان ذلك استحضارا للسعادة، والمسلم من صفاته أنه ميال لفعل الخير، فافعلوا الخير حيثما استطعتم وستشعرون بمزيد من السعادة ومزيد من الفرح، وفعل الخير بالنسبة للشباب له محاوره، إنه يبدأ بالتمسك بتعاليم الدين الحنيف، والدراسة، والعمل، وتقديم العون والاحترام للكبار، واحترام الوالدين، وتمضية أوقات الفراغ في الرياضات المباحة المفيدة للجسم، وألا يؤخر عمل اليوم لغد، وأن يفرغ من واجباته أولا بأول، فالإنسان عادة إذا واجهه عمل صعب أو غير محبب أخره لغد، لأن النفس عادة تخلد إلى الراحة، ولكن تأخير ما لابد منه يزيد من مشكلاته ومصاعبه، خاصة إذا ظهرت له أعمال أخرى تحتاج إلى وقت وجهد كبير، فعليه بالصبر والمجاهدة حتى ينجز ما ينبغي عليه.

الصبر من أبواب السعادة

وفي حواري الطيب مع زواري الشباب سألني أحدهم: لكن إذا أصابت الواحد منا مصيبة أو رسب في صفه أو أصيب بمرض، فهل يجب أيضا أن يكون سعيدا؟

أجبت: بل يجب أن يكون راضيا بحكم الله، والرضا مدخل للسعادة، فالله سبحانه يقول: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

في هذا المقام أذكر أن الإسلام انفرد

عن الأديان الأخرى بأن جعل المسلم يؤمن بقضاء الله وقدره، وجعل حمد الله على الخير والمصائب واجبًا على المسلم، وما من شيء يمنح السكينة والهدوء النفسي للمسلم إذا أصابه شر أو مصيبة أو سوء مثل أن يحمد الله الذي لا يحمد على خير أو شر سواه، وقناعتنا نحن المسلمين أنه ما من شيء يصيب المسلم إلا كتب الله له أجرا عليه، يقول صلي الله عليه وسلم: «ما من شئ يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله بها حسنة أو حطت عنه خطيئة» (رواه مسلم)، وقال ﷺ «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته» (رواه مسلم).

وبعد يتفق علماء النفس المعاصرون على أن تحقيق السعادة يعتمد على تحقيق أسبابها، ومن أهم أسباب السعادة استعداد الفرد وما يملك من قدرات لنيل السعادة، والظروف الخارجية التي تؤثر في نيل السعادة، والسعادة تتحقق بأمور متنوعة، كالأمور المادية أو النفسية أو الروحية أو العقلية أو الذوقية أوالسلوكية، والش باب المسلم في المجتمع الإسلامي توافرت له كل هذه الأمور التي جهد علم النفس في التوصل إليها، فالشباب طاقة كبيرة يوجهها أصحابها الى فعل الخير في المجتمع كما أمر الإسلام، ويوجهها أصحابها إلى خير أنفسهم ومستقبلهم، وهو أيضا مما أمر به الإسلام، كما أن الإسلام قد وفّر بتكامله كل الظروف الروحية والنفسية والعقلية والمادية والسلوكية وغيرها للشباب كي يحققوا السعادة لأنفسهم ولغيرهم، وإزاء هذا كله من غير المقبول أن نرى شبابنا عابسين مقطبي الجبين، بل سعداء متفائلين، يعملون بسعادة وانطلاق لاكتساب المزيد من السعادة في حياتهم، ويرجون أن يكون عملهم مما يجعلهم سعداء في الآخرة.

خاطرة

طيبة الطيب



د.محمد حسان الطيان

عندما يوفق المسلم لزيارة مدينة رسول الله ﷺ فيحيا في كنفها أيامًا، يحلو له أن يسجل مشاعره، ويكتب خواطره.

وليس من العدل أن يستأثر بها وحده، بل لابد أن يشْرَكَهُ القارئ بشيء منها، ليحياها كتابةً وقـراءةً، إن فاته أن يحياها حقيقةً وعملا.. من أجل ذلك كانت هذه الخاطرة.

سيدي رسول الله ﷺ

طبت حيًّا.. وطبت مَيْتا

وطابت رسالتك.. وشريعتك

وطابت علانيتك.. وسريرتك

فطابت الدنيا بطيبك.. فكيف لا تطيب مدينتك؟!

وأنت الذي سميتها طيبة فكانت طابة الخير.. وتبوأت أعلى مقام.. وكانت مثابة للمحبة والسلام.

وأنت الذي نوَّرتها وأضأتها فكانت المدينة المنورة.

ألم يقل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما توفي رسول الله ﷺ أظلم منها كل شيء».

من أجل ذلك هفت إليها القلوب، وسمت إليها النفوس، وهامت بحبها الأرواح، فما إن يذكرها مسلم حتى تطيب نفسه، وتتحرك محاجر عينيه، وترقرق الدمعة على خديه، وتختلج كوامن الخير فيه، وتعتلج نوازع البر في صدره، وتناجي روحه ساكن طيبة الطيبة ولسان حاله يردد:

إذا لم تطب في طيبة عند طيِّب

به طابت الدُّنيـــا فأين تطيـــبُ؟

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

أجل والله فبطيبة الطيبة تطيب النفوس.. وتزكو الأرواح.. وتعطر المجالس.. وتحسن القصائد.. ويحلو الكلام.. ويسمو كل إنسان.

ولعمري لئن كانت الأماكن تزداد جمالا وبهاءً بما يكتب عنها وفيها، وبما ينظم في وصفها ومدحها، إن الكلمات لتشرف، وإن البيان ليعلو ويطيب إذا ما ذكرت طيبة الطيبة، فنحن وربِّي بها نتجمَّل، وبحب ساكنها نتعبَّد، وبالصلاة والسلام عليه نتقرَّب.

جمالك غير محتاجٍ لشعري

مدحتك كي أزيدَ أنا جمالا

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة وعضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

البراء العويد: الفن رسالة لا تجارة

حوار: حسنى نديم

منذ القدم يعد الحداء لونا من ألوان الفنون الجميلة التي اتخذها الإنسان للتسلية والترويح، وكثيرًا ما كانت تلك الأناشيد تستخدم لبث روح الحماسة في نفوس المجاهدين، وحتى يومنا لازالت تحمس الإنسان لبذل الروح في سبيل الله ولإبقاء كلمة الله هي العليا، وفي الآونة الأخيرة تطورت الأناشيد من كونها لمناسبات الأعراس إلى كونها وسيلة دعوية مهمة، ولعل إضافة الصورة للصوت صار أمرًا لا بد منه، فانتشرت الفيديو كليبات الدعوية بشكل كبير، حول هذا الموضوع التقت مجلتنا المنشد الشاب البراء محمد رشيد العويد، فكان هذا اللقاء :

● كيف كانت البداية؟

■ كانت بدايتي في المدرسة والمسجد معًا، وذلك عندما أعلنت مدرستي إقامة مسابقة انشادية، فذهبت أنا وابن خالتي وقدمنا رغبتنا في المشاركة، فاختبروا أصواتنا، ووقع الاختيار علينا معًا، وتم تدريبنا على الأنشودة التي أديناها للمدرسة، وكنا حينها في الثانية عشرة تقريبًا، وتلك كانت المرة الأولى التي أدخل فيها الاستوديو، وكانت الأنشودة بعنوان «نحن طلاب النجاة» وللآن تذاع في إذاعة المدرسة.

أما في المسجد فقد كان الفضل بعد الله للمعلم الفاضل محمد غنيم، فقد كان له دور كبير في صقل موهبتي وتشجيعي، وعندما كانت توجد أي مناسبة في المسجد كان اسمي يطرح كأول المشاركين فيها، ودائمًا كنت ألبي الدعوة.

● هل كانت لك أنشطة دعوية؟

■ نعم، بفضل الله كنت ولازلت أعمل في تحفيظ القرآن الكريم، شاركت أيام الجامعة في عدد من الأنشطة الدعوية من انشاد و تمثيل مسرحيات هادفة.

● حدثنا عن مشاركاتك الأناشيدية؟

■ في غير المدرسة والمسجد، كنت أشارك في أي حفل أدعى إليه، وحتى بعض الديوانيات وحفلات التخرج ثم الأعراس، ودخلت مجال الاعراس منذ أن كنت في الثانوية، لكنه لم يستهوني، وفي مرحلة الجامعة انضممت لفرقة اليرموك، وكذلك الروابي، ثم فرقة البراء خلال سنوات الدراسة في الجامعة.

وتركت المشاركة في الأعراس حيث لم يرق لي الجو الذي يغلف تلك الأعراس، وشعرت بأنها تستنفذ جلَّ وقتي، ففضلت الابتعاد عن المشاركات في الأفراح، حيث إن خامة صوتي لم أجدها في تلك الألوان من الأناشيد للأعراس.

وفي الأردن كنت قد سجلت ألبوما يحتوي على ١٠ أناشيد وذلك في عام ٢٠٠٤، ولكني أشعر بأن هذا الألبوم لا يمثلني حيث لم تكن لدي خبرات صوتية كافية، وكذلك لم يكن به أية مؤثرات صوتية.

في عام ٢٠٠٣ شاركت في مجموعة أناشيد للجامعات تخص الانتخابات في جامعات أردنية، مثلا في الجامعة المدنية نشيد كلية العلوم، وكذلك كلية العلوم التطبيقية، ثم كنت أشارك في كل مهرجان في الجامعة.

شاركت بعد ذلك في أناشيد للجاليات خاصة أنها كانت تقام احتفالات لإشهار إسلام البعض، وأذكر أنني أنشدت للجاليات من ألمانيا ومن كوسوفا والبوسنة.

ثم عكفت على ألبوم منذ ٢٠٠٧ وانتهيت أخيرًا من تسجيله هذا العام ٢٠١١م، ولازلت انتظر فرصة جيدة لطرحه، لأن السوق حاليًا أوضاعها لا تسمح بأن تطرح ألبومات من انتاج المنشد نفسه فذلك مكلف جدًا.

● ماذا يتمنى البراء العويد؟

- أتمنى تحقيق نفسي في الإنشاد بصورة أكبر ترضي طموحي.
- أتمنى دراسة علم الأصوات بصورة أوسع لأن خبراتي الآن من واقع تجربة، لكن عندما تصقل لتكون موهبة ودراسة وتجربة، فذلك يكون أفضل وأقوى في الأداء والطرح.
- أتمنى أن أمتلك استوديو خاصا للإنتاج.
- أتمنى أن يبقى الفن رسالة وليس تجارة.

● ماذا سيقول البراء لو أن أحدهم طلب نصيحتك قبل خوض مجال الإنشاد؟

■ أن يكون على يقين أن ظهوره في الاعلام جعل منه قدوة، وسيحذو حذوه كثر، فعليه أن يدرك ثقل تلك الأمانة وأن الفن رسالة، ثم إن لم يجد في نفسه القدرة على التحلي بصفات القدوة، فأعتقد أنه إن ترك المجال لغيره فذلك خير له.

● ما رسالتك الفنية التي تسعى لإيصالها؟

■ الإعلام سلاح ذو حدين، فعلينا استثماره على الوجه الأمثل، وذلك بنشر أشياء راقية تحترم عقل المتابع، والناس تتأثر كثيرًا بالإعلام، فبرأيي أننا بإمكاننا التربية من خلال الفن الراقي، وهذا ما أتمنى أن يبارك الله لي فيه، ويوفقني لتقديمه من خلال اعمالي.

د. شوقي السيد: الوضع الحالي يستلزم بعض القوانين الوضعية

الإسلام.. مصدر التشريع الرئيس أم الوحيد؟

دعاء الفولي- دار الإعلام العربية

مع رياح التغيير التي طالت عددًا من الدول العربية، وما يتطلبه ذلك من إعداد دساتير جديدة تكفل تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية.. ثار الجدل حول مصادر التشريع التي تستند إليها هذه الدساتير، وهل يصبح الإسلام المصدر الوحيد لهذه التشريعات، أم أنه مصدر رئيس مع وجود مصادر أخرى من القوانين الوضعية.. «الوعي الإسلامي» ناقشت عددًا من علماء الشريعة وفقهاء القانون حول هذا الموضوع وجاءتكم بالتفاصيل.

«كون الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع يعني أن أكثر من ٧٠٪ من القوانين والتشريعات يجب أن تكون مستقاة من الإسلام، والنسبة الباقية من القوانين الوضعية.. أما كون الشريعة المصدر الأوحد فيجعلها هي القوانين نفسها، ومن ثم لا يمكن تعديل بعض من هذه القوانين أو تغييرها».. بهذه الكلمات بدأ الفقيه القانوني د.شوقي السيد، أستاذ القانون الدولي، حديثه، موضحًا أن متغيرات العصر تستلزم قيام علماء الشريعة بأخذ الراجح من القول الذي يتناسب مع المصلحة العامة للدولة.

الحل القائم حاليًا

ولفت د.شوقي إلى أن مبادئ الشريعة تختلف عن الأحكام، وبحسب رأيه فإن الأحكام أكثر إلزامًا وأقل مرونة من المبادئ؛ لذلك فإن الدستور المصري يستقي القوانين من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، ويتوقف عند الأحكام التي يصعب تطبيقها حاليًا على أرض الواقع كالحدود، والتي تستدعي وجود دولة دينية وليست مدنية كما هو الحال حاليًا- على حد وصفه- لذلك فإن الاجتهاد سواء في تطبيق المبادئ أو الأحكام يجب أن يكون الأساس في إعداد التشريعات والقوانين؛ لأن العلماء هم الذين يجعلون مبادئ وأحكام الشريعة سهلة قابلة للتنفيذ، أو يجعلونها صعبة، طبقًا لمدى الاجتهاد، فمثلاً بالنسبة

د. محمد أبوليلة: لم يحدث أن تعارضت الشريعة الإسلامية مع بناء الدولة الحديثة

للمعاملات البنكية يرى بعض العلماء أن الاقتراض من البنوك ربا، ومن ثم فهو محرم؛ لأن الإسلام حرّم الربا، لكن على الجانب الآخر اختلف العلماء في معنى الربا الموجود في البنوك، وهل الاقتراض البنكي تتحقق فيه مواصفات وشروط الربا، فقال بعضهم إن الربا هو الاستغلال المادي لبعض الأشخاص، ومن ثم فإن الاقتراض والفوائد ليس فيهما استغلال، بل يحل بالمنفعة على صاحبه، ومن ثم قالوا بإباحته.. بينما حرمه آخرون.

وانتهى د.شوقي إلى القول بأن فكرة أن تكون الشريعة المصدر الوحيد للتشريع في مصر على سبيل المثال ستستدعي تغيير جميع القوانين الوضعية وإعادة صياغتها بشكل جديد، ومن ثم يجب أن تتغير بنية المجتمع وثقافته وحتى اقتصاده، باعتبار أن جزءًا كبيرًا منه قائم على السياحة التي قد لا تتفق كثير من أنماطها مع الشريعة الإسلامية، وبناء عليه فإن الحل القائم حاليًا هو اتخاذ الشريعة مصدرًا رئيسًا للتشريع، مع وجود بعض القوانين الوضعية الأخرى.

المصدر الوحيد

من جانبها، أكدت د.فايزة خاطر، أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر، أن فكرة أن تكون الشريعة المصدر الوحيد أو الرئيس للتشريع مفروغ منها بالقول إن الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع؛ لأن القرآن والسنة هما وحي من عند الله لرسوله ﷺ، ومن ثم فلا يصح لنا أن نعدل على هذا الوحي بقوانين وضعية ستكون في الغالب ضد صالح الإنسان، لذلك ينبغي أن يحتكم المسلمون إلى شريعتهم في كل كبيرة وصغيرة.

وأشارت إلى أن هناك الكثير من الأدلة التي تؤكد ضرورة احتكام المسلمين إلى شريعتهم، فمثلاً في عهد سيدنا محمد ﷺ تم تعليق صحيفة بها دستورنا الإسلامي في المدينة المنورة أكدت أن القرآن الكريم هو دستور الدولة المدنية الذي يجمع كل مقاصد وغايات ومبادئ وروح الإسلام، وأن الالتزام به وبسنة الرسول ﷺ هو الذي أخرج العرب قديمًا من ظلمات الجاهلية وجعلهم يتقدمون ويقودون الأمم، لكن عندما ارتضينا غيرهما من قوانين وضعية ضعنا، كما هو حاصل الآن، وصدق سيدنا محمد ﷺ حينما قال في خطبة الوداع: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي».. وقال سيدنا أبوبكر رضي الله عنه أيضًا للمسلمين أثناء توليه الخلافة: «أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

وأضافت د.فايزة: إن فكرة الابتعاد عن الشريعة الإسلامية في القوانين بدأت منذ العهد العثماني، حيث كثرت في تلك الفترة النزاعات بين الرجل والمرأة، فطلب الخديو إسماعيل من الشيخ محمد عبده وضع قوانين من الشريعة لتنظيم العلاقة القانونية بين المرأة وزوجها على مذهب الإمام أبي حنيفة، واجتهد الشيخ في وضع هذه القوانين التي تم تسميتها لاحقًا بقوانين الأحوال الشخصية، لكن المشكلة أن العلماء الذين جاءوا بعد ذلك على مر السنين كان كل منهم يفتي بالمنهج الذي يرتاح له قلبه، ومن ثم أصبح هناك لبس على بعض الناس في فهم الشريعة نتيجة عدم اتفاق العلماء بشكل واضح، أو عدم اتفاقهم حتى على الاختلاف الذي يصب في مصلحة العامة.

وأشارت إلى أن عدم اتباع الشريعة الإسلامية في القوانين الموجودة- مثلا في قوانين الأحوال الشخصية- جعل المرأة تأخذ حقوقًا أكثر من حقوقها، ومن ثم تجبرت على زوجها دون وجه حق، ما أدى إلى كثير من المفاسد والمشاكل الأسرية والاجتماعية.. لذلك على العلماء الاجتهاد بشكل كبير مع رجال القانون لجعل الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل أمتنا تتقدم الأمم الأخرى وليس العكس، ويجعلنا أمة يعيش في كنفها الجميع من مختلف الأديان في أمان تام؛ لأن شريعة الإسلام وحدها التي ستحمي غير المسلمين وتدافع عنهم كما كانت تفعل أيام الرسول ﷺ. وهنا يأتي دور العلماء في توعية الناس مع وسائل الإعلام بأهمية الشريعة وضرورة تطبيقها.

تأهيل المجتمع

إلا أن د.آمنة نصير، العميد السابق لكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر، تختلف في الرأي مع د.فايزة، لتؤكد أن

د. فايزة خاطر: القرآن والسنة وحي إلهي يغنينا عن أي قوانين وضعية

الشريعة هي المصدر الرئيس للتشريع وليس الوحيد، موضحة أن هناك حديث شريف يقول: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، ومن ثم فالتجديد مطلوب في طرق تنفيذ الشريعة، بينما مبادئها ثابتة لا تتغير، وهذا ما يجعل الدين الإسلامي دينًا حنيفًا يصلح لكل العصور؛ لأن أحكامه يمكن تطويرها دون الإخلال بأساسها حتى تتناسب مع طبيعة العصر واحتياجاته.

وأشارت إلى أن مشكلة الصدام الدائم بين الشريعة والقوانين الوضعية تأتي بسبب عدم إعمال الناس عقولهم في التوفيق بين الشريعة والقوانين، واتباع البعض لشكل نصوص الشريعة الجامدة كما هي دون التفكير في ماهيتها أو هدفها، مؤكدة أن فكرة كون الشريعة المصدر الرئيس للتشريع لن يجعلها تتناقض مع القوانين كما يظن البعض، مؤكدة أن ٩٠٪ من قوانين الدستور المصري مستقاة من الشريعة الإسلامية، بينما هناك جزء معطل خاصة الحدود، وهي بالأساس لا يتم تنفيذها فعليا إلا بشروط يصعب توفيرها، ولكي تصبح الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع يجب أن يكون المجتمع مستعدًا لذلك ثقافيًا ودينيًا واجتماعيًا، وهنا يأتي دور العلماء واجتهادهم في تعليم الناس أصول الدين حتى يستوعبوها وبعد ذلك يمكننا تطبيق الشريعة بأحكامها كاملة.

استعمار

أخيرًا، أكد د.محمد أبوليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، أن الشريعة هي التي تنظم حياة المسلمين بشكل عام، ولأنها تتسع لكل الطوائف والاتجاهات يمكنها أيضًا أن تنظم حياة غير المسلمين بكل سهولة.. لذلك لم يحدث في عهد الرسول ﷺ أن تعارضت الشريعة يومًا مع بناء الدولة الحديثة كما يزعم البعض، بل على العكس كانت إحدى الدعامات الأساسية في ذلك، ومع الاحتكام للشريعة الإسلامية ساد المسلمون الأمم، وكانت الدولة الإسلامية في عنفوان مجدها، ما يعني أن الشريعة لم تأت للتضييق على الناس، بل على العكس فتحت أفقًا أكثر للتفكير والتدبر والاجتهاد.

وأضاف أن الشريعة بفرعيها؛ القرآن والسنة، تحتاج حتى يتم تطبيقها بشكل صحيح إلى اجتهاد العلماء حتى تتواصل الشريعة مع القوانين الوضعية طبقًا للزمان الحالي، بشرط ألا تتناقض هذه القوانين مع أصول الشريعة أو ثوابتها أو أصول الأحكام.. وقد كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه بالرغم من وجود الشريعة بين يديه، فكان يثبت بذلك أن الإسلام ليس ضيقًا كما يزعم البعض.

وأشار د.أبوليلة إلى أن المشكلة ليست في الشريعة، لكن المشكلة أنه مع تطور الزمن ووجود الاستعمار في الدول الإسلامية جعلنا نستورد دساتير وقوانين ليست من ديننا، فالدستور المصري مأخوذ من قوانين فرنسية، ولذلك نجد فيه الكثير من البنود التي تتعارض مع الشريعة، ونشأت هنا مشكلة بين فريقين؛ فريق العلمانيين الذي لا يريد وضع هوية للدولة، وفريق آخر يريد ذلك، وكون الشريعة المصدر الرئيس للتشريع في الوقت الحالي أمر جيد، إذ يتيح الفرصة أكثر للعلماء حتى يبحثوا ويجتهدوا ويجتمعوا بفقهاء القانون لإزالة البلبلة الموجودة في عقول عامة الناس، خاصة مع ما يروجه البعض بأن الشريعة لا تتماشى مع هذا الزمن، وبالطبع هذا غير صحيح بالمرة؛ لذلك يجب تصحيح المفاهيم المغلوطة حتى يمكننا الوصول إلى أن تكون الشريعة هي المصدر الأوحد للتشريع.

منارة المسلمين في الولايات المتحدة الأميركية.. وأكبر المساجد الحديثة في العالم

مسجد واشنطن الجامع.. لؤلؤة مساجد أمريكا

تركي محمد النصر

تقع ولاية واشنطن في الجزء الشمالي الغربي من الولايات المتحدة الأميركية المطل على المحيط الهادي، وتبلغ نسبة السكان العرب فيها ٠,٢٥٪ من إجمالي السكان، وفيها عدد من المساجد والمراكز الإسلامية ومن أشهرها: مسجد الفاروق، ومسجد آل ياسين، ومسجد بلال ومركزه الإسلامي، ومسجد ومركز واشنطن الجامع، وغيرها.

تمتد جذور المسلمين في الولايات المتحدة الأميركية إلى عام ١٥٣٩م، وذلك عندما وصل أول مسلم من «المورسكيين» ممن انضموا إلى المستكشفين الأوائل للأرض الجديدة.

وتتراوح أعداد المسلمين في الولايات المتحدة ما بين أربعة وستة ملايين مسلم، يتوزعون في معظم أرجاء البلاد، وهم من أصول عدة تعود إلى باكستان، والهند، والشرق الأوسط، وألبانيا، وغيرها من دول العالم.قاته.

نشأته وبناؤه

يعتبر مسجد واشنطن الجامع من أشهر وأجمل المساجد في الولايات المتحدة الأميركية، ويؤدي دورًا اجتماعيًا وسياسيًا رائدًا، حيث يضم مجلس سفراء الدول الإسلامية، ويقوم بتواصل واسع مع أطراف دولية كثيرة ومتنوعة.

في عام ١٩٤٥م توفي السفير التركي فجأة في العاصمة الأميركية، وتحيَّر المسلمون أين يقيمون صلاة الجنازة عليه، وتقبل العزاء فيه، الأمر الذي دفع بالسفير المصري السيد محمود حسن إلى عرض فكرة بناء مسجد للمسلمين في الولايات المتحدة الأميركية.

تشجع لهذه الفكرة المقاول الأميركي المسلم من أصل لبناني السيد أحمد يوسف حوار، ووعد بتحمل جانب كبير

يضم مركزًا إسلاميًا ومكتبة عملاقة ومجلسًا لسفراء الدول الإسلامية.. ويقصده غير المسلمين ليتمتعوا برونقة بنائه

من نفقات البناء، وجرت اتصالات كثيرة بين سفراء البلاد الإسلامية التي كانت ممثلة في واشنطن في ذلك الحين وكانت أكثر من عشرين دولة.

هذا، وقد قامت الحكومة الأميركية آنذاك بالتبرع بقطعة أرض تبلغ مساحتها ٣٠,٠٠٠ قدمًا مربعًة، يقدر ثمنها آنذاك بنحو مائة ألف دولار، وقد اختيرت الأرض في شارع من أجمل شوارع واشنطن، وهو زاوية شارع بلمونت وماساشوسيت، وبدأت الخطوات المباركة لتشييد هذا الصرح العظيم الذي استغرق أكثر من أربع سنوات لوضع مخططه، وقد قامت وزارة الأوقاف المصرية بعمل الرسوم والتصميمات بالأسلوب المعماري المعروف في القرن الثاني عشر، وقامت بتنفيذ المشروع شركة «ايرفنج وبورتر وأولاده»، كما شارك المكتب الهندسي للسيد أحمد حوار بوضع الرسوم على نحو إسلامي خالص، مراعيًا الاتفاق في الشكل العام مع العمارة الأميركية، التي تميل إلى المداخل الواسعة ذات الأعمدة الرفيعة الذرى محاكاة للعمارة الإغريقية.

بلغت تكاليف البناء العام لمسجد واشنطن الجامع حوالي ١,٢٥٠,٠٠٠ دولارًا أميركيًا، لم يكن من ضمنها ثمن القطع الفنية الكثيرة النفيسة التي شاركت بتقديمها مجانًا كثير من الدول الإسلامية.

افتتاح المسجد

امتدت فترة بناء المسجد لأكثر من سبع سنوات في الفترة من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٧م، وتم افتتاحه في ١٩٥٧/٦/٢٨م، بحضور الرئيس «دوايت ايزنهاور» الذي افتتح الاحتفال بخطاب مناسب، حيَّا فيه مسلمي العالم الإسلامي، وأشار إلى ما كان للحضارة الإسلامية من آثار عميقة في الحضارات المتعاقبة ولاسيما الغربية.

لقد استخدم في بناء المسجد حجارة بيضاء صافية البياض، وتولى تحديد اتجاه القبلة بشكل فني دقيق أحد أعضاء الجمعية الجغرافية الأميركية، وقد استقدم عمال من مصر والشام للعمل في المسجد، واستعين أيضا بعمال من تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية.



وصف المسجد

يتكون المسجد من بيت واسع للصلاة، يقوم سقفه على أعمدة ضخمة من الرخام الأبيض، تحمل فوقها طرازا جميلا من العقود المعمارية رائعة الصنع، وفيه- أي بيت الصلاة- أربعة أبواب عجيبة في صنعها، ومدخله واسع تتقدمه أربعة أعمدة رخامية تحمل خمسة عقود على شكل قناطر، ومن فوقها واجهة زُينت على ضخامتها بآيات من القرآن الكريم.

وأمام المدخل المرتفع قليلًا عن الأرض سلم حجري عريض من الرخام الأملس، كما يلاحظ الداخل إلى بيت الصلاة في مسجد واشنطن الجامع المحراب الجميل النفيس الذي تزينه الرسومات النباتية، والآيات القرآنية، والنقوش الفريدة .

وفي بيت الصلاة أيضًا منبر جميل بديع الصنعة، على طراز منبر جامع محمد علي في القاهرة، وبلغت قطعه التي ركب منها اثنتا عشرة ألف قطعة من الأبنوس، صنعت كلها في مصر، ثم ركبت على الهيكل الخشبي.

والمنبر هذا قُدمَ كهدية للمسجد من أرض الكنانة، كما قدم معه أيضًا ألف كتاب نفيس في مختلف العلوم الشرعية والعربية والكونية، لتكون نواة للمكتبة النفيسة التي يعتز بها المركز الإسلامي الثقافي المجاور للمسجد.

أما مئذنة مسجد واشنطن فيبلغ ارتفاعها نحو ١٦٠ قدمًا، وهي مكونة من جزأين:

الأسفل منهما مربع الشكل تتوسط كل ضلع فيه نافذة طولية، وضع أسفلها مقرنصات حجرية، بينما تعلو تلك النافذة- المغطاة بأحجار مخرمة- نافذة أخرى مغلقة ترتكز عليها، وينتهي هذا الجزء المربع من بدن المنارة بشرفة الأذان الكبرى، المحلاة بنقوش عربية إسلامية.

ومن وسطها ترتفع بقية المئذنة مدورة الشكل، إلى أن تختم بشرفة أخرى أصغر، وفوق تلك الشرفة قبة ترفع عمودًا ضخمًا من النحاس، يحمل فوقه الهلال الإسلامي الشامخ.

ومما يسرنا ذكره أن كثيرًا من الدول الإسلامية شاركت في بناء المسجد وتجهيزه للعبادة؛ فأسهمت تركيا في تحلية وتزيين جدران المسجد بالقاشاني الأبيض والأزرق على ارتفاع ستة أقدام، مما أضفى على بيت الصلاة جمالًا أخاذًا فاتنا، كما قدمت إيران مجموعة رائعة من السجاد الفاخر، من بينها سجادة ضخمة لا تقدر بثمن.

المركز الإسلامي

حرص القائمون على بناء المسجد أن يشيدوا بجانبه مركزًا إسلاميًّا ليقوم بتنظيم الدور الاجتماعي والثقافي الذي يقوم به المسجد، وهذا المركز يتألف من جناحين حول المسجد، خصص أحدهما لمعهد يضم قاعة كبيرة للمحاضرات، ومكتبة تحتوي على الآلاف من الكتب القيمة جمعت من شتى أنحاء العالم الإسلامي، بينما خصص الجناح الآخر لسكن المدير والمكاتب التابعة للمركز.

وقد تولى إدارة المركز أولًا د.محمود حب الله وهو من علماء الأزهر الشريف، ثم من بعده د.محمود بيصار، أستاذ الفلسفة والدين بالأزهر.

دَور المركز وخدماته

يقصد مسجد واشنطن الجامع الآلاف من الناس، فأما المسلمون فيقصدونه على اختلاف طبقاتهم بغية الصلاة فيه، وطلب العلم والتزود بالمعرفة، والتباحث في الأمور الحياتية التي تخص الجالية وتحل مشاكلها، ثم استيضاح أحكام الدين وطلب الفتوى.. وكذلك السياحة العائلية والتمتع بجمال بنائه.

أما غير المسلمين فيقصدونه للتعرف على أسرار الدين الإسلامي الحنيف، وللتمتع بجمال المسجد وروعة زخرفته الإسلامية.

الوقاية من أمراض الكبد

د. يحيى سنبل

الكبد هي أكبر غدة في جسم الإنسان، حيث يمثل ٢ ٪ من وزن البالغين، و٥ ٪ من وزن الجسم في الأطفال حديثي الولادة، وللكبد وظائف عديدة أهمها إفراز العصارة الصفراوية، وتخليق بروتينات البلازما وتنظيم نسبة السكر في الدم، وإزالة السمية للعديد من السموم والعقاقير.. وحتى نتعرف على كيفية الوقاية من أمراض الكبد فلابد من التعرف على أسباب هذه الأمراض والتي نوجزها فيما يلي:

١- الفيروسات الكبدية: وأخطرها الفيروس B و C والتي تنتقل بصفة اساسية عن طريق الدم، وتتمثل الخطورة في نقل دم ملوث بهذه الفيروسات، واستخدام أمواس الحلاقة لأكثر من شخص وكذلك المحاقن (السرنجات) وابر الوشم والأدوات الطبية الملوثة وحقن المخدرات إلى غير ذلك مما ينقل دم شخص إلى شخص آخر.

٢- تعاطي الخمور (الكحول): بجميع أنواعها والتي تؤدي إلى التهاب الكبد وتشمع الكبد، فضلاً عن التهاب المعدة والبنكرياس، جدير بالذكر أن الخمور تعد السبب الرابع للوفاة في الأشخاص من ٣٥ -٥٥ سنة في الولايات المتحدة الأميركية.

٣- الحبوب (مثل القمح): المصابة بالفطريات (العفن) والتي تحتوي على مادة سامة تسمى أفلاتوكسين aflatoxin والتي تسبب سرطان الكبد.

٤- استخدام حبوب منع الحمل لفترات طويلة يؤدي إلى حدوث ورم غدي حميد بصفة نادرة، لكن هذا الورم الحميد قد يتحول إلى سرطان الكبد.

٥- بعض الأدوية والمواد تسبب تسمما مباشرا للكبد مثل الأسبرين والباراسيتامول وبعض أنواع عيش الغراب، لذا يجب عدم استخدام أي دواء إلا تحت إشراف الطبيب.

٦- هرمونات الذكورة قد تلعب دورا في حدوث سرطان الكبد خصوصا المرضى الذين يعالجون بهرمونات الذكورة لفترة طويلة.

٧- هناك فيروسات تسبب التهابًا حادا بالكبد مثل فيروسات الهربس البسيط والحمى الصفراء والحصبة الألماني، وتتمثل الأعراض المبكرة لاضطرابات الكبد في فقدان الشهية والغثيان وعسر الهضم والانتفاخ والضعف العام وسرعة التعب وفقدان الوزن.

وتشمع الكبد هو تضخم طفيف إلى متوسط للكبد نتيجة للتغلغل المنتشر للدهون المتعادلة (الثلاثية) لخلايا الكبد، وهو حالة إكلينيكية ومرضية شائعة وقد تكون الحالة خفيفة وقليلة الأهمية، وقد تكون شديدة وتؤثر في وظائف الكبد، وتؤدي إلى ظهور أعراض تحتاج إلى تقييم دقيق. يقول د.كرت إزلبيكر أستاذ الباطنة بالمدرسة الطبية بهارفارد: إن الأسباب الرئيسية لتشمع الكبد تعتمد على السن، والموقع الجغرافي، والتغذية والأيض، وإدمان الخمور. ويعد إدمان الخمور السبب الأكثر شيوعا في أميركا والدول الغربية، خصوصا الذين يتعاطون الخمور بكميات كبيرة، وشدة حالة تشمع الكبد تتناسب طرديا مع مدة تعاطي الخمور ودرجة التعاطي. أما في المناطق الاستوائية في أفريقيا، وجنوب أميركا، وآسيا، فالحرمان من البروتين يعد سببا لحالات تشمع الكبد الشديدة خصوصا في الأطفال الصغار.

أما الأسباب الأخرى لتشمع الكبد فترتبط بالسمنة، والنوع الثاني من مرض السكر خصوصا إذا كان مصحوبا بالسمنة ولم يتم ضبط السكر في الدم بصفة منتظمة، ومتلازمة كوشنج، والمرضى الذين يعالجون بالكورتيزون.

أما بالنسبة لتشمع الكبد الحاد فيقول د.توماس لامونت أستاذ الباطنة بجامعة بوسطن: إن أسباب هذه الحالات تتعلق بالمواد ذات التأثير السام على الكبد مثل رابع كلوريد الكربون cclu ودي. دي. تي. DDT، والفوسفور الأصفر، وتسمم الكحول الحاد، وهناك نوعان من تشمع الكبد الحاد يحتاجان إلى اهتمام شديد: إذا حدث أثناء الحمل، وهي حالة نادرة ولكنها في الغالب قاتلة وتحدث أثناء الفصل الأخير من الحمل، حيث يحدث غثيان وقيء وألم بالبطن وفشل كلوي وغيبوبة.

أما الحالة الأخرى فهي العلاج المكثف بعقار التتراسيكلين بجرعة من ٣ إلى ١٢ جراما بالحقن الوريدي، وهو سبب نادر لتشمع الكبد الحاد والغيبوبة الكبدية القاتلة خاصة أثناء الحمل.

طبيب بشري

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

يوم الأمية العربي

تحتفل البلدان العربية سنويا باليوم العربي لمحو الأمية، حيث اختارت الثامن من يناير في كل عام ليكون ذكرى...، وذلك لأنه اليوم الذي أنشأت فيه جامعة الدول العربية جهازها الإقليمي لمحو الأمية عام ١٩٦٦م، وانضم بعدها إلى المنظمة العربية للتربية والفنون والعلوم باسم الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار.

لقد دخلنا العقد الجديد من القرن الواحد والعشرين ومازال لدينا ٧٠ مليون أمي عربي تقريبا منهم ٤٢ مليون امرأة وفق الإحصاءات الأخيرة! ولم تعد تقتصر الأمية عند العرب على كبار السن فقط بل توسعت الشريحة حتى صارت الشريحة العمرية بين (١٥-٤٥ سنة) هي الأكبر حاليا.

وتتركز الأمية في الدول العربية الفقيرة أو التي تصنف بأنها أقل تنمية، في الوقت الذي تمثل فيه كندا وفنلندا واليابان أقل دول العالم أمية، إذ لا تتجاوز نسبتها من صفر إلى نصف في المائة.

ومن المعروف أن الأمية في الوقت الراهن لم تعد مقتصرة على القراءة والكتابة، بل هناك أمية حضارية تتمثل في الجانب التكنولوجي والثقافي والصحي، ولكن في النهاية نؤكد بأن الكتابة والقراءة هي مفتاح أي تنمية أو نهضة.

ولابد من الإشارة إلى أن أول الحلول الناجعة لهذه المشكلة تبدأ من إحياء مشروع «الكتاتيب» في مجتمعاتنا مرة أخرى، ودعمها واستعادة مكانتها التي افتقدت في العقود الأخيرة، سواء كان عن قصد أو بدون قصد، خاصة أنها خرجت أجيالا متوالية، وحافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة في مواجهة التغريب الفكري والثقافي والتعليمي الذي غزا عالمنا العربي منذ بدايات القرن التاسع عشر.

كذلك ضرورة تطبيق التعليم الإلزامي حتى مراحله الأخيرة، وتحفيز طلاب المدارس والجامعات على القيام بالمشاركة في خطة محو الأمية في قطاعاتهم مقابل عائد مادي مجز، وشهادات تقدير، وتشجيع الأطفال على عدم التسرب من التعليم، وتوعية الأسر الفقيرة بذلك حتى لا تضطر لسحب أولادها من التعليم وإلحاقهم بأعمال من أجل الحصول على أموال.

ويقترح الأكاديمي المتخصص في القضايا التعليمية د.سعيد حارب على كليات الآداب والتربية في الجامعات العربية بألا يتم تخريج أي طالب أو طالبة إلا بعد تعليم ٥ أشخاص القراءة والكتابة ويحتسب ذلك ضمن دراسته وبمكافأة.

وهناك نقطة في غاية الأهمية وهي نشر ثقافة التعلم بين أبناء المجتمع، حتى يشارك الجميع في القضاء على الأمية باعتبارها مهمة وطنية جليلة تستوجب التضحية بالوقت والجهد والمال من أجل تنمية مجتمعاتنا والارتقاء بها في مصاف الدول المتقدمة.

وأيضا هناك أفكار طرحت في الآونة الأخيرة مثل إلزام الشركات والمصانع الكبيرة بتنظيم فصول لمحو أمية العاملين فيها، ومحو أمية من يلتحق بالخدمة الإلزامية في الجيش، وكذلك نزلاء السجون، وأن تكون إجادة القراءة والكتابة شرطا للحصول على الأعمال الحكومية، وتشجيع تكوين جمعيات أهلية لمحو أمية وتعليم الكبار.

إن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأول ما نزل من القرآن الكريم على الرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

أخيرا يمكن القول بأن الأمية المطلوب القضاء عليها في الظروف الراهنة هي أمية الدين إلى جانب أمية القراءة والكتابة، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ﴾ أي لا يعلمون من الكتاب إلا تلاوته فقط حسب أحد المفسرين ...فليساهم كل منا بقدر ما يستطيع حتى نحقق الأمنيات بمحو الأمية في العالم العربي.

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٤/٦/ع/٨٩ حلق اللحية للمضطر

س: أعمل في إدارة الإطفاء العام وتقوم الإدارة بعمل دورات ضباط ويشترطون حلق اللحية مدة الدورة فقط وبعد الدورة يكون الإنسان بالخيار فهل يجوز لي حلق اللحية مدة الدورة لأنه لا يتيسر لي تعديل وضعي إلى ضابط إطفاء إلا بعد هذه الدورة، وجزاكم الله خيرًا.

أجابت اللجنة بما يلي:

بمراعاة الظرف المبين في السؤال ترى اللجنة جواز الأخذ بقول من قال من العلماء بالكراهة، ولاسيما أن وقت الحلق محدد بوقت الدورة فقط. والله أعلم.

٢/٤٢/ع/٨٩ افتتاح محل لحلق اللحية وتجميل الوجه والشعر والخضاب

س: أريد أن أفتح صالون حلاقة للرجال ونحن نعلم أن الصالون يتضمن بعض القضايا والأمور التي قد يكون الحكم الشرعي فيها غامضًا، ففي الحلاقة يوجد حلق اللحية أو تحديدها ويوجد السشوار بالشعر وعمل تمليس بالشعر، ويوجد إلى جانب ذلك جهاز يعالج بشرة الوجه من الدهون والبثور، ويوجد أيضًا عمل الخيط أي قلع الشعر الذي تحت العينين وفوقهما (فوق الحاجبين) بالإضافة إلى الصبغ وعمل التسريحات والقصات بمختلف أنواعها.

اطلعت اللجنة على فتوى سابقة ونصّها:

- حلاقة شعر الرأس للرجال بالطريقة التي يفعلها الناس على وجه التجميل جائزة ما لم يكن فيها ما يشين الرجل مثل التشبه بالنساء، ومثل القزع وهو حلق وسط الرأس وترك جوانبه أو عكسه، وأما حلق اللحية فذهب كثير من الفقهاء إلى تحريمه، وذهب بعضهم إلى أنه مكروه تحريمًا، وذهب بعضهم إلى أنه مكروه تنزيها، وبالنسبة للكسب الذي يأتي من حلق اللحية يعتبر مالًا مشبوهًا والعبرة في المال المشبوه للغالب من الحلال أم الحرام.

- ورأت اللجنة الأخذ بهذه الفتوى وإضافة مايلي:

السشوار وتمليس الشعر لا بأس به، واستعمال جهاز يعالج بشرة الوجه من الدهون والبثور لا بأس به كذلك، واستعمال الخيط لقلع الشعر الذي تحت العينين لا بأس به، وأما قلع شعر الحاجب أو ترقيقه فلا يجوز، وأما صبغ الشعر بالسواد أو غيره فلا بأس به. والله أعلم.

٢/٢٨/ع/٨٩ إنشاء صالون لتزيين السيدات

س: تعتزم جمعية ما، بمشيئة الله، استلام محل صالون للسيدات لتتولى تحت إدارته بمعرفتها إدارة مباشرة، وتحصنًا من التردي في دائرة الأعمال المحظورة شرعًا، فإننا نستطلع الرأي الشرعي فيما يجوز لصالون السيدات أن يقدمه من أعمال وما هو محظور عليه شرعًا من أنشطة منهي عن مباشرتها.

أجابت اللجنة بما يلي:

لابد أولًا من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ . أن يمنع حضور الرجال سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن أم من الرجال المرافقين للراغبات في التزين ولو كانوا أزواجًا أو محارم.

ب . التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

ج- تجنب أي زينة تحدث تشبهًا بالرجال.

د- تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ - ألا يستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد أو كشف أسرار المترددات للتزيين.

أما بالنسبة للأمور المسؤول عنها بالتفصيل فإن اللجنة تجيب بما يلي: غسيل الشعر وإجراء حمام زيت للشعر وتجفيف الشعر وكيه وصبغه ملونًا أو أسود أو صبغ خصلات منه كل ذلك جائز شرعًا ولا حرج فيه، وقص الشعر إن لم يكن فيه تشبه بالرجال فهو جائز شرعًا، ولف الشعر أو عكفه أو تمليسه كل ذلك جائز شرعًا، أما تقليم الأظفار إذا كان لإزالة ما طال منها عن المعتاد فإن ذلك جائز بل هو سنة وهو من خصال الفطرة التي سنها رسول الله ﷺ، أما إذا كان بالأخذ من أطراف الظفر بقصد تركه طويلًا مدببا فهو خلاف السنة، وأما صبغ الأظفار فلا بأس به شرعًا، ولكن على المرأة التي تصبغ أظفارها بمادة عازلة أن تزيلها إذا احتاجت إلى تجديد الطهارة من وضوء أو غسل للصلاة في أوقاتها ما لم تكن المادة المصبوغ بها غير عازلة كالحناء، والمكياج للوجه لا بأس به شرعًا، والحف للوجه يجوز على أن لا يشمل شعر الحاجبين، وإزالة شعر اليدين والقدمين يجوز شرعًا مع مراعاة ما سبق التنبيه عليه من حيث النظر أو تلمس لما هو عورة.

وتهذيب الحواجب لا يجوز شرعًا لأنه هو «النمص» المنهي عنه شرعًا لحديث: «لعن رسول الله ﷺ النامصة والمتنمصة» والنامصة هي التي تفعله والمتنمصة هي التي تطلبه.

على أنه يجب ملاحظة أن المرأة التي تأتي للتزين إن كان معلومًا أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل لأنه إعانة لها على

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) بشأن موضوع:
كتابة آية أو آيات من القرآن الكريم على صورة طائر أو غيره

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثانية عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم السبت ١٥رجب ١٤١٠هـ الموافق ١٠فبراير ١٩٩٠م إلى يوم السبت ٢٢رجب ١٤١٠هـ الموافق ١٧فبراير ١٩٩٠م قد نظر في موضوع كتابة آية أو آيات القرآن الكريم على صورة طائر، وقرر بالإجماع: عدم جواز هذا العمل، لما في ذلك من العبث، والاستخفاف بكلام الله سبحانه وتعالى والاستهانة به. والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

قرار هيئة كبار العلماء رقم (٧١) وتاريخ ١٣٩٩/١٠/٢١هـ بشأن حكم كتابة المصحف بطريقة الإملاء العادية.

بعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه.. تبين للمجلس أن هناك أسبابًا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين ووافقه الصحابة وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وثبت أن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين؛ اقتداءً بعثمان وعلي وسائر الصحابة، وعملًا بإجماعهم.

إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليًا بقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة، لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر.. وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين ويجد أعداء الإسلام مجالًا للطعن في القرآن الكريم. وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن.

ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس كلما عنَّت لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وبناءً على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي: يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعًا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

وجهة نظر
لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير

وجهة نظر عضو هيئة كبار العلماء محمد بن إبراهيم بن جبير حول موضوع كتابة المصحف حسب قواعد الإملاء الحديثة- الذي بحثه مجلس الهيئة في دورته الرابعة عشرة المنعقدة في مدينة الطائف شهر شوال عام ١٣٩٩هـ.

بعد اطلاعي على البحث القيم الذي استوفى جميع أطراف الموضوع، والمعد من قبل اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أثابها الله وبارك في جهودها، وبعد المناقشة التي تمت في مجلس الهيئة برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن حميد حول موضوع: «كتابة المصحف بغير الرسم العثماني» وحيث إن الحديث عن هذا الموضوع قديم، بحثه الأئمة -رحمهم الله- قبل أكثر من ألف سنة، وحكموا بما ظهر لهم من التحريم أو الكراهة أو الجواز، وصنفوا في ذلك المصنفات العديدة، ومازال بحث هذا الموضوع يتكرر بين آونة وأخرى إلى يومنا هذا، وحيث إن قراءة القرآن من المصحف المكتوب بالرسم العثماني على وجه الصواب ستكون خاصة بمن يتلقاه عن القراء، أما الصغار فسوف يكون تعليمهم من تلك المصاحف عسيرًا.

لذلك فإنني أرى أن تطبع المصاحف بالرسم العثماني؛ حفظًا لهذا الأثر العظيم الذي هو أصل ديننا، على أن يعاد طبع الكلمات بالرسم الإملائي المعتاد على الهامش في حيز خاص، وذلك تسهيلًا لتعلم الصغار وقراءة الكبار الذين لم يتلقوا القرآن عن قارئ، وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين، والله الموفق، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم.

العقيق.. سيد الأحجار الكريمة وأشهرها



حسام فتحي أبوجبارة

العقيق من أهم وأشهر الأحجار الكريمة وأكثرها انتشارًا، غالبًا ما يوجد في الحمم البركانية، فيملأ التجاويف التي أحدثها انبثاق الغازات، كما يُعثر عليه في الصخور الرسوبية وبين الحصى، منه ما يكون قريبًا من السطح، ومنه ما يتم استخراجه على بُعد عشرات الأمتار من باطن الأرض.. ألوانه متباينة، وبريقه شمعي شفاف أو نصف شفاف أو معتم.

قال الطبرسي عن العقيق في كتابه «مكارم الأخلاق»: هو أول حجر أقر للرحمن بالوحدانية ووصفه داود في «التذكرة» كعلاج لإزالة الغضب، وإبعاد الهم والغم.

مناطق وجوده

قديمًا، كان العقيق موجودًا بكثرة في الدول التالية:

- اليمن: يعتبر العقيق اليماني من أكثر الأنواع التي كانت منتشرة في اليمن وأكثرها شهرة، وخاصة ذلك الموجود في مناطق جبل هودان، وجبل هران قرب مدينة ذمار، وفي منطقتي آنس وعنس التابعتين لمحافظة ذمار، وفي منطقة خولان القريبة من العاصمة صنعاء.
- الهند: كانت من أهم مواطنه في قارة آسيا، ومنها عرفه الأوروبيون وخاصة الإنجليز.
- الأردن: انتشر عقيقها في بلاد الشام ولكن كمياته كانت قليلة جدًّا، فاقتصر اقتناؤه على الأثرياء.
- الصين: يقال ان الصينيين لم يلتفتوا إلى أهميته إلا من الغجر، الذين كانوا يتاجرون فيه ويستخدمونه كعلاج نفسي.

أما اليوم فأصبح العقيق موجودًا في دول أخرى، أهمها البرازيل- وهي أكثر الدول تصديرًا له حاليًا- وسلوفاكيا- عقيقها رطب نسبيًا- وأستراليا بالقرب من نهر روبرتسون، وألمانيا، وشمال الأورغواي، وتشيكيا، واليابان، والولايات المتحدة الأميركية (في منطقة أوريجون ومونتانا وكاليفورنيا ويونغ وواشنطن والبحيرات العظمى).



كيفية استخراجه

- في البداية تحفر الصخور الصلبة وبأعماق متفاوتة تتراوح بين ٣-٢٠ مترًا، حيث يتم استخراجه من أشد الصخور صلابة.
- بعد ذلك يتم تكسير الصخور للحصول على قطع العقيق الصغيرة، التي توضع على طبقة من الرماد تحتها نار هادئة لتليين العقيق وترطيبه.
- يلصق العقيق في كمية من «اللوك»، وهي مادة من اللبان والرماد لإزالة الشوائب.
- يحك العقيق في الحجارة الملساء المستوية، لإعطائه الشكل والحجم المطلوبين.
- يتم إزالة النمش الموجود على العقيق بوساطة أحجار خاصة تسمى «القراب».
- يمسح العقيق بحجارة تسمى «المطسية» لمنحه ملمسًا ناعمًا وشكلًا لامعًا.
- وأخيرًا، يصقل العقيق بالطباشير ويمسح جيدًا باستخدام قطعة قماش ناعمة ويصبح جاهزًا للبيع.

باحث أردني مقيم في الإمارات



أنواعه وألوانه

للعقيق أنواع وألوان كثيرة تتجاوز العشرين، من أهمها:

- العقيق الأحمر: وهو من أجود الأنواع وأندرها، يأتي معظمه من البرازيل والهند واليابان، وكان الناس قديمًا يعتقدون أنه يحمي من الأرواح الشريرة، له تدرجات لونية عدة تتراوح بين الأحمر الفاتح (الرماني)، والغامق (القريب إلى لون الكبد)، والخوخي، والتمري، والبرتقالي المحمر.
- العقيق الأبيض: يكون شفاف اللون، تشوبه دوائر ونقاط، وله بريق شمعي، وهو موجود في تركيا، وأيسلندا، وأسكتلندا، وكاليفورنيا وكولورادو في الولايات المتحدة الأميركية.
- العقيق اليماني: لونه بني وأبيض غالبًا، وهو صلب وجيد الصقل، ويستخدم بشكل واسع في النقش على الأحجار الكريمة والنقوش الغائرة، ويشير تجار المجوهرات إلى العقيق ذي اللون الواحد على أنه العقيق اليماني، فعندما يتحدثون ببساطة عن العقيق اليماني فإنهم يعنون الحجر الأسود اللون.
- العقيق السليماني: يحتوي على دوائر منتظمة بألوان متناسقة، يعتقد أنها كائنات مجهرية حية، تكونت وتبلورت عبر ملايين السنين، فكانت بهذا الشكل.
- العقيق المشجّر: يتميز باحتوائه على أشكال ورسوم طبيعية، وينقش عليه لفظ الجلالة، ويصنع منه قلائد وخواتم، وهو موجود بكثرة في محافظة ذمار اليمنية.
- حجر الشمس: شفاف اللون يميل إلى البياض، براق ومكور الشكل، أطلقت عليه هذه التسمية نظرًا لخاصيته، فله بريق لامع، وإذا تعرض للشمس خلال النهار يظل دافئًا محتفظًا بالحرارة طوال الليل.
- حجر البلاسما: يشوبه ظل من الخضرة، غالبًا ما يأتي بلون أخضر حشيشي، ويحتوي بشكل غير منتظم على بعض البقع البيضاء التي تميل إلى الاصفرار، وهو موجود في الهند والصين بكميات جيدة.
- حجر عين النمر: يأتي بإحدى ثلاثة ألوان بدرجة غامقة هي الأبيض والأسود والرمادي، يتلألأ كأعين النمر عند تعرضه للضوء.
- حجر الدم: سمي بهذا الاسم للاعتقاد السائد بأنه يفيد لحبس الدم، وهو ملون عديم الشفافية.
- حجر السجين: لونه أبيض، مكور وصغير، وذو بريق لامع، يستخدم كخرز للحلي منذ قديم الزمان.

زينة وعلاج

العقيق هو أحد أهم الأحجار الكريمة التي يُحلّى بها الذهب، وتصنع منه الحلي، والمسابح، والتحف، والأختام، وقطع الشطرنج، وكرات البلياردو، كما أن صلادته وقدرته على مقاومة الأحماض يجعلانه عظيم القيمة في صنع المدقات التي تستخدم لتكسير وخلط المواد الكيميائية.



إعداد: هيفاء حسن

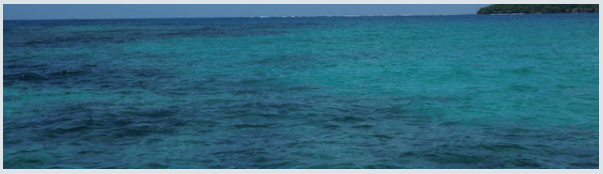
١٠٩٩٤ مترًا تحت الأرض..أعمق مكان في العالم

أثبتت أدق عملية قياس تجري حتى الآن لأعمق نقطة على سطح الأرض، أنها تقع في خندق ماريانا في شمال المحيط الهادئ على عمق يصل الى ١٠٩٩٤ مترًا، وهي تقع بالقرب من جزر ماريان القريبة من جزيرة غوام.

فقد تم استطلاع المكان أكثر من مرة إلا أن المعطيات الخاصة بالعمق الأقصى لم تكن دقيقة حتى الآن، وقد تراوحت تقريبًا بين ١٠٩١١ و ١١٠٣٤ مترًا، وقد تأكد خبراء مركز الخرائط الشاطئية والبحرية (CCOM) من ذلك، بمساعدة وسائل نقل بحرية خاصة مزودة بآلة ترصد عمق البحر بمساعدة انعكاس الموجات الصوتية.

وقد فحص الأميركان الخندق بأكمله البالغ طوله ٢٥٠٠ كلم، وبالاضافة إلى أعمق نقطة التي حملت اسم «تشالنجر ديب- Challenger Deep» فقد قاسوا أيضًا نقطة عميقة اخرى اطلق عليها اسم «HMRG Deep».

ويقع خندق ماريانا على تقاطع قاعدتين أرضيتين: قاعدة



الهادئ، والقاعدة الفليبينية. وتتمتع مسألة بحثه بأهمية كبرى لتحديد ديناميكية وعدد الهزات التي تقع تحت سطح البحر، ولم يصل الى عمق الخندق حتى الآن سوى شخصين، هما الباحثان دون والش وجاك بيكار خلال عام ١٩٦٠، وفي الفترة القريبة ترغب أربعة فرق أميركية دفعة واحد بتكرار رحلتهم بمساعدة غواصات خاصة، وفي الوقت الذي توجه فيه عمليا كل من والش وبيكار قبل نصف قرن إلى المجهول، فإن الراغبين في السير على خطواتهما سيملكون خرائط ادق لعمق البحر، أما حجم المكان المحدد بشكل تفصيلي كما هي الحال على سطح القمر على سبيل المثال فهو خمسة في المائة فقط.

تطوير آلة تصوير

نجح باحثون روس في المعهد التكنولوجي في موسكو في تطوير آلة تصوير جديدة تستطيع التقاط مليار صورة في الثانية الواحدة، وهي قادرة أيضًا على التقاط ظواهر تجري بسرعة الضوء مثل تشرد ومضات أشعة الليزر العابرة من خلال إناء مملوء بالماء، لكن من سلبيات هذه الآلة أنها لا تستطيع تقديم صورة ضوئية للظاهرة التي لا تتكرر لكل وميض من الأشعة.



الديدان تنظف الجروح المستعصية طبيًا

قد يصبح للمشارط الجراحية منافس جديد في تنظيف الجروح الكبيرة التي لا تلتئم بسهولة، مثل التي قد يتعرض لها مرضى السكر، فالديدان اثبتت جدارتها في تنظيف مثل هذه الجروح.

وذكر موقع «هلث داي نيوز» العلمي الأميركي أن الباحثين في جامعة «كان باس نورماندي» الفرنسية وجدوا أن وضع ديدان حية ومعقمة في حزم على القروح المفتوحة يمكن أن يشكل طريقة سريعة وآمنة وفعالة للتخلص من النسيج الميت.

وركز فريق البحث الذي قادته الطبيبة كريستينا أوبليتالوفا على قياس فعالية العلاج بالديدان بين العامين ٢٠٠٥ و ٢٠٠٨ على ١٠٥ من المرضى عولجوا في مستشفيين بفرنسا وكانوا جميعهم يعانون جروحًا عميقة وواسعة مفتوحة في أطرافهم السفلى وتتميز هذه الجروح بكمية النسيج الميت التي انفصلت عن النسيج الحي.

واختير قرابة نصف المرضى بطريقة عشوائية لتلقي العلاج بالديدان، فيما تلقى البقية العلاج التقليدي.

الذاكرة والقلق عند المدخنين



وجدت دراسة بريطانية جديدة ان المدخنين قد يخسرون قرابة ثلث ذاكرتهم اليومية لكن الاقلاع عن التدخين قد يعين قدرتهم على تذكر المعلومات الى المستوى نفسه تقريبًا لغير المدخنين، ومن جهة اخرى أظهرت الدراسة ان التدخين يحفز المرء على التهور والتصرف من دون تفكير والتعامل مع الأمور بعصبية وقلق وأن الاقلاع عن التدخين يحسن شخصية المدخن ويجعله قادرًا على التخلص من كثير من العادات السيئة.

اكتشف علماء منزلا لإنسان النياندرتال الذي انقرض قبل حوالي ٢٤ ألف سنة، مبنيًا من عظام الماموث وعمره ٤٤ ألف عام في مولدوفا.

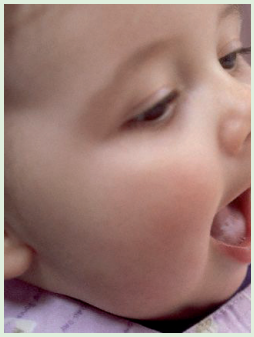
وكان يعتقد سابقًا أن إنسان النياندرتال اتخذ من الكهوف ملجأ له.

ويعد هذا الاكتشاف أقدم نموذج عن منزل بني من العظام ويظهر أن أسلافنا عاشوا في المنزل في وقت سابق على ما كان يعتقد من قبل.

وقال العلماء إن «استعمال العظام كعنصر في البناء قد استخدم تحسبًا للتغيرات المناخية، ففي الطقس البارد وفي بيئة مفتوحة دفع فقدان الخشب البشر لاستخدام العظام لحماية أنفسهم من الرياح».

ويتألف المنزل الدائري المكتشف من ١١٦ عظمة كبيرة بينها جماجم ماموث، وأفكاك و١٤ نابًا وعظام أرجل. ووجد داخل المنزل ٢٥ مدخنة مليئة بالرماد مما يشير إلى أنها استخدمت.

الطفل يتذكر من سن الثانية



أجرى باحثون نيوزيلنديون دراسة على نحو ٥٠ طفلًا وأهليهم، وطلب من الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والرابعة ممارسة لعبة واحدة وضعوا خلالها غرضًا في ثقب بأعلى آلة، وعند دق الجرس حصلوا على شيء مماثل من باب في أسفل الآلة، وعاد الباحثون وأجروا مقابلة مع الأطفال والأهل بعد مرور ست سنوات لتحديد مدى تذكرهم لما حصل معهم، وتبين بالدراسة أن حوالي خمس الأولاد تذكروا ما حصل في حين تذكر نصف الأهل اللعبة، وقال الباحثون: إن نتائجنا تتماشى مع نظريات تظهر قدرتنا على تذكر تجاربنا التي مررنا بها في الثانية من العمر.

من هنا وهناك!

- كشفت دراسة حديثة وللمرة الأولي وجود علاقة بين ارتفاع ضغط الدم والاصابة بعدوى فيروس القوباء، وجاء في هذه الدراسة الصينية أن هناك علاقة بين شكل من أشكال ارتفاع ضغط الدم وفيروس القوباء الذي ينتشر بشكل واسع بين شعوب العالم.

- تثير عمليات التوسع السكاني بالقرب من المواقع الأثرية في مكة المكرمة والمدينة المنورة حفيظة علماء الآثار والتاريخ السعوديين الذين يرون في هذا التوسع ذريعة لهدم ما تبقى من الآثار في هاتين المدينتين المقدستين.

- اكدت العالمة السعودية د.فاتن خورشيد انها نجحت في اكتشاف علاج من بول ولبن الإبل يشفي تمامًا من عدة أنواع من مرض السرطان التي تصيب الإنسان إضافة إلى الالتهابات الكبدية الفيروسية.

- توصل فريق من الباحثين اليابانيين بالاشتراك مع زملائهم الأميركيين في كل من جامعتي طوكيو وكاليفورنيا إلى أن طائر البطريق يجري ٢٣٧ ضربة بأجنحته في المتوسط قبل طلوعه على سطح الأرض وقبل الغطس للبحث عن الغذاء.

- قالت صحيفة «يديعوت احرونوت» الصهيونية في افتتاحية لها نشرت اخيرًا بعنوان «مستقبل الإسلام في أوروبا» بأنه من المتوقع ان تتحول أوروبا للإسلام بحلول نهاية القرن الحالي.

- أكد خبير الارصاد الجوية في بلجيكا ديفيد ديهيدنوف أن عام ٢٠١١م كان أكثر الأعوام ارتفاعًا في درجات الحرارة منذ عام ١٨٣٣م.

- أعلنت السلطات المعنية بالحياة البرية في ماليزيا أن أسر انثى وحيد القرن «سومطرة» في جزيرة بورينو يشكل فرصة أخيرة لإنقاذ هذه الفصيلة المهددة بالانقراض.





إعداد: التحرير

الاختلاف بين الناس طبيعة

الاختلاف بين البشر أمر طبيعي، يخضع لمشيئة الله الذي خلق الناس مختلفين في أشكالهم وألوانهم وألسنتهم وعواطفهم وعقائدهم.

كما خلقهم مختلفين في الجهد والقوة، والقدرة على التحمل في سبيل إعمار الأرض ﴿ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك﴾.

والاختلاف أمر يقره القرآن والعقل والتاريخ، وهو نوعان، أحدهما عقلي علمي يبعث على الاجتهاد، وتقوم عليه العلوم النافعة، والآخر أناني شخصي يقدم المصلحة الخاصة على العامة، وتنشأ عنه العداوات والفرقة الضارة بالمجتمع.

واختلاف البشر في أفكارهم وعاداتهم ومعتقداتهم ليس غريبا، لكن الغريب هو محاولة إرغام الناس وقهرهم على الإيمان بفكر واحد، وثقافة واحدة، وقيادة واحدة تتبنى مبدأ: ما أريكم إلا ما أرى.

يقول، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، د.عبدالله سعيد: إن الأمم اختلفت في تقبلها للأديان السماوية ورفضها، فكان الرسل يأتون برسالة الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صالح الأعمال، وكان منهم من استجاب ومنهم من أبى، وهكذا حال الناس.. ونحن نجد أن الذي يطيع الأنبياء ويتمسك بدين الله يكون أكثر علما وفهما مع اختلاف الألوان والأجناس. ولنا أن نعلم أن دين الله تعالى إلى خلقه واحد، أرسل الله الرسل به إلى جميع خلقه من لدن آدم إلى بعثة خاتم الأنبياء ﷺ.

ويضيف: أن الأمم وإن كانت قد اختلفت على مر الزمان في ألوان المسكن، والمطلب، والأحوال البشرية الأخرى، فإن أبناءها اجتمعوا في الناحية الدينية على الإقرار بعبادة الله الذي أرسل كل نبي بالشريعة التي تصلح قومه، وتعالج عيوبهم، سواء من ناحية النهي عن عبادة الأصنام، أو تطفيف الكيل والميزان، أو فعل الفاحشة.

وكان من عظيم عناية الله ولطفه بخلقه أنه تعالى كان يرسل الرسول بلسان قومه ليحسنوا فهمه، ويلتفوا حوله، وبالمستوى الذي يستوعبه أتباعه، ونلحظ ذلك في أن الأنبياء جميعا جاءوا بدعوة التوحيد، وإن اختلفت الأدلة والمعجزات بين الأنبياء، لكن الهدف عندهم جميعا واحد.

ويستطرد د.عبدالله سعيد قائلا: لما بلغت الإنسانية رشدها وأصبحت مهيأة لمزيد من التلقي والفهم الذي ارتقى بها في كل أمور الحياة، بعث الله محمدا ﷺ بالدين والرسالة التي جاء بها إخوته من الأنبياء السابقين.. وهي التوحيد، وكان رسول الله ﷺ مثلا عاليا في الخلق، وفي المحافظة على حق أصحاب الأديان المختلفة في التآلف والمودة، فعقد مع اليهود عهدا بحسن المعاملة والجوار، وفي ذلك تعليمات من القرآن الذي أحل ذبيحة أهل الكتاب وطعامهم، وأمر بحسن معاملتهم ومجاورتهم، وهذا هو التطبيق العملي للخلق الإسلامي من رسول الله ﷺ، في التعامل مع من نختلف معهم في الرأي، أو في الأحوال الاجتماعية.

إبراهيم علي إبراهيم

الإرهاب منتج.. وليس واقعًا

أثناء الاستشراق الكلاسيكي رسم الغرب للعرب صورة نمطية، تتمثل في أناس بدويين وذوي أسنان طويلة، وثياب متسخة وأطلقوا عليهم اسم البربر، ثم قاموا باحتلال الأراضي العربية بدعوى الحماية والتحرير من التوحش، فخضعت معظم الدول العربية للاحتلال والاستبداد.

وها هي الأيام تأتي.. فبدل أن يرسم الغرب مجددا للعرب صورة شخص بدوي رسموا له صورة رجل بلباس قصير ولحية كثة وقنبلة ناسفة يشد بها إزاره!! وما هي إلا خطة تضمن عودة الاستعمار للدول العربية بدعوى محاربة الإرهاب والجماعات الإسلامية المتطرفة.

هذه هي الخطة التي أسهم في رسمها الإعلام الغربي، بل وحتى العربي، ونشر أفكاره من طرف النخب الفكرية الغربية والعربية على حد سواء؛ حتى ينتقل الإرهاب من وضعية منتج إلى وضعية واقع حي.. فانتشرت هذه الأفكار الملتبسة في كل العالم من أقصاه إلى أقصاه، وبدل أن يطلقوا علينا اسم البربر أطلقوا اسم «الإرهابيين».. وأين نحن من هذا الإرهاب؟!

ففي عهد الفتوحات الإسلامية كانت الشعوب والقبائل تسلم مفاتيح الدولة للفاتحين العرب بكل سعة صدر وسعادة؛ لأن المسلمين لن يرغموا أحدا على الدخول في الإسلام، ولن يبيدوا من رفض الدخول فيه.

لو كان الإرهاب من شيم المسلمين لما تركوا الكنائس لأصحابها بدل أن يحولوها لمساجد- كما فعل الغرب في المساجد الإسلامية في الأندلس- والتي حولوها لكنائس ملفقة.

نشر هذا المنتج (الإرهاب) في الدول الغربية فحصد ثقافة الفوبيا من الإسلام؛ من اجل حد انتشار الإسلام في ربوع بلدانهم، ونشر في الدول التي تدعي الإسلام بمحاربة الجماعات الإسلامية وقمعها وكبت صوتها؛ لأنها تمثل المعارضة الرئيسية، وبالتالي فهي تمثل خطرا على بقاء الظلاميين على كراسي السلطة.. ويريدون أن يطفئوا نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أسماء البكاري

الدور الخفي للكنيسة الغربية في انفصال جنوب السودان

برغم انفصال جنوب السودان عن السودان بموقف استفتاء ٩ يناير الماضي.. فلا تزال القوى الخارجية التي لعبت دورا في تعزيز هذا الاستفتاء، وغذت الصراع التقليدي بين الشمال والجنوب لم تلق عليها الأضواء بقوة خاصة الكنيسة الغربية.

فوسط أجواء شحن الجنوبيين بكثافة من أجل الانفصال، وقف كهنة كنائس جنوب السودان يحمسون أبناء الجنوب- ومن خلال القداس- مؤكدين لهم أن حلم إنشاء دولة مسيحية مستقلة بات في أيديهم!!

لقد وقف القس «جوستين فيكتور» على أبواب الكنيسة الأسقفية في جوبا جنوب السودان يخطب قائلًا لأبناء الجنوب والصحفيين: نعم سأصوت لصالح الانفصال، نحتاج إلى استقلالنا نحتاج إلى أن نتحرر من العرب!!

والحقيقة أن مشهد الأساقفة للكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية- وهم يشجعون الجنوبيين على الانفصال في الاستفتاء- لم يكن سوى حلقة في سلسلة السعي الغربي الكنسي لنشر المسيحية في الجنوب، وتشييد دولة جنوبية مسيحية منفصلة هناك، بدعوى أنهم ينقذون الجنوبيين من سيناريو «أسلمة» النظام، وتطبيق الشريعة من قبل الخرطوم.. في حين أنه مسلسل بدأ منذ الاحتلال البريطاني للسودان، وعزل الجنوب عن الشمال، وفتح الجنوب أمام المنصرين والمبشرين.

وخلال سنوات الفترة الانتقالية التي قررت اتفاقية سلام الجنوب (بنقاشا) كانت الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الغربية في سباق مع الزمن من أجل شحن الجنوبيين للانفصال، والربط بين الانفصال وبين الدين.

ولقد ظهر هذا أيضا في إعلان مؤتمر الأساقفة الكاثوليك المنعقد بجوبا في الفترة ١٠-٢٢ يوليو ٢٠١٠م، في بيان صادر عنه جاء بعنوان (مستقبل مليء بالأمل) بتأييده صراحة لانفصال الجنوب!

محمد عامر

رسالة قارئ

قرأت الافتتاحية الخاصة بالعدد ٥٥٤ بعنوان «للزمن قيمة»، وهي أهم ما شدني في هذا العدد، ولقد قرأتها مرات عدة؛ فكان لها تأثير كبير عليّ.. لقد بعثت في الروح مرة أخرى، ونزلت كالصاعقة التي أفاقتني من الغيبوبة التي كنت أعيش فيها. إنها بمنزلة دفعة في الاتجاه الصحيح لكي أبدأ مشوار حياتي في حب القراءة مرة أخرى، وتنمية هذه الهواية الجميلة عند بناتي الصغيرات.

أشكر سيادتكم جزيل الشكر على هذه الكلمة التي كانت بالنسبة لي المفتاح السحري لتنشيط عقلي مرة أخرى، واستغلال وقت فراغي في أشياء تفيدني.

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر التحية والاحترام.

السعيد حسن مصلح

علام يخافون الإسلام؟

أعجب كل العجب من أولئك النفر المنتسبين إلى الإسلام اسما فقط، وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى الذين يخافون من الإسلام، وكأن على أعينهم غشاوة فلم يبصروا نوره، أو يحسوا بتعامله.. ولو أنهم أعملوا عقولهم ما أحسوا بالانزعاج منه.

فمن دلالات تسامحه وعدله دعوته إلى الإيمان بالرسل جميعا دون تفريق، نستوضح ذلك من قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾(البقرة: ١٣٦)، كما أن الإسلام جعل غير المسلمين كالمسلمين داخل الدولة، يجب الحفاظ على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم، وان نحسن إليهم ونبرهم قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة: ٨).

طنطاوي عبدالقادر علي

إعداد: التحرير

ثمرات الخوف

من ثمرات الخوف أن يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سماً، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

(كشكول ابن عقيل، ص:١٠٣)

أنفع الناس وأضرهم

أنفعُ النّاس لك رجلٌ مكّنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرًا أو تصنع إليه معروفًا، فإنّه نِعْمَ العون لك على منفعتك وكمالك. فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر. وأضرُّ النّاس عليك مَنْ مكّنَ نفسه منك حتى تعصي الله فيه، فإنّه عونٌ لك على مضرّتك ونقصك.

(الفوائد لابن القيّم ص ٢٤٨).

طُرُقَاتٌ إلى الله

قال العلّامة محمد جمال الدِّين القَاسمي: «ومِنَ الصَّبر: صبر على العِيَال في الكسب لهم، والإنفاق عليهم، والاحتمال للأذى منهم، فإنَّ في العِيَال طُرُقات إلى الله تعالى، أدناها الاهتمام بهم، وأعلاها الرضا عَن الله تعالى والتَّوكُّل عليه فيهم، وأوسطها الإنفاق وحبس النَّفس عليهم»

(الوعظ المطلوب)

نصيحة ذهبية

رأى رجلٌ من بني إسرائيل مجنوناً يركب فرساً، فقال له: إني أريد أن أتزوج، فكيف أتزوج؟

فقال المجنون: النساء ثلاث: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لك وعليك.

ثم قال: احذر الفرس أن يضربك ومضى. فقال الرجل: احبس فرسك، وفسِّر لي كلامك.

فقال له: أما الأولى فهي البكر؛ فقلبها وحبُّها لك، ولا تألف غيرك.

وأما الثانية فالمتزوجة ذات ولد؛ تأكل مالك وتبكي على الزوج الأول.

وأما الثالثة: فالمتزوجة التي لا ولد لها؛ فإن كنت خيرًا من الأول فهي لك، وإلا فهي عليك.

فقال الرجل: تتكلم كلام الحكماء، وتعمل عمل المجانين.

فقال له: يا هذا، أرادوا أن يجعلوني قاضيًا، فجعلت نفسي هكذا حتى نجوت.

(الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات ص:١٢١)

جمع له رزقه فمات

قال هارون الرشيد لرجل من المساكين سأله: لست أعطيك شيئًا عن مسألة، فإن أجبتني عنها وهبت لك.

فقال الرشيد: ما بال الملوك ومعهم الأطباء ومعهم الحمية والتَّوقّي لا تطول أعمارهم؟

ففكر الشيخ، وقال: إن كان لهذا سبب، فليس إلا أنكم تُعْطَون أموالكم جملة فتأكلونها، وتُقطع عنا أرزاقنا فنبقى حتى نستوفيها (فتطول أعمارنا).

فعجب الرشيد من جوابه، ووهب له عشرة آلاف درهم، وضمَّه إلى بعض أصحابه.

فما أتت أيام حتى مات الرجل. فقال هارون: جمعنا له رزق كما قال فمات.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

مراتب الناس

«النَّاس في أَخلاقهم على مراتب، فطائفة تمدح في الوجه وتَذم في المغيب، وهذه صفة أهل النِّفاق.. وطائفة تذم في المشهد والمغيب، وهذه صفة أَهل السلاطة والوقاحة.. وطائفة تمدح في الوجه والمغيب، وهذه صفة أَهل الملق والطمع، وطائفة تذم في المشهد وتمدح في المغيب، وهذه صفة أَهل السُّخف والحمق.

أسعد الناس بشفاعته ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله.. من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث.. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا من قلبه أو نفسه» رواه البخاري.



عبّر عن بلاءٍ ببلاء

قال أبو هفّان: سألت ورّاقًا عن حاله فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدقّ من مسطرة، وجاهي أرقّ من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سوادًا من الحبر بالزاج، وحظّي أخفى من شقّ القلم، ويَدَاي أضعف من قصبة، وطعامي أمرّ من العفص، وشرابي أحرّ من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ.

فقلت: عبّرت عن بلاء ببلاء.

(زهرة الآداب للقيرواني)

لا يصلح العلم مع قلة العمل

قال ابن الجوزي رحمه الله: «رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين، لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها.

وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق لأني وجدت المحدثين وطلاب الحديث همة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء.

... وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سببًا لرقة قلبك»

(صيد الخاطر).

للصابرين فقط!

جمعَ الله للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم: وهي الصَّلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إيَّاهم؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧)...، وقد عُزِّيَ بعض السَّلف على مصيبة نالته، فقال: ما لي لا أصبر، وقد وعدني الله على الصَّبر ثلاث خصال، كلّ خصلة منها خير من الدنيا وما عليها.

(عدةُ الصَّابرين لابن قيِّم الجوزية)

الكرام واللئام

قال الأعمش رحمه الله: «إن كرام الناس أسرعهم مودَّة، وأبطؤهم عداوة، مثل الكوب من الفضة: يبطئ الانكسار، ويسرع الانجبار، وإن لئام الناس أبطؤهم مودَّة، وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار: يسرع الانكسار، ويبطئ الانجبار»

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص:١٥٧)

مسك الختام

ضرورة الفهم لنهضة الأمة

محمد أبو عيد

إن الفوضى المذهبية، والانحرافات الفكرية، والمزالق الشيطانية، واتباع الهوى، وطوفان الانحلال كلها مظاهر تدلل على حالة مرضية تعيشها الأمة في الوقت الراهن، وصدق علينا قول الشاعر:

هذا الحال يفرض على العقلاء، وأصحاب الفهم المتزن أن ينهضوا لانتشال الأمة من أوحال الضلال والانحراف، وإننا الآن في أشد الحاجة لحاسة الفهم الجيد لفكرتنا الإسلامية حتى نزيل الركام الجاثم على النفوس فصدأت، والفهم يأخذ بأيدينا إلى الانطلاق برؤية الإسلام الواضحة للعمل الجاد المثمر في ظل تعاليم السماء، وهو ركن ركين، وأصل أصيل يدشن لبناء قاعدة صلبة تستطيع أن تصمد أمام عواصف الفتن وانحرافات الهوى، والمؤامرات التي تحاك على الإسلام ومبادئه محاولة إقصاءه عن معترك الحياة بنواحيها كافة زاعمة أن الدين من الموروثات التي لا تواكب تطور الحياة وتقف حجر عثرة أمام مشاريع النهضة. وهذا فهم خاطئ وسلوك منحرف ورؤية قاصرة تشوبها الضبابية والبعد عن الفهم الواضح والارتضاء بآراء البشر وإقصاء الرؤية الإسلامية الصافية والشافية.

والفكرة الإسلامية تستمد حياتها ورونقها وبهاءها من الكتاب الخالد، فالدين هو الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩)، وعلى المسلم أن يفهم جيدًا أنه صاحب رسالة وله هدف فالفهم يتيح له ابتكار وسائل ومسارات عمل للوصول للهدف المنشود، وفي حركته ينهض بفقه وعلم يقدم هذا ويؤخر ذلك ويتكلم هنا ويسكت هناك.

والفهم هو حسن السياسة والإدارة والمرونة والانسيابية، وشرعيته تأتي من حديث رسول الله ﷺ «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وابن القيم رحمه الله يبين مدى أهمية الفهم فيقول: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، وهما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد، والفهم السوي يظهر اثره في حال الفوضى الفكرية التي تمر بالأمة في ضبط السلوكات والأفهام الشاذة والمنحرفة ويقي الفرد من الانحراف والفوضى الثقافية، ويحدد للمسلم الإطار الوسط والاتجاه المعتدل كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾.

ووسطية الفكر خير شاهد على الاعتدال والاتزان في العقل، وفي العمل، لذا قد تعجبُ من بعض الناس الذين فهموا أن الإسلام هو كل شديد قوي، وفريق ثان ظن أن الإسلام هو كل تيسير هين لين، وفريق ثالث تسرع في التفكير، وقطاع كبير أبعد الإسلام عن واقع الحياة، كل تلك الأطياف تحتاج لضبط الإيقاع. والمسلم الذي يحافظ على فهمه ويضبط مشاعره ويحكم عقله ويعرف أبعاد الطريق يمثل النموذج المنشود في الفهم والعمل، لذا صار مصطلح الفهم بمنزلة السياج الواقي لصاحبه من منحدرات الأفهام الضالة والجانحة.

والمسلم الفاهم له هدف وهو صاحب رسالة سامية، فهدفه الله والجنة وهداية الأمة، ولكي تكتمل الصورة يجب أن يكون المسلم مهمومًا بدعوته، كما اهتم بها الصديق فنهض ينشر الدعوة ويعلم ويجاهد وينفق ويؤيد بكل ما يملك، وأخذ أبوبكر بالأداء الشمولي فهمًا وتطبيقًا، وصدق من عبر عن ذلك بأن الإسلام هو نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.